أحمد الكاتب

الإمام المهدي

"محمد بن الحسن العسكري"

حقيقة تاريخية ؟.. أم فرضية فلسفية ؟

الجزء الثاني من كتاب

تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه

الطبعة السابعة

2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هل عندكم من علم فتخرجـوه لنـا ؟ .. إن تتبعـون إلا الظن ، وان انتم إلا تخرصون ! (يونس 36)

إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ، ما أنـزل اللـه بهـا من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .(النجم 23)

وما لهم به من علم .. إن يتبعون إلا الظن .. وان الظن لا يغني من الحق شيئا .. (النجم 28)

المقـــــــــدمة

هل الامــام المهــدي "محمد بن الحسن العســكري" حقيقة تاريخية؟..أم فرضية فلسفية؟

هذا سـؤال مهم جـدا ينبغي طرحه اليـوم من أجل التقـدم في عملية بناء الأمة الإسلامية وتجديدها وتحريرها وتوحيدها.

ولكن ما هو الفرق؟ سواء كان المهدي حقيقة.. أم فرضـية؟ مولـــوداً؟ أم غـــير مولـــود؟ ومـــاذا يهمنا من الأمر في حياتنا المعاصرة؟ إذا كان ظهور المهدي أمراً غيبياً مستقبلياً؟

ولكن من قـال ذلـك؟ ومن قـال إن موضـوع المهـدي "محمد بن الحسن العسكري" أمر تاريخي أو مسـتقبلي غيـبي، وليس أمـرا سياسيا فكريا معاصرا؟

صــحيح.. إن فكـرة المهدوية بصــورة عامة مســألة غيبية مســتقبلية، وإن مســألة ولادة الامــام الثــاني عشر "محمد بن الحسن العسـكري" مسـألة تاريخية قديمـة، ولكن الإيمـان بهـذا الإمام مسألة حيوية معاصـرة تـدخل في عقيـدة الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية، وتشـكل العمـود الفقـري لهـا. كما انها شـكلت وتشـــكل الأرضـــية الأيديولوجية لفكـــرهم السياسي القـــديم والمعاصر، ومن ثم فإنها تلعب دورا كبـيرا في علاقـاتهم الداخلية والخارجية مع الطوائف الإسـلامية الأخـرى، وتـدخل في صـميم الوحدة الاسلامية والعملية الديموقراطية.

إن فكـرة المهدوية لا تختص بشـعب دون آخـر، ولا بأمة دون أخرى.. فقد عرفها جميع شعوب الأرض حتى من غير المســلمين أو الموحــدين. وذلك لأن كل شــعب يتعــرض للظلم والاضــطهاد يحلم بغد أفضل وإمـام عـادل (مهـدي) يملأ الأرض قسـطا وعـدلا بعد أن ملئت ظلما وجـــورا. ومن هنا فقد عـــرف المســـلمون بمختلف طـوائفهم وأحـزابهم كثـيرا من الأئمة المهـديين وأدعيـاء المهدوية الذين قادوا الحركات الشـعبية المطالبة بالعدالـة، ونجح بعضهم في تحقيق أهدافهم في الوقت الذي فشل فيه آخرون.

وكان لكل (مهدي) قصة.. ولكن قصة "الامام المهدي محمد بن الحسن العسـكري" تختلف عن جميع الأئمة المهـديين أو أدعيـاء المهدوية عـبر التـاريخ، وتحمل أبعـادا كثـيرة وخطـيرة . فالإمـام "الحجة بن الحسن" ليس مجـرد أمل يحلق في المسـتقبل، وإنما هو "إمام حي موجود ولد في منتصف القرن الثـالث الهجـري ولا يـزال يعيش اليـوم وسـوف يظهر في المسـتقبل". وبالتـالي فقد ترتبت وتترتب على هذه العقيدة أمور كثيرة فكرية وسياسية.

فقد ولدت على أثر الإيمان بوجود الامـام "محمد بن الحسن العسـكري" الفرقة الاثنا عشـرية، بعد أن كـاد المـذهب الإمـامي يصل الى طريق مســدود، وذلك بوفــاة الامــام العســكري دون الإشارة الى وجود ولد له في الظـاهر، ودون الإشـارة الى مصـير الإمامة من بعده. ورغم وجود تيارات شيعية أخرى تعتقد بسلسلة

أخــرى من الأئمة العلــويين، أو تــؤمن بنظــام وراثي مــرن يجــيز الانتقال الى الإخوة وأبناء العم، الا ان تيارا شيعيا مهما كان يعتقد بضـــرورة انتقـــال الامامة الى الورثة بصـــورة عموديـــة، أي في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب أبـداً الى يـوم القيامـة، اضـطر الى الإيمــان بوجــود ولد للإمــام العســكري بصــورة ســرية، وخلافا للظاهر، مما أدى الى تشكل الفرقة الاثـني عشـرية. ولو لم يكن ذلك الفريق من الشيعة يؤمنون بولادة ووجـود "الامـام محمد بن الحسن العسـكري" لما تكـونت الفرقة الاثنا عشـرية، ولوصـلت نظرية الامامة الى طريق مسدود، على الأقل في هــذا الخط من أبناء علي والحسين والكاظم.

ولما كان الشيعة الامامية يعتقـدون بضـرورة اتصـاف الامـام بالعصـمة والنص عليه من اللـه، وأنهم آمنـوا بوجـود ذلك الامـام المعصــوم المعين من قبل اللـــه، وهو "الامــام محمد بن الحسن العسكري" فقد تحتم عليهم انتظـار ذلك الامـام ، وعـدم الخـوض بأي نشاط سياسي ثـوري أو حكـومي الا تحت قيـادة ذلك الامـام المنتظـر. وعنـدما طلت غيبة ذلك الامـام، وامتد انتظـار الشـيعة الاثني عشرية له ؛ فقد دخل الشيعة في غيبة سياسية، وانسحبوا من مســرح التــاريخ قرونا طويلة من الــزمن. ورغم التطــورات الإيجابية الحديثة التي حدثت في فكرهم السياسي فلا يزال قسم منهم يمتنع عن الخـــوض في السياسة انتظـــارا لظهـــور الامـــام المعصوم الغائب.

وفي هذه الأثناء، ومنذ أيام الغيبة الأولى ، ظهرت في صـفوف الشيعة دعـوات أو ادعـاءات بالنيابة الخاصة والعامـة، عن الامـام المهدي الغائب، واللقاء به وأخذ التوجيهـات والتعليمـات والعلـوم الشرعية عنه. وقد اشـتهر حـوالي أربعة وعشـرين نائبا أو مـدعيا للنيابة الخاصة عن الامــام المهــدي في فــترة ما يســمى بالغيبة الصـغريى، الـتي امتـدت حـوالي سـبعين عاما من وفـاة الامـام العســكري، وادعى بعض العلمــاء كالشــيخ المفيــد، في القــرن الخامس الهجري، اسـتلام رسـائل خاصة من الامـام المهـدي، ثم ظهـرت نظرية النيابة العامة للفقهـاء، اي كـون كل فقيه نائبا عن الامام المهدي حتى إذا لم يسمه أو يعينه بالخصوص.

وفي ظل هذه الأجواء ظهرت المرجعية الدينية الشيعية التي اكتسبت هالة قدسـية، سـواء بواسـطة النيابة الخاصة أو العامـة، وأصبح المرجع الديني يحتل في صفوف الشيعة، موقعا متمـيزا لا يضاهيه الا إمام معصوم.

ورغم حـدوث تطـور كبـير في الفكر السياسي الشـيعي في العقود أو القـرون الأخـيرة، وميل كثـير من الفقهـاء والسياسـيين

الى إنهاء موقف الانتظار السلبي الممدود للامام المهدي الغائب، واتخاذهم قـرارا بـالثورة أو إقامة الدولة في (عصر الغيبـة) إلا أن إيمانهم بوجود الامام المهدي "محمد بن الحسن العسـكري" وأنه مصـدر الشـرعية الدسـتورية، دفعهم لإضـفاء مسـحة دينية على نشاطاتهم السياسية، والاستغناء عن اكتساب أية شـرعية شـعبية أو ديموقراطيــة، وبالتــالي إعطــاء أنفســهم صــلاحيات مطلقة ديكتاتورية، وهو ما هـدد ويهـدد التجـارب السياسـية الحديثة الـتي يقــوم بها الشــيعة، ويقف عائقا أمــام التطــور الــديموقراطي للمجتمعات الشيعية.

وعلى رغم انخـراط الشـيعة في العـراق في هـذه الأيـام في عملية بنــاء النظــام الــديموقراطي، إلا أن بعض رجــال الــدين استغلوا فكـرة وجـود الامـام المهـدي ليـدعوا علاقـات خاصة لهم معــه، تــتيح لهم مكانة فــوق ديكتاتوريــة، وأبعد ما تكــون عن الديموقراطية.

ومن هنا فإن مسألة وجود "الامام المهدي الثـاني عشر محمد بن الحسن العسكري" لم تعد مسألة غيبية تاريخية أو مسـتقبلية، وإنما أضـحت شـأنا معاصـرا حيويا فكريا سياسـيا. وبالتـالي فـإن كثــيرا من الأمــور تصح إذا كــان وجــود الامــام حقيقة تاريخيــة، وتختلف إذا لم يكن كذلك.

ولقد ولد الكــاتب ونشأ شــيعيا إماميا أثــني عشــريا، ثم قــام بدراسة هـذه المسـألة فتوصل الى أنها فرضـية فلسـفية وليست حقيقة تاريخية. وقام بنشر دراسته قبل حـوالي عشر سـنين (في سـنة 1997) ضـمن كتـاب "تطـور الفكر السياسي الشـيعي من الشورى الى ولاية الفقيه" الذي كان يبحث بالاضـافة الى مسـألة وجـود الامـام الثـاني عشـر، نظرية الامامة لأهل الـبيت، وتطـور الفكر السياسي الشيعي في عصر الغيبـة. وقد طبع ذلك الكتـاب عدة طبعات، وأثار عاصـفة من الـردود والنقاشـات لم تهـدأ بعـد، فقد كتبت في الــرد عليه عشــرات الكتب والمقــالات، ولا يــزال النقاش مستمرا، ولكن كثـيرا من الـردود اتجهت لمناقشة الجـزء الأول من الكتاب وإثبـات صـحة نظرية الامامـة، وأغفل كثـير من الكتـاب الحـديث عن جـوهر الكتـاب وهو موضـوع وجـود الامـام الثاني عشر، وكنت أتمنى لو يركز البـاحثون على هـذا الموضـوع ففيه غــنى لهم عن تجشم محاولة أثبــات الموضــوع الأول، إذ لو ثبت وجود الامـام الثـاني عشر لثبتت صـحة نظرية الامامـة، نوعا مــا، وإذا لم يثبت وجــوده يســتحيل إثبــات نظرية الامامة بتلك الصورة المعروفة لدى الشيعة الامامية الاثني عشرية.

ومن هنا شعرت بضرورة إخراج الكتاب بشكل جديد، واختصار الجزئين الأول والثالث، مع التركيز على الجزء الثاني من كتاب "تطور الفكر السياسي الشيعي" وهو:"الامام المهدي محمد بن الحسن العسكري.. حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية؟" وطباعته بصورة مستقلة. أملا في أن يساعد نشر هذا الكتاب في إثراء البحث حول الموضوع، وتطوير الفكر السياسي الشيعي خطوات أوسع نحو الديموقراطية، وتوحيد الأمة الاسلامية.

أحمد الكاتب

11 آذار 2007

لندن

ملخص الجزء الأول[1]

نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت

الشورى نظرية أهل البيت السياسية

يشكل "الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري" الرقم الثاني عشر في سلسلة الأئمة المعصومين الذين يعتقد الشيعة الإثنا عشرية بتعيينهم من قبل الله، والذي يقولون إنه ولد في منتصف القرن الثالث الهجري، بصورة سرية واختفى بعد وفاة والده الامام العسكري سنة 260 للهجرة، في سامراء.

والإثنا عشرية هم فريق من الإمامية الذين ولدوا في القرن الثاني الهجري من بين عدد من الفرق الشيعية التي كانت تحارب الدولة الأموية وتلتف حول عدد من الأئمة العلويين أو الفاطميين. وامتاز الإمامية بلقبهم هذا لأنهم طوروا ولاءهم لأهل البيت من ولاء سياسي الى عقيدة دينية، واعتقدوا بأن الأئمة معصومين ومعينيين من قبل الله. ورفضوا - بناء على ذلك- الشورى كطريق لانتخاب الإمام.

وكان قولهم هذا رد فعل على تسلط الحكام الأمويين بالقوة ، وتداولهم للسلطة بالوراثة ، وادعائهم للعصمة ومطالبتهم للأمة

---

[1] - هذا ملخص الجزء الأول من كتاب "تطور الفكر السياسي الشيعي.. من الشورى الى ولاية الفقيه" ومن أراد التفصيل فعليه مراجعة الطبعات السابقة للكتاب.

بالطاعة المطلقــة، فقــالوا رداً على ذلك بأحقية أهل الــبيت من الأمــويين بالخلافــة، وضــرورة تــداولها في أعقــابهم. ولكن هــذه النظرية لم تكن نظرية أهل البيت أنفسهم ولا عموم الشـيعة في القرون الأولى.

وقد انطلق الإماميون في بناء نظريتهم من كون الإمام علي بن أبي طـــالب وصـــيا للنـــبي (ص) وهو أمر ثـــابت لا يختلف عليه المسـلمون.[2] ولكنه كـان يتعلق بـالأمور العادية والشخصـية، ولم تكن له علاقة بالسياسة والإمامة أو الخلافة الدينية.[3] كما انطلقوا من "حديث الغدير" الذي ورد أن النبي قال فيـه:"من كنت مـولاه فهذا علي مولاه". وهو حديث يعترف المسلمون بصـحته ولكنهم ينفــون دلالته على الإمامــة. ومن هنا فــان الصــحابة (رضي الله عنهم) لم يفهموا من حديث الغدير أو غـيره من الأحـاديث معـنى النص والتعيين بالخلافة ، ولذلك اختاروا طريق الشورى ، وبـايعوا أبا بكر كخليفة من بعد الرســول (ص). وكــان منهم الإمــام علي نفسه الذي بايع أبا بكر وعمر وعثمان. ولم يسـتلم الخلافة الا بعد بيعة الناس له بيعة عامة في المسـجد. وينقل الكليــني رواية عن الإمام محمد الباقر يقول فيهـا إن الإمـام علي لم يـدع الى نفسه وإنه أقر القوم على ما صـنعوا وكتم أمـره.[4] وعنـدما قتل عثمـان وجاء المهاجرون والأنصار الى الإمام علي يطالبونه بتولي الخلافة ، دفعهم ، وقال لهم: " دعوني والتمسوا غـيري، واعلمـوا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، وان تركتموني فأنا كأحــدكم ، ولعلي أسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميرا".[5]

وهنــاك رواية في (كتــاب ســليم بن قيس الهلالي) تكشف عن إيمان الإمام علي بنظرية الشورى وحق الأمة في اختيار الإمــام ، حيث يقول في رسالة له:" الـواجب في حكم الله وحكم الإسـلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل .. أن لا يعملـوا عملا

---

[2] - الكليـني، الكـافي، ج1 ، ص 236 عن محمد بن الحسـين وعلي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن الوليد الصيرفي عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله (ع)

[3] - المفيد، الأمالي، ص220 ، المجلس رقم21، والمفيد، الارشـاد، ص 188

[4] - الكليني، روضة الكافي، ص 246

[5] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ، ص 450

ولا يحدثوا حدثا ولا يقدموا يـدا ولا رجلا ولا يبـدءوا بشـيء قبل أن يختـــاروا لأنفســـهم إماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضـــاء والسنة".[6]

وعنـدما أصـبح الإمـام علي (ع) حاكما كـان ينظر الى نفسه كانسان عادي غير معصوم ، ويطـالب المسـلمين أن ينظـروا اليه كـذلك ، ويقـول لهم:" إني لست في نفسي بفـوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هــو أملك به مني، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل".[7]

وعندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ، دخل المسلمون على الإمام علي، وطلبوا منه أن يستخلف ابنه الحسن ، فقال:" لا ، انا دخلنا على رسـول الله فقلنـا: اسـتخلف ، فقـال: لا ، أخـاف أن تفرقوا عنه كما تفـرقت بنو إسـرائيل عن هـارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم" . وسألوه أن يشـير عليهم بأحد ، فما فعل ، فقــالوا لــه: إن فقــدناك فلا نفقد أن نبــايع الحسن . فقال:" لا آمركم ولا أنهاكم . أنتم أبصر".[8]

وقد قام الإمام أمير المؤمنين (ع) بالوصية الى الإمام الحسن وسائر أبنائه، ولكنه لم يتحدث فيها عن الإمامة أو الخلافـة ، حيث كانت وصيته شخصية وروحية وأخلاقية.[9]

وذكر المؤرخون: انه لما توفي الإمام علي (ع) خـرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الى الناس فقال: إن أمـير المؤمـنين توفي ، وقد ترك خلفا ، فان أحببتم خـرج إليكم ، وان كـرهتم فلا أحد على أحد. فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.[10]

---

[6] - كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص 182، والمجلسي، بحار الانـوار، ج 8 ، ص 555 (الطبعة الحجرية)

[7] - الكليني، روضة الكافي، ص 292 و 293 والمجلسي، بحـار الأنـوار، ج 74 ، ص 302

[8] - المرتضى، الشافي، ج 3 ، ص 295 ، والمرتضى، تثبيت دلائل النبوة، ج 1 ، ص 212 و ابن ابي الدنيا، مقتل الامام أمـير المؤمـنين، ص 43 و المجلسي، بحار الأنوار، ج 7 ، باب أحاديث تنسب الى سليم غير موجودة في كتابه.

[9] - المفيــد، الارشــاد، ص 187 و الحافظ أبو بكر بن أبي الــدنيا، مقتل الامام أمير المؤمنين، ص 41 – 42 ، تحقيق مصطفى القزويـني، مركز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت

وبعد أن بايعه الناس قام الإمام الحسن بالتنـازل عن الخلافة الى معاوية، واشترط عليه العودة بعد وفاته الى نظـام الشـورى، حيث قال في شـروط الصـلح: "...على انه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين".[11]

ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول ، كما تقـول النظرية الامامية ، لم يكن يجـوز للإمـام الحسن أن يتنـازل عنها لأي أحد تحت أي ظـرف من الظــروف ، ولم يكن يجــوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشـيعته لبيعته ، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسـين وإنما كـان يجب أن يشـير إليه من بعده .. ولكن الإمـام الحسن لم يفعل أي شـيء من ذلك وســلك مســلكا يــوحي بالتزامه بحق المســلمين في انتخــاب خليفتهم عبر نظام الشورى.

وهكذا نجد ذات الفكر السياسي عند الإمام الحسين الذي خرج على يزيد بن معاوية ســنة 60 للهجــرة، حيث لا توجد أية آثــار لنظرية النص في رســائله الى شــيعة الكوفة، ولم يكن يطــالب بالخلافة كحق شخصي له "لأنه ابن الإمـــام علي أو انه معين من قبل الله". ولذلك فانه لم يفكر بنقل "الإمامة" الى أحد من ولده ، ولم يوصِ الى ابنه الوحيد الذي ظل على قيد الحيـاة (علي زين العابــدين)، وإنما أوصى الى أخته زينب أو ابنته فاطمة ، وكــانت وصـيته عادية جـدا تتعلق بـأموره الخاصـة، ولا تتحـدث أبـدا عن موضوع الإمامة والخلافة.[12]

وقد اعتزل علي بن الحسين السياسة ، ورفض قيادة الشيعة الذين كانوا يطالبون بالثأر لمقتل أبيه الحسين، ويعـدون للثـورة ، ولم يدّعِ الإمامة ، ولم يتصدَّ لها ، ولم ينــــــــازع عمه محمد بن الحنفية فيها ، وكما يقــول الشــيخ الصــدوق :" فانه انقبض عن الناس فلم يلق أحدا ولا كان يلقاه إلا خواص أصـحابه ، وكـان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلا يسيرا".[13]

---

[10] - المسعودي، مروج الذهب، ج 2 ، ص 44 وابن كثير ، البداية والنهاية، ج 8 ، ص 13، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 4 ، ص 8 و ج 16 ، ص 22

[11] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 65 ، باب : كيفية المصالحة، من تاريخ الامام الحسن المجتبى.

[12] - راجع : الصدوق، الامامة والتبصرة من الحيرة، ص 198، والصفار، بصائر الدرجات، ص 148 و 198

[13] - الصدوق، اكمال الدين، ص 91

وعنـدما قـام المختـار بن عبيـدة الثقفي بحركته في الكوفة ، كتب الى علي بن الحسين يريده على أن يبايع له ويقــول بإمامته ويظهر دعوته ، فأبى أن يجيبه عن كتابه ، فلما يئس المختــار منه كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريــــــده على مثل ذلك ، واخذ يدعو الى إمامته. وقد استلم محمد بن الحنفية قيادة الشيعة فعلاً ، ورعى قيام دولة المختار بن عبيدة الثقفي في الكوفة.

لقد كان أئمة أهل البيت يعتقـدون بحق الأمة الإسـلامية في اختيار أوليائها، وبضـرورة ممارسة الشـورى ، ويـدينون الاسـتيلاء على السلطة بالقوة. ولعلنا نجد في الحديث الذي يرويه الصدوق عن الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي بن الحسين عن الحســين بن علي عن أبيه عن جده رسول الله (ص) والذي يقول فيه:" من جـاءكم يريد أن يفــرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتــولى من غــير مشــورة فاقتلوه ، فـان الله عز وجـل قد أذن ذلك" [14].. لعلنا نجد في هـذا الحديث أفضل تعبير عن إيمـان أهل الـبيت بالشـورى والـتزامهم بها. وإذا كـانوا يـدعون النـاس الى اتبـاعهم والانقيـاد إليهم فإنما كانوا يفعلون ذلك إيمانا بأفضليتهم وأولــويتهم بالخلافة في مقابل الحكـام الـذين كـانوا لا يتبعـون الكتـاب ولا يقيمـون القسط ولا يدينون بالحق.

من هنا وتبعا لمفهـوم (الأولويـة) قـالت أجيـال من الشـيعة الأوائل، وخاصة في القــرن الأول الهجــري:" إن عليا كــان أولى الناس بعد رسول الله لفضله وسابقته وعلمه ، وهو افضل الناس كلهم بعده ، و أشجعهم و أشـجاهم وأرعهم وأزهـدهم" . وأجـازوا مع ذلك إمامة أبى بكر وعمر وعدوهما أهلا لذلك المكان والمقام ، وذكـروا: "إن عليا سـلم لهما الأمر ورضي بـذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه لهما ، فنحن راضـون كما رضي المسـلمون له ، ولمن بـايع ، لا يحل لنا غـير ذلك، ولا يسع منا أحـدا إلا ذلك ، وان ولاية أبى بكر صارت رشدا وهدى لتسليم علي ورضاه ".[15]

وكانت نظرتهم الى الشيخين أبى بكر وعمر نظرة إيجابية ، إذ لم يكونـوا يعتبرونهما "غاصـبين" للخلافة الـتي تركها رسـول الله شورى بين المسلمين، ولم ينص على أحد بالخصوص.

---

[14] - الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

[15] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 18

من الشورى إلى .. الحكم الوراثي

وحــتى بداية القــرن الثــاني الهجــري لم يكن الفكر السياسي الشيعي يعرف نظرية النص أو الإمامة الالهيـة، حيث كـان الإمـام محمد البـاقر يجـادل منافسـيه من أبنـاء علي والحسـين بـالعلم وامتلاك سلاح رسـول الله وحق وراثة المظلـوم ، اكـثر مما كـان يجـادلهم بالنص الصـريح أو الوصـية الواضـحة. وقد اعتمد الإمـام البـاقر في الـدعوة الى نفسه ، باعتبـاره أولى من الجميع ، للثـأر من مقتل جده الإمام الحسـين ، وبالتـالي قيـادة الشـيعة لتحقيق هــذا الهــدف ، فكــان يقــول:"ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا" (الإسراء 17:33)[16] بينما كان أخوه الإمام زيد بن علي يعتمد في إمامته على الجهـاد ويقـول: ليس الإمـام منا من جلس في بيته و أرخى ســتره وثبط عن الجهــاد ، ولكن الإمــام منا من منع حوزته وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه.[17]

ولم يكن الإمام الصادق يطرح نفسه كإمام مفـترض الطاعة من الله ، وإنما كـــزعيم من زعمـــاء أهل الـــبيت ، ولـــذلك فقد استنكر قول بعض الشيعة في الكوفة "إنه إمام مفــترض الطاعة من الله". وقال لمن سأله: ما اعـرف ذلك في أهل بيـتي .[18] وقد اســتطاع الإمـــام الصـــادق أن يثبت إمامته وجدارته في قيـــادة الشيعة بما كان يتمتع به من خلق رفيع وعلم غزير ومحتد كريم . ولم يكن بحاجة ماسة للوصـــية أو الإشـــارة إليه لكي يتبـــوأ ذلك المقـام العظيم الـذي احتله في المجتمع والتـاريخ. ولا توجد في التراث الشيعي أحاديث كثيرة عن موضوع النص عليه أو الوصــية له من أبيه بالإمامة ، ما عدا رواية تتحـدث عن وصـية عادية جـدا .[19]

ونتيجة لعدم تمتع الإمام الصادق بميزة "إلهية" خاصة ، وعدم معرفة الشـــيعة في ذلك الزمـــان بوجـــود أي نص إلهي حوله بالإمامة ، فقد قام عمه الإمام زيد بن علي بقيادة الشـيعة، وفجر ثورة في الكوفة سنة 122هـ ، والتف الشيعة من بعده حـول ابنه يحـيى بن زيد الـذي قـام بثـورة أخـرى ضد النظـام الأمـوي سـنة 125هــ.. وبعد فشل هـاتين الثـورتين بثلاثة أعـوام تفجـرت ثـورة

---

16 - العياشي، التفسير، ج 2، ص 291
17 - الكليني، الكافي، ج 1 ، 257 و 305
18 - المصدر
19 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 307 والمفيد، الارشاد، ص 272

شـيعية أخـرى واسـعة عـام 128 للهجـرة ، بقيـادة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيـار. وهي الثـورة الـتي عصـفت بجماهير الشيعة في مختلف مـدن العـراق وامتـدت الى المـاهين وهمذان وقومس واصبهان والري وفارس ، وقد كان شعار الثورة : (إلى الرضا من آل محمد) وهي دعـوة عمـوم الشـيعة في ذلك الحين ، وقد اتخذ عبد الله ابن معاوية من اصبهان مركـزا لدعوته وحركته ومناطق نفوذه ، وبعث الى الهاشميين علويين وعباسيين يـدعوهم إليه ليسـاهموا معه في إدارة البلاد الـتي سـيطر عليها فقدم عليه عدد كبير منهم.[20]

وبعد فشل هذه الثورة ذهب الشيعة الى اتباع الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ذي النفس الزكية الـذي ظهر في المدينة في أول رجب سنة 145هـ، في أيـام المنصـور العباسـي.[21]

بوادر الفكر الإمامي

وفي تلك الأثناء، قام فريق صغير من المتكلمين الشـيعة بـالغلو في أهل البيت، وادعى بعضهم كهشام بن الحكم الكندي وهشـام بن سـالم الجـواليقي ومحمد بن علي النعمـان ، الملقب بمـؤمن الطاق، وعلي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار ، وحمـران بن أعين ، وأبي بصير المـرادي :" أن الإمامة مفروضة من الله ، وهي في أهل الـبيت ، وإنها متوارثة في ذرية الحسـين بصـورة عمودية الى يوم القيامة ، وإنها تثبت بالنص أو الوصية أو المعاجز الغيبية".[22] وكانوا يغلفون أقوالهم بلفائف من الكتمـان ، ويـدعون أن الأئمة كـانوا يسـرون لهم بـذلك، خلافا لما كـانوا يعلنـون ، ويفسرون نفيهم لهذه النظرية بالخوف والتقية.

فلسفة العصمة

---

[20] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 241

[21] - النوبخـتي، فـرق الشـيعة، ص 62 والمفيـد، الارشـاد، ص 268، والاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 167

[22] - الكليني، الكافي، ج 1، ص 174، والطبرسـي، الاحتجـاج، ج 2، ص 141

وقد انطلق أولئك المتكلمون في بناء نظريتهم "الإمامية" من ضـــرورة "العصـــمة" في الإمـــام (أي الـــرئيس أو الخليفة أو السـلطان) وذلك بنـاء على مفهـوم الإطلاق في الطاعة لأولي الأمر، وعدم جواز النسبية فيها. وهو المفهوم الذي كـان الحكـام الأمويـون يـدأبون على ترويجه، ويطـالبون المسـلمين بطـاعتهم طاعة مطلقة في الخــــير والشر ، على أساسه. وهو ما أوقع فلاسـفة الإمامية والمتكلمين في شـبهة التنـاقض بين ضـرورة طاعة الله الـذي يـأمر بطاعة أولى الأمـر، كما في الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول و أولي الأمر منكم) النساء 59، وضرورة طاعة الحكام بصـورة مطلقة حـتى في المعاصي والمحرمات. فقال المتكلمـون بضـرورة أن يكـون الإمام (مطلق الإمام) "معصـوماً من الله" حـتى لا يـأمر بمعصـية ولا يقع المســلمون في حــرج التنــاقض بين طاعته في ذلك وعصيان الله ، أو معصيته وعصيان الله الذي يأمر بطاعته.[23]

وبالإضافة الى قضية الطاعة وضرورة أن يكون الـوالي أو صـاحب الأمر معصـوماً ، ادعى بعض المتكلمين الشـيعة عـدم استطاعة المسلمين التعامل مع القرآن والاستفادة منه مباشـرة، وقالوا بوجود حاجة الى مفسر للقـرآن الكـريم يسـتقي علمه من الله.[24] ورفضوا طريق الاجتهـاد للحصـول على العلم الشـرعي.[25] ورأى بعضـهم ضـرورة تـوفر شـروط أخـرى في الإمـام ، وهي وجـــوب أن يكـــون أفضل المســـلمين ، وعـــدم جـــواز إمامة المفضول.[26]

وبعد تقرير ضرورة اتصاف الإمام ، مطلق الإمام ، بالعصـمة والأفضـلية، وعـدم جـواز إمامة غـير المعصـوم أو الجاهل أو المفضول ، وهو ما لا يوجد طريق للتعرف عليه سوى إرشـاد الله تعالى اليه، قام الفكر الامـامي بإسـقاط الشـورى طريقا لاختيـار الإمام ، ليحل محلها النص أو الوصية أو المعاجز الغيبية التي تميز الإمام المختار من قبل الله تعالى عن غيره من البشر.[27]

يقول الشريف المرتضى:" إذا ثبت وجوب كون الإمـام عالما بكل الأحكـام اسـتحال اختيـاره ووجب النص عليه... وإذا ثبت أن

---

23 - الطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ، ص 192
24 - الكليني، الكافي، ص 169 و المرتضى، الشافي، ج1، ص14 - 15
25 - المصدر، ج 1 ، ص 236
26 - المصدر ، ج 1، ص 199 - 211
27 - المفيد، الثقلان، ص 179 -?

الإمـــام لنا في جميع الـــدين وعلومه وأحكامه ، وجب أن يكـــون افضل منا في جميع ذلك ، وفي ثبـــوت كونه افضل واكـــثر ثوابا وجـــــــــــوب النص عليه ، لأن ذلك مما لا طريق الى معرفته بالاختيار".[28] ويضـيف:" اعلم أن كلامنا في وجـوب النص ، وانه لا بد منه ولا يقوم غيره في الإمامة مقامه ، تقدم ، وذلك كـافٍ في فســـاد الاختيـــار ، لأن كل شـــيء أوجب النص بعينه فهو مبطل للاختيار".[29]

وبعد أن يبطل الفكر الإمامي قانون الشورى والانتخاب، ينتقل الى ضـرورة النص على الإمــام من الله كطريق وحيد لمعرفته ، ثم يحصر الإمامة في الأئمة المعصـــومين من أهل الـــبيت ، وهم الإمــام علي بن أبى طــالب والحسن والحســين والأئمة من ذرية الحسين "الذين نصّبهم الله تعالى قـادة لخلقه الى يـوم القيامة". ولكن الفكر الإمامي يعجز عن إثبات النصـوص على الأئمة الإثـني عشر ، وخاصة الإمـــام علي بن الحســـين ، الـــذي يشـــكل حلقة الوصل بين الإمــام الحســين ، وبين بقية أبنائه الى يـوم القيامـة. ولـذلك يـذهب الى الاعتمـاد على وسـائل أخـرى غـير النص في إثبات الإمامة للأئمة الآخرين ، وهي الوصية والعقل والمعاجز وما الى ذلك. **[30]**

انحصار الإمامة في ذرية الحسين

واختلف الشيعة الأوائل في امتداد الإمامة في البيتين الحسني أو الحسيني، فقال بعضهم كالجارودية: إن حـديث الثقلين يشـمل الجميــع. وبنـــوا نظـــريتهم في جـــواز الإمامة في أبنـــاء الحسن والحسين على ذلك الحديث .[31] وفضل بعضهم أبنـاءَ الحسن على أولاد الحسين، وذهبوا الى كون المهـدي المنتظر منهم. فيما قـام فريق ثـــالث بحصر الإمامة في ذرية الحســــين فقط دون دليل ظـاهر. وقد ادعى هشـام بن سـالم الجـواليقي انه سـأل الإمـام الصادق كيف صـارت الإمامة من بعد الحسـين في عقبه دون ولد الحسن ؟.. فقــال:"إن الله تبــارك وتعــالى أحب أن يجعل ســنة موسى وهـــارون جارية في الحسن والحســـين، ألا تـــرى انهما شـــريكين في النبــوة كما كــان الحسن والحســين شــريكين في

---

[28] - المرتضى، الشافي، ج 2 ، ص 17 و 42
[29] - المرتضى، الشافي، ج 4 ، ص 6
[30] - المفيد، الإرشاد، ص 278 – 279 والحلي، نهج الحق، ص 168
[31] - المفيد، الثقلان، ص 10

الإمامة".[32] ولكن الشيعة ظلوا يتساءلون عن سر حصر الإمامة في ذرية الحسين مع قيام أبناء الحسن بقيادة الشيعة عمليا وتفجيرهم للثورات المختلفة هنا وهناك.[33] وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن ينكر حصر الإمامة في البيت الحسيني ، ويقول مستنكرا: "كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة ؟! وهما في الفضل سواء، إلا ان للحسن على الحسين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل".[34]

الوراثة العمودية

وإضافة الى ذلك قال الامامية بامتداد الإمامة في أولاد الحسين بصورة عمودية حتى قيام الساعة، وذلك في الأكبر فالأكبر ، وعدم جواز انتقالها الى أخ أو ابن أخ ، أو عم أو ابن عم.[35] وقد روى الكليني والصدوق والمفيد والطوسي أحاديث عن الإمام الصادق تشير الى قانون الوراثة العمودية وامتداد الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، هكذا أبداً الى يوم القيامة.[36]

استمرار الإمامة الى يوم القيامة

وبعد سقوط نظرية الشورى، عند فلاسفة نظرية الإمامة الإلهية، كطريق لانتخاب الإمام ، كان لا بد أن تمتد هذه النظرية من يوم وفاة الرسول الأعظم (ص) الى يوم القيامة ، ولا تتحدد في فترة معينة. ومن هنا قال هشام بن الحكم في حواره مع ضرار:"لا بد من أن يكون في كل زمان قائم بهذه الصفة (العصمة) الى أن تقوم الساعة". وروى أبو بصير عن الإمام الباقر أن الإمامة في ولد علي وفاطمة الى أن تقوم الساعة". [37]

---

32 - الصدوق، إكمال الدين، ص 416
33 - الصدوق، إكمال الدين، ص 120
34 - الصدوق، اكمال الدين، ص 210
35 - الصدوق، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 177 و المفيد، الرسائل العشر، مختصر من الكلام على الزيدية، ص 157

36 - الكليني، الكافي، ج 1، ص 286 ، والمفيد، الإرشاد، ص 289، والصدوق، إكمال الدين، ص 414، والطوسي، الغيبة، ص 118

37 - الصدوق، إكمال الدين، ص 222

وروى إسحاق بن غالب عن أبى عبد اللـه الصـادق:".. كلما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما".[38]

وفي الحقيقة لم تكن هنــاك قائمة مســبقة بأســماء الأئمة القــادمين ، وإنما كــانت هــذه القضــية متروكة للــزمن، وهنــاك أحـاديث عديـدة تقـول: إن الأئمة لم يكونـوا يعرفـون بخلفهم من قبل، وانهم كانوا يعلمون بذلك في اللحظات الأخيرة من حيـاتهم، حيث يــروي الصــفار عن الإمــام الصــادق انه قــال: "إن الإمــام الســابق لا يمــوت حــتى يعلمه الله الى من يوصي، و إن الإمــام التالي يعرف إمامته في آخر دقيقة من حياة الأول".[39]

ونظرا لعدم وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة، معدة من قبل ، فقد كانت قضـية معرفة هوية الإمـام الجديد تعتـبر قضـية هامة عند الامامية. وكــانوا يســألون الأئمة دائما عن مواصــفات الأئمة القادمين، وكان الأئمة يجيبونهم بالعلامـات لا الأسـماء، كالسـكينة والوقار والعلم والكبر والوصية.[40] وكثيراً ما كـان الأئمة يرفضــون إخبــارهم بــذلك.[41] وهنــاك أحــاديث كثــيرة تصــرح بإمكانية جهل الشيعة بالإمام، وترسم لهم الموقف في ذلك الظـرف، كالتمسك بالأول حتى يستبين الآخر.[42]

وقد روى الكليني والصدوق والمفيد حديثا عن عيسى بن عبد الله العلوي العمري عن أبى عبـد الله جعفر بن محمد، قـال قلت له:"جعلت فداك : إن كان كــونٌ ولا أراني الله يومك فبمن أأتم ؟ قــال: قــال فأومأ الى موسى ، فقلت : فــإن مضى موسى فبمن أأتم ؟.. قال : بولده ، قلت فان مضى ولده وترك أخا كبــيرا وابنا صغيرا فبمن أأتم ؟.. قال: بولـده ، ثم هكـذا أبـدا ، قلت: فـان أنا لم اعرفه ولم اعرف موضعه فما اصنع ؟.. قال:تقـول: اللهم إني

---

38 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 204 و الصدوق، إكمال الدين، ص 245 و الصــدوق، عيــون أخبــار الرضــا، ج 1، ص261، وج 2 ، ص 131 ، والعطاردي، مسند الرضا، ص 108

39 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 473 – 474 و 477 - 478

40 - الصــفار، بصــائر الــدرجات، ص 489 وابن بابويه الصــدوق، الإمامة والتبصــرة من الحــيرة، ص 226 و الكليــني، الكــافي، ج 1 ، ص 284، والصدوق، الخصال، ص 116

41 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 236، و239

42 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 342 و الصدوق، إكمال الدين، ص 348 و 350 - 351

أتــولى من بقي من حججك من ولد الإمــام الماضــي، فــان ذلك يجزئك".[43]

سرية نظرية الإمامة

إن نظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصمة والنص، لم تكن شائعة ومعروفة في أوسـاط الشـيعة أو أهل الـبيت أنفسـهم في القـــرن الأول الهجـــري ، ولم تكن لها رائحة في المدينـــة، وإنما بدأت تدب تحت الأرض في الكوفة في بداية القرن الثاني، وكـان المتكلمون الذين ابتـدعوها يلفونها بسـتار من التقية والكتمـان.[44] وبما أن الأئمة من أهل الـبيت كـانوا ينفـون نظرية الإمامة الالهية وينفـون علمهم بـالغيب، فقد أطلق المتكلمـون الإمـاميون على هـذه الحالة اسم "التقية". وذلك لكي يفسـروا ظـاهرة التنـاقض بين أقـوال الأئمة وسـيرتهم العلنية القائمة على الشـورى والعلم الطـــــبيعي ، وبين دعـــــوى "الإمامة الإلهية القائمة على النص والتعيين والعلم الإلهي الغيبي" ، والتي كان ينسبها الاماميون الى أهل البيت سراً.

نظرية الإمامة في مواجهة التحديات

نقد فلسفة العصمة

لم تكد نظرية الإمامة الإلهية تولد، حتى واجهت سلسـلة من التحـديات الـتي وضـعتها على محك الاختبـار، وأثبتت اسـتحالتها ، فمن جهة كان مبدأ اشتراط "العصمة" في الإمـام، الـذي قـامت عليه، مبدأ حادثاً، مرفوضا من قبل أهل البيت وعمـوم الشـيعة ، حيث كانت فلسفة العصـمة تقـوم على مبـدأ الإطلاق في الطاعة لولي الأمر، وعدم جواز أو إمكانية النسبية فيها ، وذلك مثل الــرد على الإمام ورفض إطاعته في المعاصي والمنكـرات لو أمر بها ، والأخذ على يـده عند ظهـور فسـقه وانحرافه . وهو المبـدأ الـذي كـان الحكـام الأمويـون يـدأبون على ترويجه ومطالبة المسـلمين بطـــاعتهم على أساسه طاعة مطلقة في الخــير والشر ، وهو ما أوقع فلاسفة الامامية في شبهة التنـاقض بين ضـرورة طاعة الله

---

[43] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص86 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 350 ، والمفيد، الإرشاد، ص 289

[44] - الكليني، روضة الكافي، ص 10

الـذي يـأمر بطاعة أولى الأمر في الآية الكريمـة: (يا أيهـا الـذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء 59 ، وضـرورة طاعة الحكـام بصـورة مطلقة حـتى في المعاصي والمحرمات.[45]

لكن هـذا الأمر لم يثبت من إطلاق الآية الشـريفة ، الـتي قد تفهم أيضا على أساس النسبية ، بل إن هـذا ما يـوحي به العـرف والعقل والآيات الأخرى في القرآن الكريم ، التي تؤكد على مبـدأ :" لا طاعة لمخلـوق في معصـية الخـالق ". ومع إن آية (أولي الأمر) كانت تنطبق على أولي الأمر والـولاة والقـادة الـذين كـان يعينهم الرسـول الأكـرم في حياته ، فـان المسـلمين الأوائل لم يكونوا يفهمون منها : معـنى الإطلاق ، والطاعة لأولي الأمر حـتى في المعاصي والمنكرات، وقد رفضت جماعة من المسلمين كان الرسـول الأكـرم قد أرسـلها في سـرية وأمّـر عليها رجلا ، طاعة ذلك الرجل عنـدما أمر الجماعة في وسط الطريق بـدخول نـار أشعلها ، وطـالبهم بالامتثـال لأوامـره ، وقـالوا لـه: لقد فررنا من النار فكيف ندخل فيها . وفهموا الطاعة في حدود العرف والعقل والشرع ، وليس خـارج ذلك ، وعـادوا فـأخبروا الرسـول بما فعل القائد ، فأقرّهم على موقفهم العقلائي ،وحذرهم قـائلا: لو دخلتم فيها للبثتم فيها.

وهذا ما يؤيد إمكانية الفهم النسبي لآيات القرآن الكـريم في حدود العقل والعرف والسيرة والشـرع، وعـدم جـواز فهمها فهما مطلقا دائما حتى في حالات التعارض مع أحكـام أخـرى عقلية أو شرعية.

وإذا انتفى الإطلاق وثبتت النسبية في الطاعة لأولي الأمر؛ لا تبقى حاجة الى اشتراط العصمة في الإمـام ، ويمكن للمسـلمين انتخاب قائد لهم على أساس العدالة الظاهرية والتقوى والكفاءة، ليطبق لهم الـدين ويـأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكر. وإذا انحرف هـذا القائد (الإمـام) فـان لهم الحق في عصـيانه ومخالفة أوامـره وإسـقاطه عن منصب الإمامة ، ولا طاعة له من الله في أعنـاقهم. ولكن المتكلمين الامامية رفضـوا النسـبية رفضا مطلقا

---

[45] - الكراجكي، كنز العرفان، ص 449، والطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ، ص 192، والحلي، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، ص 51 ونهج الحق، ص 164

وأصروا على مفهوم الإطلاق من الآية ، ولذلك بنـوا نظـريتهم في العصـمة على هـذا الأسـاس ، ثم أقـاموا سـائر المقـولات على قاعدة العصمة.[46]

وكان أهل البيت أنفسهم يرفضون "العصمة " أشد الرفض ، ويصرحون أمام الجمـاهير بـأنهم أنـاس عـاديون قد يخطئون وقد يصيبون وأنهم ليسوا معصـومين من الـذنوب ، ويطـالبون النـاس بنقـدهم وإرشـادهم واتخـاذ موقف المعارضة منهم لو صـدر منهم أي خطأ أو أمــروا بمنكر لا ســمح الله . وقد وقف الإمــام أمــير المؤمــنين علي بن أبى طــالب في مســجد الكوفة وخــاطب الجموع قائلا: "لا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مــني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي اســتثقالا في حق قيل لي ولا التمــاس إعظــام لنفسي لما لا يصلح لي ، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كــان العمل بهما اثقل عليه .. فلا تكفــوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفــوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مــني . فإنما أنا وانتم عبيد مملوكـون لـرب لا رب غـيره يملك منا ما لا نملك من أنفســنا ، وأخرجنا مما كنا فيه الى ما صــلحنا عليــه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى".[47]

وقال الإمام الصادق: " والله ما نحن إلا عبيد ... ما نقـدر على ضرّ ولا نفع ، إن رحمنا فبرحمته، وان عذبنا فبــذنوبنا ، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله بـــــراءة ، وإنا لميتـــــون ومقبــورون ومنشــورون ومبعوثــون ومسـئولون .. أشــهدكم أنى امـرئ ولـدني رسـول الله وما معي بـراءة من الله ، إن أطعت رحمني وان عصيته عذبني عذابا شديدا".[48]

أزمة البداء

---

[46] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 362 – 368 والمفيـد، شـرح عقائد الصدوق، ص 106 ، والنكت الاعتقادية، ص 48 – 49 ، والحلي، كشف المراد، ص 365 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 11، ص 291

[47] - انظر الخطبة كاملة في: روضة الكافي للكليني، ص 292 – 293 ، وبحار الأنوار للمجلسي، ج 74 ، ص 309

[48] - الكليني، الكافي، ، الروضة، ص 312 ، والحر العاملي، إثبات الهداة، ص 770

ومن جهة أخرى أصيبت النظرية الامامية الوليدة ، في منتصف القرن الثاني الهجري، بنكسة شديدة عنـدما تـوفي إسـماعيل بن جعفر الصادق ، وكان الاماميون في الكوفة قد التفوا حوله ونقلوا عن أبيه: أن إسماعيل خليفته من بعده ، فلما توفي في حياة أبيه تبين أن تعيينه ليس من الله ، وإلا فانه لم يكن ليمـوت قبل أبيه ، أو كان الإمام يوصي الى من يعلم من الله انه سـوف يبقى بعده. ولكن الإمامية غطوا على هذه المشكلة، بالقول بالبداء ، والـزعم بتغير إرادة الله بشـأن إسـماعيل ، بعد أن كـان الإمـام الصـادق ، حسب قولهم، قد أشار اليه وعينه إماما من بعده.

ورفض الإمـام الصـادق بعد ذلك تحديد هوية الإمـام من بعـده، فتـوفي زرارة بن أعين ، وهو من أكـبر أصـحاب الإمـامين البـاقر والصــادق ، دون أن يعــرف هوية الإمــام الجديد ، فوضع القــرآن على صــدره وقــال: اللهم اشــهد أني أأتم بمن أثبت إمامته هــذا المصـحف.[49] ولكن معظم الشـيعة ذهبـوا الى القـول بإمامة عبد الله الأفطح بن الصـادق، باعتبـاره أكـبر أولاد الإمـام.[50] وكـاد أن يحضى بإجمـاع الشـيعة عليه بـالرغم من عـدم وجـود نص واضح وصريح عليه من أبيه الإمام الصـادق.[51] إلا أن عبد الله تـوفي بعد حوالي سـبعين يوما من وفـاة أبيه الصـادق ، دون ان يخلف ولـدا تستمر الإمامة في ذريته ، وهذا ما خلق أزمة جديدة في صــفوف الامامية الذين كـانوا يعتقـدون أن الإمامة من الله ، وانها لا بد ان تستمر في الأعقاب وأعقاب الأعقاب هكذا أبدا الى يــوم القيامة، فانقســــــموا الى ثلاث فــــــرق ، حيث تراجع قسم منهم وهم "الموسوية" عن القول بإمامته وشـطبوا اسـمه من لائحة الأئمة. وانتقل قسم آخر الى القــــول بإمامة أخيه موسى من بعــــده ، وعرف هؤلاء بالفطحية، وكانوا من كبار أصـحاب الإمـام الصـادق وبقية الأئمة اللاحقين .[52] وقد تجــــاوز هــــؤلاء مســــألة الوراثة العمودية ، وأجازوا القول بإمامة الأخوين إذا لم يكن للسابق ولد. بينما أصر فريق ثــالث على ادعــاء وجــود ولد لعبد الله الافطح ،

---

[49] - الصدوق، إكمال الدين، ص 75 - 76

[50] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 351 – 352 ، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252 ، والكشي، الرجال، ترجمة هشام بن سالم

[51] - الأشعري، المقالات والفرق، ص 87

[52] - المفيـد، الفصـول المختـارة، ص 253، والإرشـاد، ص 285 و291 والصـدوق، الإمامة والتبصـرة من الحـيرة، ص 205 ، والنوبخـتي، فـرق الشيعة، ص 77 – 78 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87

في السر ، وقد أخفـاه للتقية ، وقـالوا إن اسـمه (محمد بن عبد الله) وانه المهدي المنتظر ، وانه غائب في اليمن.

وقد كشفت هذه الأزمة عن هشاشة وغموض نظرية النص في الإمامة ، وصعوبة تحديد الامامية أو معـرفتهم بالإمـام المنصـوص عليه من الله، أو اتفاقهم عليه، وإمكانية القول بإمام لا تتوفر فيه شروط الإمامة ، ثم التراجع عنه بعد ذلك ، مثل عبد الله الأفطح.

دليل المعاجز

ولما لم يكن الإمام موسى الكاظم يدعو الى نفسه، ولم يكن يوجد عليه أي نص خـــاص من الله أو من أبيه ، فقد لجأ الامامية الى سلاح "المعاجز وعلم الغيب" ليثبتـوا وجـود الارتبـاط الخـاص بالسماء للإمام الكاظم ، وتحديده من بين اخوته كـوريث شـرعي ووحيد للإمام الصادق.[53] ويقول الكليـني:"إن الإمـام الكـاظم كـان يعلم مـتى يمـوت الرجل ويخـبر أصـحابه بـذلك ، كما يخـبرهم بمصائرهم في المستقبل.[54] إلا ان هذا "الدليل" كان يعــاني من مشكلة صعوبة إثباته لأي أحد، خاصة في ظل نفي الإمام الكاظم له وإنكاره لمعرفة علم الغيب .

ولم تكد نظرية الإمامة تلتقط أنفاسـها بعد أزمة الوصـية الى إسماعيل والبــداء فيه ، وأزمة عبد الله الأفطح ووفاته دون عقب ، ثم أزمة إثبات إمامة الكاظم، حتى وقعت في أزمة جديـدة هي: وفاة الإمام موسى الكاظم في سـجن هـارون الرشـيد في بغـداد سـنة 183هــ بصـورة غامضة ، وقـول عامة الشـيعة الموسـوية بهروب الإمام من السجن وغيبته ، وإنكار وفاته. وقد كـانت وفـاة الكـــــــاظم غامضة حقاً بحيث التبس الأمر على معظم أبنائه و تلامذته وأصحابه.[55] وكان السـبب الرئيسي في (وقـوف) الشـيعة الموسـوية على الإمــام الكــاظم ، ورفض الاعــتراف بإمامة ابنه الرضا ، هو وجـــود روايـــات كثــيرة متداولة تلك الأيـــام بمهدوية الكاظم وحتمية قيامه قبل موته.[56]

---

53 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 285، والمفيد، الإرشاد، ص 307

54 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 484

55 - الطوسي، الغيبة، ص 47، والكليني، الكافي، ج1 ، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 39

56 - الطوسي، الغيبة، ص 29 - 40

وقد تشـبث الامـاميون في عملية إثبـات "الإمامـة" للرضا، بوصية الإمام الكاظم اليه ، ولكن الوصية كـانت غامضة أيضا ، و غـير صـريحة بالإمامة ، خاصة وان الكـاظم أشـرك فيها بقية بنيه مع الرضـا.[57] ونتيجة لغمــوض النص حــول الإمــام الرضا ، وعدم شيوع نظرية الإمامة الإلهية بين أوساط الشيعة في عهده، فقد بــرز عــدد من الزعمــاء العلــويين الآخــرين كقــادة للحركة الشــــيعية المعارضة ، كعلي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب ، و عبد الله بن موسى ، و محمد بن إبــــــراهيم ابن طبطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طـالب. وأعلن محمد الـديباج بن الإمـام الصـادق، نفسـه: "أمـيرا للمؤمــنين" في الحجـــاز ، وأخذ البيعة بعد صـــلاة الجمعة لست خلــون من ربيع الآخر ســنة 200 للهجــرة، وقد رجــا أن يكــون المهـدي القـائم .. ولكنه سـرعان ما فشل وتنـازل عن الخلافة ، وبايع المأمون.[58]

وما يهمنا من أمر محمد الديباج ، هو موقف الطالبيين والشيعة عموما من حركته، وحشر النـاس لبيعته ، وهو ما يـدل على حجم التأييد له بالنســـبة الى ابن أخيه الرضا ، وجهل عامة الشـــيعة بنظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصـــمة والنص الـــتي كـــان يقول بها جماعة من المتكلمين في الكوفة بصورة سرية.

وعندما عرض المأمون العباسي الخلافة على الإمام علي بن موسى الرضا عام 201 للهجرة ، فانه لم يعرضـها عليه باعتبـاره الإمـام الثـامن في سلسـلة الأئمة الاثـني عشر ، وإنما بنـاء على فضـله وجلالته ، وكـان المـأمون قد عاهد الله ، خلال صـراعه مع أخيه الأمين، أن ينقل الخلافة الى افضل آل أبى طالب، ثم أعلن: ان علي الرضا هو افضل العلــويين. [59] وقد دعا المــأمون الإمــام الرضا لاسـتلام الخلافة منه ، وعنـدما رفض الإمـام ذلك ، عـرض عليه ولاية العهد فقبلها.[60]

---

[57] - القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر، ص 410 – 411 (نقلا عن تحفة العالم للسيد جعفر آل بحر العلوم، ج 2 ، ص 87)

[58] - ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 121، والأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 353 ، وتاريخ الطبري، ج 3 ، ص 989

[59] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 563

[60] - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 246

ومهما اختلف المؤرخـون في تحليل موقف المـأمون ، فـان مبايعة الإمام الرضا له وقبوله بولاية العهـد، يكشـفان عن موقف أيديولوجي ظـاهر بشـرعية خلافة المـأمون وواقعية إمامة الرضا، بعيـــــــــــدا عن نظرية "الإمامة الإلهية الخاصة في أولاد علي والحسين" .

وقد تحدث الإمام الرضا عن نظرية الشورى بصراحة وروى عن آبائه وأجداده الأطهار ، حديثا عن رسول الله (ص) أنه قـال:" من جـاءكم يريد أن يفـرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتـولى من غير مشورة فاقتلوه فان الله قد أذن ذلك".[61] وهو ما يكشف عن نظرية الإمام الرضا السياسية الحقيقة المنسجمة مع الخط العام لأهل البيت ، والـتي تؤكد حق الأمة في الشـورى واختيـار حكامها وتـــدعو الى قتل كل من يغتصـــبها حقها ويســـتولي عليها بـــدون إرادتها ..

أزمة الطفولة

ورغم ذلك فقد كان الإماميون يتشبثون بأفكارهم المغالية بعيدا عن أهل الـبيت، ولكنهم كـانوا يصـابون كل يـوم بصـدمة جديـدة. وبينما كـــانوا يحـــاولون إثبـــات إمامة الرضا "الإلهيـــة" بالنصـــوص والمعاجز، توفي الإمام الرضا في خراسان سـنة 203 هــ وكـان ابنه (محمد الجواد) يبلغ من العمر سبع سـنين ، مما أحـدث أزمة جديـدة في صـفوفهم ، وشـكل تحـدياً كبـيراً لنظـريتهم السـرية الوليـــدة . حيث لم يكن يعقل ان ينصب الله تعـــالى لقيـــادة المسلمين طفلا صغيراً غـير مكلف شـرعا، محجـوراً عليه لا يحق له التصرف بأمواله الخاصة حسبما يقول القرآن الكريم: (وابتلـوا اليتامى حتى إذا بلغـوا النكـاح، فـان آنسـتم منهم رشـدا فـادفعوا إليهم أمـــوالهم) النســـاء 6، ولم تتح له الفرصة للتعلم من أبيه الذي تركه في المدينة وله من العمر أربع سنوات.[62] وهذا ما أدى الى انقسام الامامية الى عدة فرق :

أ - فرقة عادت الى الوقف على موسى الكاظم.[63]

---

[61] - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

[62] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 88 والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 96 - 98

[63] - الأشـعري القمي، المقـالات والفـرق، ص 96 ، والمفيـد، الفصـول المختارة، ص 112 - 113

ب - وفرقة ذهبت الى أخي الإمام الرضا (أحمد بن موسى) وكـان على درجة من العلم والتقـوى والـورع ، كما يصـفه الشـيخ المفيد في (الإرشـاد). [64] وقد نحـا هـؤلاء منحى الفطحيـة، ولم يلتزموا بدقة بقانون الوراثة العمودية ، واعتبروا الجواد الذي كـان طفلا صغيرا كأنه لم يكن. وذهب قسم آخر منهم للالتفـاف حـول الإمــام محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحســين بن علي بن أبى طــالب ، الــذي كــان يعيش في الكوفة ، وكــان معروفا بالعبـادة والزهد والـورع والعلم والفقه ، وفجر ثـورة ضد الخليفة المعتصم في الطالقان سنة 218 هـ .[65]

ج - وفرقة قالت بإمامة الجواد ، ولكنها اضطربت في الإجابة على مشكلَتَي العمر والعلم.[66]

ولما كان الاماميون يعتبرون الإمامة شبيهة بـالنبوة، وأنها من الله ، فلم يصعب عليهم الاستشهاد بآية من القرآن الكريم تقول: (وآتيناه الحكم صبياً) مـريم 12، وقـالوا: كما أعطى الله النبـوة ليحيى وهو طفل صـغير ، وكما أعطاها لعيسى وهو طفل صـغير، كذلك فلِمَ لا يجوز أن يعطي الإمامة لمحمد الجواد وهو ابن ســبع سنين؟ و رووا عن الجواد انه قال لمن استشكل في عمره :" إن الله تعالى أوحى الى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يــرعى الغنم". [67]

وبالرغم من عدم وجود نص صريح بالإمامة من الرضا على الجواد ، أو الوصية له ، وعدم ادعاء الإمام الجواد نفسه بالإمامة، فقد اضطر الإماميون للقول بإمامته إنقاذا لنظريتهم من التهـاوي والسقوط ، وكان لا بد أن يبنوا قولهم على مجموعة من حكايات المعاجز والعلم بالغيب .[68]

---

[64] - المفيد ، الإرشاد ، والفصول المختارة، ص 256، والنوبختي، فرق الشيعة، ص 88 والأشعري ، المقالات والفرق، ص 97

[65] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 579 ، وتاريخ الطبري، ج 7 ، ص 223

[66] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 86 - 90 والأشعري ، المقالات والفرق، ص 99

[67] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 382 – 384 و 494

[68] - الصدوق، ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 222 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 353 و496

وقد تكررت مشكلة " صغر عمر الإمام" مرة أخـرى مع ابن الجواد (علي الهادي) ، حيث توفي الجـواد في مقتبل عمـره ولما يكمل الخامسة والعشـرين ، وكـان ولـده علي صـغيرا لم يتجـاوز السابعة. ولذلك أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقـات والرقيق الى أحد أصـحابه وهـو: (عبد اللـه بن المسـاور) وأمـره بتحويلها الى الهـادي عند البلــوغ ، وشــهد على ذلك (أحمد بن أبى خالد) مـولى أبى جعفر.[69] وهـذا ما دفع الشـيعة أيضا الى التسـاؤل: إذا كـان الهـادي بنظر أبيه غــير قـادر على إدارة الأمــوال والضــياع والنفقــات لصـغره ، فمن هو الإمــام في تلك الفــترة ؟.. وكيف يقـــوم بالإمامة طفل صـــغير ؟.. ولم يقـــدم الإمامية دليلا على إمامة الهادي ، سوى دعاوى المعاجز وعلمه بالغيب.[70]

مشكلة البداء .. مرة أخرى

كانت مسألة الإمامة عند أهل البيت وعامة الشيعة، تختلف في مفهومها عند "الامامية" الذين كانوا يشكلون فريقا صغيرا وسـريا في الشيعة ، فهي كـانت إمامة عادية بشـرية عند أولئك ، وإمامة ربانية عند هـؤلاء. ومن هنا كـان أئمة أهل الـبيت يشـيرون أحيانا الى أحد أبنائهم ، أو يتوقعون أن يخلفهم في مقامهم التــوجيهي ، ويمـوت في حيـاتهم ، فيشـيرون الى رجل آخر ، ولا يجـدون في ذلك أي حرج أو تنـاقض. ولكن وفـاة أحد أبنـاء الأئمة المرشـحين للخلافة كـــان يســبب أزمة في صـــفوف الامامية الـــذين كـــانوا يعتقدون أن نصب الإمام يـأتي من الله تعـالى، ولـذلك فقد كـانوا يستغربون أن يموت الإمـام المقـترح و"المعين" في نظـرهم في حياة أبيه ، ويعتبرون ذلك تغييراً في الإرادة الإلهية ، وهو ما عبروا عنه بـ:" البداء" مع انه كان من الصـعب عليهم الاعـتراف بالبـداء وتغيير الله لإرادته في هكذا موضوع (كالإمامة) ، وذلك لما يسببه التغيير فيها من حرج وتشكيك للناس في صدقية الأئمة والـتراجع عن اعتبار النص من الله.

لقد فسر الامامية وفاة إسـماعيل بن جعفر الصـادق ، الـذي كـــانوا قد رشـــحوه لخلافة أبيه ، بالبـــداء ، ورفض بعضـــهم قصة الترشيح من أساسها في وقت لاحق ، بينما أنكر بعضٌ آخر الوفاة ، وأصر على اختفــاء إســماعيل عن الأنظــار. وقد ســببت وفــاة إســماعيل هــزة في الفكر الامــامي أدت الى تراجع الكثــير من

---

[69] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 325

[70] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 467 ، والكليني، الكافي، ج 1، ص 498 – 499 ، 502

الامامية عن الاعتقاد بأن الإمامة تعـيين من الله. وتكـررت القصة مـرة أخـرى بعد مائة عـام تقريبا ، حيث أعلن الإمـام الهـادي عن ترشـيح ابنه (السـيد محمد) كخلف لـه، ولكنه تـوفي في حياته ، فأوصى الى أخيه الحسن العسكري وقـال له:" يا بني أحـدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمرا".[71] ومثلما حدث مع الإسماعيلية، فقد رفض قسم من شيعة الإمام الهادي الاعتراف بوفـاة ابنه محمد ، وأصــروا على القــول باســتمرار حياته وغيبته ، وتفســير إعلان الهادي لوفاة ابنه بأنه نوع من التقية والتغطية على الحقيقة.[72]

وتكـررت أيضا قصة وفـاة عبد الله الافطح دون عقب ، مع الإمام العسكري ، الذي توفي كذلك، دون أن يشير الى وجود ولد له أو يوصي الى أي أحد بالإمامة ، مما أدى الى وقـــــوع الأزمة الكـبرى والحـيرة العظمى في صـفوف الامامية ، وتفـرقهم الى أربعة عشر فرقة ، كل يقول برأي مختلف.

التطور الإثنا عشري

إذا القينا نظرة فاحصة على تاريخ الشيعة في القرنين الثاني والثالث، ورأينا تعاطفهم وتجاوبهم مع الثورات المختلفة التي كان يقودها الأئمة من أهل البيت، كثـورة الإمـام زيد وابنه يحـيى وابنه عيسى، وثـــــــورة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية وأخيه إبـراهيم ، وثـورة الحسـين شـهيد فخ ، وثـورة محمد بن القاسم وغيرهم .. وغيرهم ، لوجدنا أن عامة الشـيعة وجمـاهيرهم كـانت تلتف حول (أهل البيت) ولكن من دون تحديد الإمامة في سلسلة معينة ، أو الإيمـــان بـــالنص من الله على واحد منهم ، فضلا عن تسلسلها في أبنـاء الحسن أو الحسـين أو بشـكل عمـودي وراثي الى يـوم القيامة ، ولوجـدنا الشـيعة بصـورة عامة ، بعيـدين عن نظرية "الإمامة الإلهية" التي كان يقول بها بعض المتكلمين ســرا ويلصقونها بأهل البيت ، الذين كانوا يبرؤن منها في الحقيقة وفي الظاهر.

ولو القينا نظرة على تراث الامامية خلال ذينك القرنين الثاني والثالث لوجدنا النظرية الامامية مفتوحة وممتدة الى يوم القيامة ، وأنها لم تكن محصورة في عدد محدد من الأئمة أو فــترة زمنية

---

[71] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 326 – 327 ، والصفار، بصائر الدرجات، ص 473 ، والمفيد، الإرشاد، ص 337 والطوسي، الغيبة، ص 122

[72] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 94

خاصة . ومع إنها وصــلت الى طريق مســدود عند وفــاة الإمــام الحسن العســكري في ســنة 260 للهجــرة، دون أن يخلف ولــدا تســـتمر الإمامة فيه ، ودون أن يشـــير أو يوصي الى أي أحد من بعده ، فقد اعتقد الذين آمنوا بوجــود ولد مخفي له ، في البداية ، أن الإمامة ستسمر في ذرية ذلك الولد المخفي الى يوم القيامة، ولم يعتقــدوا في ذلك الحين ، أنه الإمــام الأخــير ، وأن الأئمة اثنا عشر فقط.

وتوجد في التراث الشيعي العشرات بل المئات من الروايـات الـتي تؤكد على اسـتمرار الإمامة الى يـوم القيامة ، مما يؤكد أن النظرية الامامية لم تكن محــددة في عــدد معين، خلال القــرنين الثــاني والثــالث. وان من يلاحظ تلك الروايــات المتــواترة الــتي تتحـــدث عن امتـــداد الإمامة الى يـــوم القيامة يجد أنهـــا: عامة، ومطلقة، ومقصودة العموم والإطلاق . أي إنها آبية عن التخصيص والتقييد. وهي تعـــبر عن النظرية الامامية الإلهية الموازية لنظرية الشــورى، الممتــدة الى يــوم القيامة ، وذلك في مراحل نشــوئها الأولى، وقبل أن تصل الى الطريق المسدود.

ونظراً لأن نظرية الإمامة كانت في بدو نشوئها ممتدة الى يوم القيامة ولم تكن محـــددة في عـــدد معين من قبل ، فقد كـــانت النظرية تقــول بــأن النص قد حــدث على الإمــام علي فقط ، وان النص على الأئمة الآخــرين يتم دائما من قبل الأول للثــاني وهكــذا الى يوم القيامة.[73] ولم تكن تعــرف وجــود قائمة مســبقة بأســماء الأئمة (الإثني عشر).

وكــانت النظرية الاماميــة، أيضا ، تعــترف بعــدم وجــود النص الصــريح من بعض الأئمة على بعض ، فكــانت تتشــبث بالوصــية العادية وتعتبرها دليلا على الإمامة ، ولما لم تكن توجد أية وصـــية على بعض الأئمة الآخــرين من آبــائهم ، كالإمــام زين العابــدين، أو كــانت الوصــية مشــتركة بين عــدد من الاخــوة ، كأبنــاء الإمــام الكاظم، فقد كانت النظرية تقول: بأن دليل الإمامة الحاسم، هي المعاجز وعلم الغيب ، أو الكبر ، أو العلم ، أو حيازة سيف رسول الله. بل إن روايات كثيرة تشــير الى عــدم معرفة الأئمة أنفســهم بإمــامتهم، أو إمامة الإمــام اللاحق من بعــدهم، إلا عند وفــاتهم . فضلا عن جهل الشيعة الامامية أنفسهم ، الذين كانوا يقعــون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام ، وكانوا يتوســلون بكل إمــام أن

---

[73] - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 2 ، ص 717

يعين اللاحق بعـــده ويســـميه بوضـــوح ، لكي لا يموتـــوا وهم لا يعرفـــون الإمـــام الجديد. ومع ذلك فكثـــيرا ما كـــانوا يقعـــون في الحيرة والجهل.[74] وهو ما يدل على امتداد نظرية الإمامة الى يوم القيامة، في طورها الأول، وعدم اقتصارها على عدد محدود.[75]

ميلاد النظرية الإثني عشرية

ونظرا لوصول نظرية "الإمامة الإلهية" الى طريق مسدود بعد وفاة الإمام الحسن العسكري من دون ولد ظاهر، والقول بوجـود ولد له في السر وغيبته عن الأنظار، وعدم ظهـوره لفـترة طويلة جـدا .. شـهد القـرن الرابع الهجـري تطـورا جديـدا في النظرية الامامية هو حدوث الإثني عشرية ، وهي نظرية حـدثت خاصة في صفوف الشيعة الموسوية ، وبالأخص في الجنـاح المتشـدد الـذي كان يلتزم بقانون الوراثة العمودية، ولا يقبل أي تسامح فيـه، وقد قال ذلك الجناح بوجـود قائمة مسـبقة وتحديد أسـماء الأئمة من قبل الرسول الأعظم باثني عشر إماما، هم: علي بن أبي طالب ، والحسن والحســين، وعلي بن الحســين، ومحمد البــاقر، وجعفر الصـادق، وموسى الكـاظم، وعلي الرضـا، ومحمد الجـواد، وعلي الهـادي، والحسن العســكري، وآخــرهم الإمــام الغـائب المهـدي المنتظر:"محمد بن الحسن العسكري".

وكان الهدف من وراء تشكيل هـذه القائمة المسـبقة، إثبـات وجود الإمام الثاني عشر، الذي كان وجوده محل شك ونقاش في صفوف الشـيعة الامامية. وقد اسـتعانوا بأحـاديث "سـنية" ذكرها البخاري ومسلم حول حـدوث هـرج ومـرج بعد الخليفة، أو الأمـير الثاني عشر.

ولكي ينسجم عدد الأئمة السابقين مع هذه الروايات فقد لجأ الإثنا عشريون الى حذف اسم الإمام زيد والإمام عبد الله الأفطح والإمام احمد بن موسى، الـذين قـال بإمـامتهم كثـير من الشـيعة الامامية في السابق ، كما رفضوا الاعتراف بإمامة جعفر بن علي الهــادي ، وأضــافوا اسم (الإمــام محمد بن الحسن العســكري) ونظموا قائمة جديدة بأسماء تسعة من أولاد الحسـين واحـدا بعد

---

[74] - راجع: بصائر الدرجات، ص 473 ، والكافي، ج 1 ، ص 277 و309 والإرشاد للمفيد وقرب الإسناد وتفسير العياشي.

[75] - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 2 ، ص 714 – 715 والصفار، بصائر الدرجات، ص 489

واحد ، وقـالوا بـأن هـؤلاء الأئمة قد نصَّ عليهم الرسـول وأعلن أسـماءهم من قبـل، وجـاءوا على ذلك بعشـرات الأحـاديث الـتي نسبوها الى رسول الله (ص) والأئمة السابقين.

وقد أورد الكليني ، في مطلع القرن الرابع الهجري ، في كتابه (الكافي) سـبع عشرة رواية تتحـدث عن "الاثـني عشـرية" بينما ذكر الشيخ الصدوق ، بعد ذلك بنصف قرن ، خمساً وثلاثين رواية حـول الموضـوع (في كتابه إكمـال الـدين) ، وأكملها الخـزاز، في كتابـه (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثـني عشر) الى مـائتي رواية، في نهاية القرن الرابع.

ولكن النظرية الاثـني عشـرية لم تسـتقر في أذهـان الشـيعة الامامية بسهولة، إذ انتشرت بعض الأحاديث التي تقـول: إن عـدد الأئمة ثلاثـــة عشر. (كما ورد في كتـــاب ســـليم بن قيس الهلالي والكــافي للكليـني) وقد قـامت على أثرها فرقة تسـمى "الثلاث عشرية" بقيادة (أحمد بن هبة الله الكاتب، حفيد عثمان بن سعيد العمري). وقد قال الصـدوق بصـراحة: "إننا لسـنا مسـتعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يـذكره الثـاني عشر بعده". وروى عدة روايات حول احتمـال امتـداد الإمامة بعد المهدي وعدم الاقتصار عليـه، فـروى عن الإمـام أمـير المؤمـنين رواية حول غموض الأمر بعد القائم، وأن رسـول الله قد عهد اليه أن لا يخـبر أحـدا بـذلك إلا الحسن والحسـين ، وأنه قـال : " لا تسـألوني عما يكـون بعد هـذا فقد عهد الي حبيـبي أن لا أخـبر به غير عترتي". [76]

الجزء الثاني

[76] - الصدوق، إكمال الدين، ص 77 - 78

"الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري"

حقيقة تاريخية ؟.. أم فرضية فلسفية ؟

المدخل:

عصـــر الحيـــــــــــرة!

وفاة الإمام العسكري

أدت وفاة الإمام الحسن العسكري، في سامراء سـنة 260 للهجرة، دون إعلانه عن وجـود خلف له، والوصـية بتركته الى أمه المسماة بـ:" حديث" الى تفجر أزمة عنيفة في صـفوف الشـيعة الامامية الموسـوية ، الـذين كـانوا يعتقـدون بضـرورة اسـتمرار الإمامة الإلهية الى يوم القيامة. وحدوث نوع من الشك والحــيرة والغموض والتساؤل عن مصير الإمامة بعد العسكري ، وتفــرقهم في الإجابة عن ذلك الى أربع عشرة فرقـة. كما يقـول النوبخـتي في (فــرق الشــيعة)، وســعد بن عبد الله الأشــعري القمي في (المقالات والفرق)، ومحمد بن أبي زينب النعمـاني في (الغيبـة)، والصدوق في (إكمـال الـدين)، والمفيد في (الإرشـاد) والطوسي في (الغيبة) ، وغيرهم .. وغيرهم..

ويقـول المؤرخـون الشـيعة: إن جعفر بن علي الهـادي، أخا الحسن العسـكري، حـاول أن يحـوز كل تركة الإمـام، ولما اتصل خـبر وفـاة الحسن بأمه وهي في المدينـة، خـرجت حـتى قـدمت (سرّ من رأى) وادعت الوصية عنه، وثبت ذلك عند القاضي.[77]

---

[77] - الطوسي : الغيبة، ص 132 . والصدوق: إكمال الدين ج1ص44 . والمفيد: الإرشاد ، ص 341 و النجاشي: الرجال . ترجمة احمد بن عامر بن سليمان أبى الجعد . والطبري:دلائل الإمامة ، ص 224 ، والصدر:

ويذكر المؤرخون الشيعة أيضا: أن جارية للإمام العسـكري، تسمى صقيل ، ادعت أنها حامل منه، فتـوقفت قسـمة المـيراث. وحمل الخليفة العباسي المعتمد الجارية صــقيل الى داره، وأوعز الى نســـائه، وخدمه ونســـاء الواثق ونســـاء القاضي ابن أبى الشـوارب بتعهد أمرها والتأكد من حملها واسـتبرائها .. ولم يـزل الــذين وكلــوا بحفظ الجارية ملازمين لها حــتى تــبين لهم بطلان الحمل فقسم ميراث الحسن بين أمه وأخيه جعفر .[78]

ادعاء جعفر بن علي بالإمامة

ولما كـانت الإمامة تثبت عـادة بالوصـية من الإمـام السـابق للّاحق، فقد استغل أخو الإمام العسكري (جعفر بن علي الهـادي) الذي كان ينافس أخـاه على الإمامة في حياته ، اسـتغل الفـراغ الظـاهري بعـدم وجـود ولد لأخيه ، وعـدم وصـيته أو إشـارته الى أحد، فادعى الإمامة لنفسه بعد أخيه ، وقـال للشـيعة:" مضى أبو محمد أخي ولم يخلف أحدا لا ذكراً ولا أنـثى ، وأنا وصـيه" و كتب الى بعض الموالين في قم - التي كانت مركزا للشيعة يوم ذاك - يدعوهم فيهـا الى نفسه ويعلمهم أنه القيّم بعد أخيـه، ويـدعي أن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه غيره وغــير ذلك من العلوم كلها.[79]

وينقل الصدوق حديثا عن (أبي الأديان البصري) الـذي يصـفه بأنه خــادم الإمــام العســكري ورســوله الى الشــيعة في مختلف الأمصار، أن عامة الشيعة عزّوا جعفر وهنئوه، وكـان من ضـمنهم "النائب الأول" عثمان بن سعيد العمري. [80]

ويـذكر النوبخـتي والأشـعري القمي والمفيـد، أن بعض شـيعة الإمام العسـكري ، وخاصة الفطحية ، اعـترفوا بالظـاهر وسـلموا بعدم وجـود ولد للعسـكري ، وآمنـوا بإمامة أخيه جعفر . وقـالوا : إن الحسن بن علي تــوفي ولا عقب له والإمــام بعــده جعفر بن علي أخــوه ، وذهبـوا في ذلك الى بعض مـذاهب الفطحية الـذين جمعـوا بين إمامة عبد الله وموسى ابـني جعفر الصـادق، والـذين لم يكونـوا يشـترطون الوراثة العمودية دائما في الإمامـة. وكـان

الغيبة الصغرى، ص 315 ، والصدوق : إكمال الدين، ص 44

[78] - الصدوق: إكمال الدين44 , والطبري : دلائل الإمامة 224

[79] - الطبرسي : الاحتجاج ج2 ص279 ، و الصدر: الغيبة الصغرى، ص 307 والصدوق: إكمال الدين ، ص 475 ، و الخصيبي : الهداية الكبرى، ص 391

[80] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475

رئيسهم والداعي لهم الى ذلك رجل من أهل الكوفة من المتكلمين يقال له (علي بن الطاحي الخزاز) وعلماء بني فضال، وأخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني .[81]

وكاد أهل قم أن يستجيبوا لجعفر، لأنهم لم يكونوا يعرفون غيره، وقد اجتمعوا الى شيخهم احمد بن إسحاق، وكتبوا الى جعفر كتاباً، جواباً عن كتابه، وطلبوا منه أن يجيبهم على عدة مسائل؛ قالوا: إن" أسلافنا سألوا عنها آباءك ، فأجابوا عنها بأجوبة، وهي عندنا نقتدي بها ونعمل عليها، فاجبنا عنها بمثل ما أجاب آباؤك المتقادمون، حتى نحمل إليك الحقوق التي كنا نحملها إليهم". وأرسلوا وفدا منهم الى جعفر لمحاورته، فأوصل الكتاب إليه وسأله في البداية عن كيفية انتقال الإمامة إليه مع وجود خبر يقول بعدم جواز انتقال الإمامة الى أخوين بعد الحسن والحسين؟ فاعتذر جعفر بحدوث البداء من الله، لعدم وجود ولد لأخيه الحسن. [82]

ويقول الخصيبي (وهو أحد أركان الامامية في تلك الفترة): "إن الوفد أقام عليه مدة يسال عن جواب المسائل فلم يجب عنها، ولا عن الكتاب بشيء منه أبدا".[83] ولكن الصدوق والطوسي، ومحمد الصدر لا يتحدثون عن هذه المشكلة البسيطة التي لا تصعب على من يدعي الإمامة مثل جعفر، وإنما يقولون:"إن الوفد سأل جعفر عن الغيب، وطالبوه بإخبارهم عن كمية الأموال التي يحملونها من قم وعن أصحابها، وقالوا: إن الحسن كان يخبرهم بذلك ، فرفض جعفر التحدث بالغيب واستنكر نسبته الى أخيه".[84]

ويقول الخصيبي : إن جماعة من أهل قم، هم: (أبو الحسين بن ثوابة وأبو عبد الله الجمال وأبو علي الصائغ والقزويني) كانوا يأخذون الأموال باسم جعفر ويأكلونها ولا يوصلونها إليه ويتهمونه بالكذب، مما يشير الى أن قسما من شيعة قم آمنوا بإمامة جعفر ، بالفعل، وأخذوا يرسلون إليه الأموال. [85]

---

[81] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 98 و99 ، و الاشعري:المقالات والفرق، ص 110 ، و المفيد:الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ص 259

[82] - الخصيبي:الهداية الكبرى 383 -391

[83] - المصدر نفسه

[84] - الصدوق: إكمال الدين 476 والطوسي : الغيبة ...والصدر : الغيبة الصغرى 316

[85] - الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 392

القائلون بانقطاع الإمامة

وكما يقول النوبختي والأشعري القمي، والكليني، والمفيد والصدوق، والطوسي، والحر العاملي، فان قسماً آخر من الشيعة الامامية ذهب الى القول بالتوقف وانقطاع الإمامة، والقول بالفترة كالفترة بين الرسل ، وانهم اعتلوا في ذلك ببعض الأخبار عن الإمامين الباقر والصادق، حول إمكانية ارتفاع الأئمة وانقطاع الإمامة ، خاصة إذا غضب الله على خلقه، وقالوا: إن هذا عندنا ذلك الوقت.[86]

التراجع عن إمامة العسكري

ويقول المؤرخان الشيعيان المعاصران لتلك الفترة (النوبختي، والأشعري القمي): إن وفاة الإمام العسكري عن دون ولد ظاهر، أدت الى تراجع بعض الشيعة عن القول بإمامة العسكري نفسه ، كما تراجع بعض الشيعة الموسوية، قبل مائة عام، عن القول بإمامة عبد الله الأفطح الذي أصبح إماما بعد أبيه الصادق، ولكنه لم ينجب ولدا تستمر الإمامة فيه ، وقال هؤلاء:" إن القول بإمامة الحسن كان غلطا وخطأ ، وجب علينا الرجوع عنه الى إمامة جعفر ، وان الحسن قد توفي ولا عقب له، فقد صح عندنا انه ادعى باطلا، لأن الإمام بإجماعنا جميعا لا يموت إلا عن خلف ظاهر معروف يوصي إليه ويقيمه مقامه بالإمامة ، والإمامة لا ترجع في أخوين بعد حسن وحسين ..فالإمام لا محالة جعفر بوصية أبيه إليه ".[87]

وكان السبب في تراجع هؤلاء عن القول بإمامة العسكري، هو إيمانهم بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقال الإمامة الى أخ أو ابن أخ، أو عمّ أو ابن عمّ.

المحمدية والنفيسية

وذهب قسم من هؤلاء المتراجعين عن القول بإمامة الحسن،

---

[86] - الكليني : الكافي ج1ص343 ، والحر العاملي : إثبات الهداة ج3 ص 477 , والطوسي : الغيبة ص244 . الصدوق : إكمال الدين ، ص 230 ، و النوبختي:فرق الشيعة، ص 105 ، و الاشعري:المقالات، ص 115 ، و المفيد:الفصول، ص260

[87] - الاشعري : المقالات والفرق ، ص 11 ، والنوبختي : فرق الشيعة، ص 114

الى القـول بإمامة أخيه محمـد، الـذي كـان قد تـوفي قبل سـبع سنوات، في حياة أبيه الهادي، فأنكروا وفاة محمد وقالوا :إن أباه قد أشار إليه ونصّبه إماما ونص على اسمه وعينه ، وهـذا ما يتفق عليه الجميع، ولا يجوز أن يشير الإمام بالوصـية والإمامة الى غـير إمـام ...إذاً فإنه لم يمت ، بل إن أبـاه قد أخفـاه (تقيـة) ، كما أخفى الإمام الصـادق ابنه إسـماعيل ، حسب قـول الإسـماعيلية، وانه هو المهدي المنتظر. وعرفت هذه الفرقة بـ:(المحمدية).[88]

وقال قسم من هذه الفرقة : إن محمد ابن علي قد توفي ، وانه أوصى الى غلامٍ لأبيه اسـمه "نفيس" ، وكـان ثقة أمينا عنـده ، ودفع إليه الكتب والعلوم والسلاح وما تحتـاج إليه الأمة ، وأوصـاه :إذا حدث به حدث الموت أن يؤدي ذلك كله الى أخيه جعفر.[89]

وكـانت هـذه الفرقة تتخذ موقفا عنيفاً من الإمـام الحسن العسكري وتكفره ، كما تكفر من يقول بإمامته ، وتغلو في جعفر ، وتـدعي انه القـائم. وقد عـرفت هـذه الفرقة المتطرفة باسم : (النفيسية).[90]

القائلون بمهدوية العسكري

وقد ذهب قسم آخر من الشـيعة الى إنكـار وفـاة الإمـام العسكري ، والقول بمهدويته وغيبته . وذلك بناء على عـدم جـواز وفـاة الإمـام دون ولد معـروف ظـاهر " لأن الأرض لا تخلو من إمام" إمام واعتبروا اختفاء الإمام نوعاً من الغيبة عنهم .[91]

ومنهم من اعترف بموت العسـكري ، ولكنه قـال بعودته الى الحياة مرة أخرى .. وذلك استنادا الى حديث حول معنى (القائم) :" أنه يقـوم من بعد المـوت ، ويقـوم ولا ولد له" ، ولو كـان له ولد لصح موته ولا رجوع ، لأن الإمامة كـانت تثبت لخلفه ، ولا أوصى الى أحد .. فلا شك انه القـائم ، وانه حي بعد المـوت . وقالوا: انه قد عاش بعد الموت !.. وقد رووا : " أن القائم إذا بلغ النـاس خـبر قيامه قـالوا : كيف يكـون فلان إماما وقد بليت عظامه؟" فهو اليوم حي مستتر لا يظهر، وسيظهر ويقوم بـأمر

---

88 - النوبختي:فرق الشيعة، ص 101

89 - النوبختي:فرق الشيعة 107 - 108 و المفيد:الفصول 260

90 - المصادر

91 - النوبختي: فرق الشـيعة، ص 98 والاشـعري:المقـالات والفـرق، ص 106

الناس ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً". [92]

ومنهم من قـال: إن العســكري سـيعود الى الحيـاة في المستقبل ..وإنما سمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت .
وقد اختلق هؤلاء، أو اسـتوردوا أحـاديث بهـذا المضـمون من بعض الحركات الشيعية الواقفية السابقة.[93]
ويقول الصدوق: إن هؤلاء سُمُّوا بــ :(الواقفية على الحسن) ، وقد ادعـــوا: أن الغيبة وقعت به، لصــــحة أمر الغيبة عنـــدهم، وجهلهم بموضعها. [94]

الحيارى

وقد دفعت أزمة وفاة الإمام العسكري دون ولد ظاهر، بكثـير من الشيعة الامامية، الذين كانوا يعتقـدون بضـرورة اسـتمرار الإمامة الى يـوم القيامـة.. دفعتهم الى البحث والتمحيص والتفـتيش عن ولد يحتمل أن يكون الإمـام الحسن العسـكري قد أخفـاه لسـبب من الأسباب ، كالخوف عليه من الأعداء مثلا، وأحجم بعضـهم عن القول بأي شيء ، انتظارا لجلاء الأزمـة، فلم يقولـوا بإمامة جعفر ولم يقولـــوا بانقطـــاع الإمامـــة، ولم يقولـــوا بمهدوية الحسن العسـكري، بل قـالوا:" لا نـدري ما نقـول في ذلك ..وقد اشـتبه علينا الأمـــر، فلســـنا نعلم أن للحسن بن علي ولـــداً أم لا؟.. أم الإمامة صــحت لجعفر أم لمحمـــد؟..وقد كـــثر الاختلاف ، إلا أنا نقــول:إن الحسن بن علي كـــان إماما مفــترض الطاعة، ثـــابت الإمامــة، وقد تــوفي وصــحت وفاته ، والأرض لا تخلو من حجة. فنحن نتوقف ولا نقدم على القـول بإمامة أحد بعـده ، إذ لم يصح عندنا أن له خلفا، وخفي علينا أمره ، حتى يصح لنا الأمر ويتبين ، ونتمسك بـالأول حـتى يتـبين لنا الآخر ، كما امرنا : (انه إذا هلك الإمام ولم يعرف الـذي بعـده فتمسـكوا بـالأول حـتى يتـبين لكم الآخر) فنحن نأخذ بهذا ونلزمـه، فانه لا خلاف بين الشـيعة: أنه لا تثبت إمامة إمام إلا بوصية أبيه إليه وصية ظاهرة".[95]

---

[92] - الاشعري:المقالات، ص 107 و النوبختي : فرق الشيعة، ص 96 - 98

[93] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 96 - 98 ، و الاشعري : المقالات والفرق، ص 108

[94] - الصدوق: إكمال الدين، ص 40

[95] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 108 ، والاشعري: المقالات، ص 115 ، والمفيد:الفصول، ص 260

الجنينيون

وفي غمــرة أجــواء الشك والحــيرة والخلاف والبحث عن الحقيقة هـذه ، اعتمد بعض الشـيعة الامامية على دعـوى الجارية (صــقيل) أو (نــرجس) بالحمل من الحسن ، عند وفاته ، وقــالوا بولادة ابن له ولد بعد وفاته بثمانية اشهر ، وانه مستتر ، لا يعرف اسمه ولا مكانه ، واسـتندوا الى حـديث رووه عن الإمـام الرضا ، يقول فيه : "إنكم ستبتلون بالجنين في بطن أمه والرضيع ". [96]

وذهب قسم من هؤلاء الذين قالوا بوجـود الحمل بعد الوفـاة ، الى ادعـاء اسـتمرار الحمل في بطن أمه الى أمد غـير منظـور ، بصــورة اعجازية ، وقــالوا بحتمية ولادة الجارية لولد ذكر تســتمر الإمامة فيه وفي ذريته الى يــوم القيامة . واحتجــوا بــالخبر الــذي روي عن الإمــام الصــادق: (إن القــائم يخفى على النــاس حمله وولادته). [97]

وبقدر ما كان احتمال الولادة بعد الوفاة أمـراً وارداً وممكنـاً، فان دعوى اسـتمرار الحمل في البطن الى ما يشـاء اللـه، كـانت غــير معقولــة، ومرفوضة جــداً، خاصة وأن الجارية صــقيل (أو نــرجس) اختفت في زحمة الأحــاديث، أو تــوفيت فيما بعــد، ولم يستطع أحد أن يشاهدها وينظر الى نتيجة حملها بعد ذلــك. إلا انه لم يكن بعيــداً ، في تلك الأزمة وأجــواء الغلو البعيــدة عن العقل والعــرف ، أن يقــول أي فريق بما يشــاء من أقــوال وفرضــيات وأوهام.

القائلون بوجود الولد المسبق

وبالرغم من عدم توصل كثير من الشيعة الذين بحثوا عن ولد للعســكري، الى أية نتيجــة، وفيما كــانت الحــيرة تعصف بعامة الشيعة الامامية، وكان الغموض يلف موضـوع الخلـف، والاختلاف يمزق الناس يمينا وشمالا، كـان بعض أصـحاب الإمـام العسـكري يهمسـون في آذان الشـيعة، بتكتم شـديد، ويـدعون وجـود ولد له في السرّ، ولد قبل وفاة أبيه بسنتين أو ثلاث، أو خمس أو ســتّ، أو ثمـاني سـنين، ويزعمـون أنهم قد رأوه في حيـاة العسـكري،

---

[96] - النوبختي: فرق الشيعة، ص 103 ، والاشعري: المقالات، ص 114 ، والمفيد:الفصول، ص 260

[97] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 104 ، والاشعري:المقالات، ص 115 ، والمفيد:الفصول، ص 260

وأنهم على اتصـال بـه، ويطلبـون من عامة الشـيعة التوقف عن البحث والتفـتيش عنـه، أو السـؤال عن اسـمه، ويحرمـون ذلـك. وكـانوا يفسـرون ادعـاء الجارية صـقيل بوجـود الحمل عند وفـاة العسكري، بأنها محاولة منها للتغطية على وجود الولد في السرّ.

وكان منهم : عثمان بن سعيد العمري، وكيل الإمام العسكري المــالي، ومحمد بن نصــير النمــيري ، وأبو القاسم الجعفــري ، واحمد بن هلال العبرتـائي الكـرخي ، واحمد بن إسـحاق القمي . وآخرون..وقد عرف هؤلاء الذين قـالوا بوجـود ولد مغمـور للإمـام العسكري، بعد حوالي مائة عام، بـ:(الاثناعشرية) .[98]

عصر الحيرة

وقد كان القول بوجود ولد للإمام العسكري، قولاً سرياً باطنياً، قال به بعض أصحاب الإمام العسكري، بعد وفاتـه. ولم يكن الأمر واضـحاً وبـديهيا ، أو مجمَعـاً عليه بين الشـيعة في ذلك الـوقت، حيث كان جوٌ من الحيرة والغموض يلف مسألة الخلـف، ويعصف بالشـيعة بشـدة. وقد كتب عـدد من العلمـاء المعاصـرين لتلك الفترة كتبـاً تنـاقش موضـوع الحـيرة وسـبل الخـروج منهـا، منهم الشيخ علي بن بابويه الصدوق، الذي ألّف كتابـاً أسـماه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة).

وقد امتدت تلك الحـيرة الى منتصف القـرن الرابع الهجـري، حيث أشـار الشـيخ محمد بن علي الصـدوق، في مقدمة كتابـه: (إكمال الدين وإتمام النعمة) الى حالة الحيرة تلك، التي عصـفت بالشـيعة وقـال:" وجـدت أكـثر المختلفين إليّ من الشـيعة قد حيّـرتهم الغيبـة، ودخلت عليهم في أمر القـائم الشـبهة" " وقد كلمــني رجل بمدينة السـلام (بغـداد) فقـال لي: إن الغيبة قد طالت، والحـيرة قد اشـتدت ، وقد رجع كثـير عن القـول بالإمامة لطـول الأمـد".[99] وذكر الكليـني والنعمـاني والصـدوق مجموعة كبـيرة من الروايـات الـتي تؤكد وقـوع الحـيرة بعد غيبة صـاحب الأمر، واختلاف الشيعة ، وتشتتهم في ذلك العصر، واتهام بعضهم بعضا بالكـذب والكفـر، والتفل في وجـوههم ، ولعنهم، وانكفـاء

[98] - الصدوق:إكمال الدين، ص483، والطوسي:الغيبة، ص 186، والنوبختي:فرق الشيعة، ص 102 ، والاشعري:المقالات، ص 114، والمفيد:الفصول، ص 260

[99] - الصدوق:إكمال الدين، ص 2 و 16

الشـيعة كما تُكفأ السـفينة في أمـواج البحـر، وتكسـرهم كتكسر الزجاج أو الفخار.[100]

وقال محمد بن أبي زينب النعماني، يصف حالة الحيرة الـتي عمّت الشـيعة في ذلك الـوقت:" إن الجمهـور منهم يقـول في الخلف: أين هـو؟ وأنى يكـون هـذا؟ والى مـتى يغيب؟وكم يعيش هـذا، وله الآن نيّف وثمـانون سـنة؟.. فمنهم من يـذهب الى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجـوده بواحـدة، ويسـتهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويسـتطيل الأمـد". ويقـول النعماني:" أي حيرة أعظم من هذه الـتي أخـرجت من هـذا الأمر الخلق العظيم والجمّ الغفـير؟ ولم يبق ممن كـان فيه إلا الـنزر اليسير، وذلك لشك الناس". [101]

وهذا مما يدل على أن قضية وجود ابن للإمـام العسـكري لم تكن قضـية مجمعـاً عليها بين صـفوف الشـيعة الامامية في ذلك العصر، أو ان الشـيعة الـذين احتملـوا وجـوده بـدءوا يتخلـون عن إيمانهم هذا، بعد مضي سـبعين عامـاً على وفـاة العسـكري، وان دعـاوى الإجمـاع والتـواتر والاستفاضة الـتي يـدعيها البعض على أحـاديث وجـود وولادة ومهدوية الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) لم يكن لها رصيد من الواقع في ذلك الزمان.

ومن هنا لا بد أن نضع علامة اسـتفهام على دعـاوى الإجمـاع والتواتر المتأخرة، والمناقضة تمامـاً لحقـائق التـاريخ، خاصة وأن دعوى الإجماع والتـواتر ، لا تمنع من المراجعة والنقد والتمحيص. بالإضافة الى أن الإجمـاع لا يشـكل لـدى الشـيعة الامامية الإثـني عشـرية حجة بديلة عن الأدلة العلميـة... وحسـبما يقـول علمـاء الأصـول: فـإن الإجمـاع يمكن أن يؤخذ بـه، في غيـاب الـدليل الشـرعي، فـإذا علمنا اسـتناد دعـوى معينة على أدلة نقلية أو عقلية، فعلينا مراجعة تلك الأدلة ، وعدم التشـبث بالإجمـاع. ومن المعروف أن دعوى ولادة الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) تـأتي بأدلة عقلية ونقلية وتاريخيـة، فلا بد إذاً من مراجعتها والتحقق منها بأنفسنا، وعـدم الانسـياق وراء المتكلمين الامامية، أو النفر الـذين ادعـوا وجـود ولد للإمـام العسـكري في السر، وعدم التسليم بدعاواهم وفرضياتهم واجتهاداتهم.

---

[100] - الكليني، الكافي، ج1 ص 366، 338، 340، والنعماني، الغيبة، ص 89، 206، 208، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 168 ، وإكمال الدين، ص 408

[101] - النعماني، الغيبة، ص 113، و 186

الفصل الأول

أدلة وجود الإمام المهدي (محمد بن الحسن العسكري)

المبحث الأول:

الاستدلال الفلسفي

المطلب الأول : العقل أولاً ..

تقدم الفرقة (الإثناعشـرية) الـتي قـالت بوجـود ولد مسـتور للإمـام الحسن العسـكري ، واسـتمرار حياته إلى اليـوم والى إن يظهر في المسـتقبل .. تقـدم عـدة أدلة على ذلك ، وهي تنقسم إلى أنواع عديدة، ويأتي على رأسها الدليل الأول : الفلسـفي ، أو العقلي ، فماذا يقول هذا الدليل؟ وعلى ماذا يرتكز؟

إنه يقول :

أولاً : بضرورة وجود الإمام (أي الرئيس) في الأرض، وعدم جواز بقاء البلاد فوضى بلا حكومة.

ثانياً: ضـرورة عصـمة الإمـام من الله ، وعـدم جـواز حكومة الفقهاء العدول ، أو الحكام العاديين .

ثالثاً: وجــوب حصر الإمامة في أهل الــبيت وفي أبنــاء علي والحسين إلى يوم القيامة .

رابعاً : الإيمان بوفاة الإمام الحسن العسكري ، وعدم القـول بغيبته و مهدويته .

خامساً: الالتزام بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقـال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين.

قدَّم المتكلمون الذين نظّروا لوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) قديما وحديثا ، دليل العقل كـأهم الأدلة على وجـوده ، وأولَـوه أهمية كـبرى في عمليـات الاسـتدلال . وقد نقل الشــيخ الصــدوق (تــوفي 381هـ) قــول المتكلم الشــيعي المعاصر لتلك

الفـترة: (أبى سـهل إسـماعيل بن علي النوبخـتي) الـذي اسـتدل على "وجـــود" ابن الحسن ، بالعقل ، وذكر في كتابه (التنبيـــه) ، الـذي ألفه بعد ثلاثين عاما من (الغيبـة) :" إن الشـيعة قد علمـوا بوجـود ابن الحسن بالاسـتدلال ، كما عرفـوا الله والنـبي وأمـور الدين كلها بالاستدلال" .[102]

واعتبر الشيخ المفيد (338هــ - 413 هــ) :" الـدليل العقلي الذي يقتضي وجود الإمام المعصوم في كل زمـان ... دليلاً كافيـاً على وجـــود ابن الحسن وحصر الإمامة فيه" ، و قـــال:" إن هـــذا أصل لن يحتاج معه إلى رواية النصـوص لقيامه بنفسه في قضـية العقول، وصحته بثابت الاستدلال" .[103]

واستخدم الشيخ الكراجكي (- 427 هـ) الدليل العقلي ، القائم على ضــرورة الإمامة وضــرورة العصــمة في الإمــام ، في عملية الاســتدلال على وجــود ولد للإمــام الحسن العســكري، وثبــوت الإمامة فيه وصــحة غيبته ، وذلك "لانحصـــار (العصـــمة) فيه مع عدم عصمة أدعياء الإمامة الآخرين" .[104]

وقال السيد المرتضى علم الهدى (355 هـ - 436 هــ):" إن العقل يقتضي بوجوب الرياسة في كل زمـان ، وان الـرئيس لا بد من كونه معصوما.. وإذا ثبت هذان الأصلان فلا بد من القول : انه (صــاحب الزمــان) بعينه ، لأن الصــفة الـتي اقتضــاها ودلّ على وجوبها لا توجد إلا فيه ، وتساق الغيبة بهذا سوقا ضروريا لا يقرب منه شـبهة.. ولأنه إذا بطلت إمامة من أثبتت له الإمامة بالاختيـار، لفقد الصــفة الـتي دلّ العقل عليها ، وبطل قــول من خــالف من شـذاذ الشـيعة ، فلا مندوحة عن مـذهبنا ، فلا بد من صـحته ، وإلا خرج الحق عن الأمة" .[105]

ونفى السيد المرتضى الحاجة إلى مشاهدة الإمام للإيمان به ، بعد إمكانية التعرف عليه بالاسـتدلال العقلي ، و ردّ على القاضي المعـتزلي عبد الجبـار الهمـداني الـذي نفى في كتابه (المغـني) وجـود الإمـام الثـاني عشر وقـال : " إن قـول الشـيعة بالعصـمة أداهم إلى إثبـــات أشـــخاص لا اصل لهم ، وانهم اثبتــوا في هـــذا

---

[102] - الصدوق، إكمال الدين، ص 92
[103] - المفيد، الإرشاد، ص 347

[104] - الكراجكي، كنز الفوائد، ص 345
[105] - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2 - 3

الزمان إماما مختصا بنسب واسم من غير إن يعرف منه عين أو اثر" فقال المرتضى في (الشافي):" إن قوله هذا مبني على مجرد دعوى ومحض اقتراح ، وقد دللنا على وجوب الإمامة في كل زمان ، بما لا حيلة فيه ولا قدرة على دفعه" .[106]

وقال الشيخ الطوسي (385هـ - 460 هـ) :" إن كل من قطع على وجوب اعتبار الدليل العقلي قطع على وجود (صاحب الزمان) وإمامته.[107] وقال :" إن الإمام اليوم هو : الخلف الحجة القائم المنتظر المهدي محمد بن الحسن صاحب الزمان... وان المهدي حي موجود من زمان أبيه الحسن العسكري إلى زماننا هذا، بدليل: إن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم ، مع إن الإمامة لطف واللطف واجب على الله تعالى في كل وقت" .[108]

وقسم الشيخ الطوسي الأدلة على ولادة (صاحب الزمان) إلى قسمين عقلية ونقلية ، وركز على أهمية القسم الأول بصورة مستقلة ، فقال:" أما الكلام في ولادة صاحب الزمان وصحتها فأشياء اعتبارية وأشياء إخبارية ، فأما الاعتبارية فهو: إذا ثبت إمامته بما دللنا عليه من الأقسام وإفساد كل قسم منها إلا القول بإمامته ، علمنا بذلك صحة ولادته ، وان لم يرد فيه خبر أصلاً ".[109]

وبعد إن استعرض دليل العصمة، وان الإمام لا بد إن يكون معصوما وان الحق لا يخرج من الأمة، قال:" إذا ثبتت هذه الأصول ثبتت إمامة صاحب الزمان ، لأن كل من يقطع على ثبوت العصمة للإمام قطع على انه الإمام" .[110]

وقد تصدى الشيخ الطوسي لإبطال صحة ادعاءات الفرق الشيعية المختلفة من الكيسانية والناووسية والفطحية والواقفية وغيرها من الفرق التي ادعت العصمة لأئمتها ، واستنتج من ذلك: "ضرورة صحة إمامة ابن الحسن ، وصحة غيبته" ، ونفى - مع

---

106 - المرتضى، الشافي، ج 1، ص 79 - 80
107 - الطوسي، تلخيص الشافي، ص 211
108 - الطوسي، مسائل كلامية / المسائل العشر، ص 99
109 - الطوسي ، الغيبة، ص 138

110 - المصدر ، ص 15

ثبـوت ذلك – "الحاجة إلى تكلف الكلام في إثبـات ولادته وسـبب غيبته ، لأن الحق لا يجوز خروجه عن الأمة" . [111]

واسـتدل الفتـال النيسـابوري على وجـود (صـاحب الزمـان) وإمامته بــــ :" ما يقتضـــيه العقل من الاســـتدلال الصـــحيح من استحالة خلو الزمـان من كـون معصـوم يكـون لطفا للمكلفين" . [112]

وهكـذا اعتـبر الحسن بن أبى الحسن الـديلمي :" انحصـار العصمة في أئمة أهل البيت ، دليلا على وجود الإمام الثاني عشر (الحجة بن الحسن)" . [113]

واحتج عبد الله بن النصر ابن الخشـاب البغـدادي ، لإثبـات " وجـــود وإمامة القـــائم بـــالحق ابن الحسن، بما يقتضـــيه العقل بالاستدلال الصـحيح من : وجـود أمـام معصـوم .. ووجـوب النص على من هذه سبيله أو ظهور المعجز عليه.. وعدم هذه الصــفات من كل أحد سوى من اثبت إمامته أصــحاب الحسن بن علي وهو ابنه المهدي" وقـال:" إن هـذا اصل لا يحتـاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار ، لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثبات الاستدلال" . [114]

و جــاء بعد ذلك العلامة الحلي الحسن بن يوسف المطهر ، ليسـتدل على وجـود (ابن الحسن) بالـدليل العقلي الـذي يتـألف من :" وجوب الإمامة، ووجـوب كـون الإمـام معصـوما ، ووجـوب النص عليه أو ظهــــــور المعجز على يديه". ثم اثبت إمامة علي وأولاده بــالنص "المتــواتر" من النــبي (ص). وقــال: " إن الإمــام الثاني عشر حي موجود من حين ولادته وهي سـنة 256 هــ إلى آخر زمـان التكليف ، لأن كل زمـان لا بد فيه من إمـام معصـوم، لعموم الأدلة ، وغيره ليس بمعصوم ، فيكون هو الإمام ".[115]

وانطلق العلامة محمد باقر المجلسي في عملية إثبات وجود (ابن الحسن) من قاعــدة (الحسن والقبح العقلــيين) وقــال:" إن

---

111 - المصدر نفسه، ص 3 - 4

112 - النيسابوري ، روضة الواعظين، ص 224

113 - الديلمي ، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص 52

114 - البغدادي ، تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.باب ولادة المهدي.

115 - العلامة الحلي ، الباب الحادي عشر، الفصل السادس

العقل يحكم بـــأن اللطف على الله واجب.. وان وجـــود الإمـــام لطف.. وانه لا بد إن يكون معصوما... وان العصمة لا تعلم إلا من جهته... وان الإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان .. فيثبت وجوده عليه السلام ". [116]

وقال السيد محمد صادق الصدر: " لقد عـرفتَ إن الأمة في حاجة ماسة إلى أمام معصـوم... ولا شك إن هـذه الحاجة ليست خاصة بوقت دون وقت أو عصر دون عصـر، فالضـرورة إذا تلجئنا إن نؤمن بوجود الإمام المهدي.. إذ ليس ثمة أمـام يـدعى وجـوده سواه.. وهذه حقيقة واضحة" . [117]

واعتمد بعض المتكلمين على مبدأ:" ضرورة وجود ولد للإمام لكي تستمر الإمامة في عقبه" للاسـتدلال على وجـود ولد للإمـام الحسن العســكري . ونقل الشــيخ الطوسي عن الإمــام علي بن موسى الرضا قولـه:" إن صـاحب هـذا الأمر لا يمـوت حـتى يـرى ولده من بعـده" وابطل بـذلك قـول من قـال :(لا ولد لأبي محمد العسكري) .[118]

المطلب الثاني: خطوات نقلية على طريق العقل

ولا بد هنا من القول : إن " الدليل العقلي" على وجود (الإمام محمد بن الحسن العســــــكري) ليس دليلا عقليا محضا ، بحيث يســتطيع أي عاقل مجــرد إن يتوصل إليه تلقائيا ، وإنما هو يعتمد على مقدمات نقلية عديدة. وقد قال الشيخ الصدوق :" إن القول بغيبة صاحب الزمـان مبـني على القـول بإمامة آبائـه... وان هـذا بـــاب شــــرعي ، وليس بعقلي محض" . [119] ولــــذلك فقد قــــام المتكلمــون الإمــاميون بمناقشة كل فقــرات " الــدليل العقلي" كالعصمة وغيرها من نقاط الخلاف، الـتي كـانت بينهم وبين عامة المسـلمين وسـائر الفـرق الشـيعية ، وبـالأخص الزيدية والواقفية الذين كانوا يؤمنـون بنظريـات مهدوية أخـرى ، والـذين كـانوا من أشد خصوم الشيعة الاثني عشرية في عصر الحيرة.

ومن هنا فقد كانت المحطة الأولى في الاستدلال النقلي على طريق العقل هي:

---

116 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 51
117 - الصدر، الشيعة الإمامية، ص 27

118 - الطوسي، الغيبة، ص 133 و 135
119 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 63

1 - ضرورة وجود الإمام. وقد اعتمد علي بن بابويه القمي (الصـــدوق) لإثبـــات هـــذه المقدمة ، على مجموعة كبـــيرة من الأحاديث ، ونقل عن الإمام الباقر والصادق أحاديث تقـول: بعـدم جواز بقاء الأرض بغـير أمـام، أو بغـير أمـام عـادل " وان آخر من يموت الإمام لئلا يحتج أحد على الله انه تركه بغير حجة".[120]

كما روى ابنه محمد الصدوق عن أبى عبد الله (ع) انه قال:" إن الله أجل واعظم من إن يترك الأرض بغير عدل". [121] وأضـاف إليها حديثا آخر حـول ضـرورة " وجـود العـالم الحي الظـاهر في الأرض لكي يفـزع إليه النـاس في حلالهم وحـرامهم" . وروى عن أبى عبد الله قولـــــــه:" إن الأرض لو خلت طرفة عين من حجة لساخت بأهلها" . [122]

وروى الطبري عن أبى عبد الله انه قال:" ما تزال الأرض لله فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سـبيل الله عز وجل". [123]

2- إثبات الإمامة في عترة الرسـول (ص). وكـانت الخطـوة الثانية، هي إثبـات الإمامة في أهل الـبيت (ع)، وذلك اسـتنادا إلى الحـديث النبـوي الشـريف الـذي يقـول:" آني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعـترتي أهل بيـتي ، وهما الخليفتـان من بعـدي وانهما لن يفترقا حـتى يـردا علي الحـوض " . ولما كـان لفظ :"العـترة" عاما يشـمل جميع أقربـاء الرسـول ، فقد تم اللجـوء ، كما يقـول الصدوق ، إلى العقل والتعارف والسيرة في تفسـير الحـديث بما يـدل على إن الرسـول الأكـرم أراد علمـاء العـترة دون جهـالهم، والبررة الأتقياء منهم دون الفساق والظـالمين.[124] وروى الطـبري حديثا في تفسير قوله تعالى :(أطيعوا الله أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النسـاء 59، بـأن المـراد بهم : الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى إن تقوم الساعة. [125]

3- إثبات إمامة أمير المؤمـنين (ع) ونفي مهدويته. وذلك بإثبـــات النصـــوص عليه بالخلافة والإمامة من رســول الله

---

[120] - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 157 و 160 - 162

[121] - الصدوق ،إكمال الدين، ص 229

[122] - الصدوق ، علل الشرائع، ص 195 و201

[123] - الطبري، دلائل الإمامة، ص 231

[124] - الصدوق، إكمال الدين، ص 120

[125] - الطبري، دلائل الإمامة، ص 231

(ص) . ونفي القــول بمهديته وغيبته - كما قــال الســبئية - وذلك اعتمادا على موته الظـاهر والشـهير ورفض التفسـيرات الباطنية .[126]

4- إثبات الإمامة في أبناء علي.

5- إثبات الإمامة لعلي بن الحسين . و **نفي الإمامة والمهدوية عن محمد بن الحنفية** ، وكـــــذلك نفي الإمامة والمهدوية والغيبة عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، اللذين ادعى الشيعة الكيسانية لهما ذلك.[127]

6- **نفي إمامة أبناء الحسن** الذين ادعى بعضهم كمحمد بن عبد الله (ذي النفس الزكيـــة) الإمامة والمهدوية ، وحصر الإمامة بــدلا من ذلك في أبنــاء الحســين فقط ، وذلك بنــاء على تفســير قوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتـاب اللـه) الأنفال 75 .[128]

7- عدم جواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحســين ، وذلك اعتمــادا على تفســير قوله تعــالى :(وجعلها كلمة باقية في عقبه) الزخرف 28، بأن المقصود من (الكلمة) : الإمامة ، والمقصــود من الضــمير المتصل بــالعقب : هو الحســين بن علي ، وعدم جــواز رجــوع الإمامة إلى أخ أو ابن عم وضــرورة انتقالها من الوالد إلى الولد.[129] وقد تم اعتمــاد هـذا القــانون من اجل نفي إمامة زيد بن علي وأبنائه الـــذين ادعــوا المهدوية أو ادعيت لهم ، وحصر الإمامة في الإمــام محمد البــاقر وابنه جعفر الصادق .

8- إثبات إمامة الصـادق ونفي مهدويته ، وذلك خلافا للشيعة الناووســية الـذين أنكـروا وفـاة الصـادق وادعـوا مهدويته وغيبته .[130]

---

126 - الطوسي، الغيبة، ص 118

127 - الصفار، بصائر الدرجات، المختصر، ص 14 و170 ، والطوسي، الغيبة، ص 118 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 36 ، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 193

128 - الصدوق ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 179 - 180

129 - المصدر نفسه.

9- **إثبات إمامة الكاظم ، ونفي مهدويته** ، وذلك خلافا للشيعة الإسماعيلية الذين ساقوا الإمامة بعد الصادق في ولد إسماعيل ، أو الفطحية الذين قالوا بإمامة عبد الله الأفطح ، وخاصة الفريق الذي قال بوجود ولد مستور له هو (محمد بن عبد الله الأفطح) وادعى مهدويته وغيبته. وقد قام علي بن بابويه القمي بإيراد عدة روايات حول إمامة الكاظم والنص عليه من أبيه ، ونفي إمامة عبد الله الأفطح وإبطال إمامة إسماعيل الذي توفي في حياة الإمام الصادق ، وذلك من اجل حصر الإمامة في الكاظم ونزعها من أبناء إسماعيل الذين ادعوا توارث الإمامة فيهم وادعوا ظهور المهدي من بين صفوفهم.[131] وقام ابنه الشيخ الصدوق بإيراد مجموعة روايات عن الإمام علي بن موسى الرضا تؤكد وفاة أبيه وتنفي مهدويته التي قال بها (الواقفية) الذين رفضوا الاعتراف بوفاة الكاظم وقالوا بهروبه من سجن الرشيد ، وغيبته عن الأبصار استعدادا للظهور في المستقبل.[132]

10- إثبات إمامة بقية الأئمة كالرضا والجواد والهادي والعسكري ، حتى تصل إلى (الإمام الثاني عشر : محمد بن الحسن العسكري).

11- **نفي إمامة ومهدوية محمد بن علي الهادي** ، التي قال بها قسم من الشيعة الإمامية في ذلك الزمان وهم (المحمدية) الذين رفضوا الاعتراف بوفاته في حياة أبيه، وأصروا على القول بحياته وغيبته ومهدويته ، وذلك اعتمادا على وصية أبيه إليه . وقد اعتمد الشيخ الطوسي في إبطال هذا القول، على موت السيد محمد، الظاهر ، واعتبر إنكاره إنكاراً للضروريات.[133]

12 - إثبات إمامة الحسن العسكري ، ونفي مهدويته ، حيث كان ذلك ضرورياً على طريق إثبات الإمامة والمهدوية لابنه المفترض (محمد) . وقد توقف الشيخ الطوسي عند هذه النقطة ملياً ، وجاء بعدة روايات عن الإمام الهادي يثبت فيها

---

[130] - ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 199 ، والصدوق ، إكمال الدين، ص 137 ، والطوسي، الغيبة ، ص 18

[131] - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 207

[132] - الصدوق، إكمال الدين، ص 39

[133] - الطوسي ، الغيبة، ص 120

الإمامة والوصية للعسكري. ونقل حديثا يتضمن حدوث البـداء لله في إمامة محمد بن علي ونقلها إلى أخيه الحسن العســكري .[134] واعتمد الطوسي في عملية إثبات إمامة العسكري على مجموعة من (المعاجز) التي رواها أبو هاشم الجعفري ، والتي تـدور حـول محور (علم الإمـام بـالغيب) . وكـان لا بد من إثبـات وفـاة الإمـام العسـكري اعتمـادا على الظـاهر ، ونفي مهدويته وغيبته ، وتأويل الأحـاديث الـتي تـدعي القيـام بعد الوفـاة ، وذلك لقطع الطريق على الذين قالوا بغيبة الإمام الحسن ومهدويته .[135]

13- نفي إمامة جعفر بن علي الهادي . وقد اعتمدت هذه العملية على إسقاطه من أهلية الإمامة فضلا عن المهدوية ، وذلك باتهامه بشرب الخمر والفسق والفجور والكذب .[136]

واعتمد الشيخ الطوسي في مناقشة الشيعة (الفطحية) الذين قـالوا بإمامة جعفر بن علي بعد وفـاة أخيه الحسن العســكري ، على مبدأ الوراثة العمودية في الإمامة ، وضرورة اسـتمرارها في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب أبـدا إلى يـوم القيامة ، وعـدم جـواز انتقالها إلى الاخوة أو أبناء العم ، لكي ينفي إمامة جعفر بن علي الهادي.[137]

14- ضرورة استمرار الإمامة إلى يوم القيامة. وكان لا بد من إثبات هـذا المبـدأ ، في الطريق إلى القـول بوجـود (ابن الحسـن) وذلك ردا على الفرقة الـتي قـالت بانقطـاع الإمامة بعد وفـاة الإمـام الحسن العسـكري ، وقد قـام علي بن بابويه القمي بـالرد على هـؤلاء بـإيراد حـديث عن رسـول الله (ص) يـذكر فيه استمرار الإمامة في أهل الـبيت إلى يـوم القيامة ، وعـدم توقيتها لفترة محددة فقط .[138] واعتمد الشيخ المفيد على عدم جواز خلو الأرض من حجة (أي : من إمــام معصــوم) في عملية الاســتدلال العقلي على وجود الإمام (صاحب الزمـان المهـدي المنتظـر).[139] وروى الطوسي حديثا عن الإمام الصـادق (ع) يقـول:" إن الأرض

---

[134] - المصدر، ص121

[135] - المصدر، ص 122 - 124

[136] - الصدوق، إكمال الدين، ص 40 و133 والطوسي، الغيبة، ص 133 و 136

[137] - الطوسي، الغيبة، ص 136

[138] - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 233

[139] - المفيد، الفصول المختارة، ص 402

لو بقيت بغـير أمـام سـاعة لسـاخت" . [140] وتمسك الكـراجكي بضـرورة اسـتمرار الإمامة في أهل الـبيت ، وعـدم جـواز خلو الزمـان من أمـام ، بعد وفـاة العسـكري ، في الاسـتدلال على ضـرورة وجـود (الإمـام صـاحب الزمـان) وعـدم اسـتحقاق غـيره للإمامة. [141]

15- نفي وفاة القائم. وكانت الخطوة الأخيرة في عملية إثبـات وجـود (ابن الحسن) هي نفي وفاته ، وتأويل الأحـاديث الكثـيرة الـتي كـانت متداولة في تلك الأيـام ، والـتي تتحـدث عن وفـاة القـائم وقيامه بعد المـوت ، وهي الأحـاديث الـتي طبقها أصـحاب نظرية (مهدوية الحسن العسـكري) عليه ، وطبقها آخـرون على ابنه، فقـالوا: انه ولد ومـات، وسـيحيى ويظهر في المسـتقبل. وقد ذكر الطوسي بعض تلك الروايـات في كتـاب: (الغيبـة) ولم يضـعّفها ، ولكنه أوّلها بمـوت ذكـره ، وأشـار إلى ضرورة التوقف فيها والتمسك بما هو معلوم. [142]

هذه هي فقرات "الـدليل العقلي" ، الـذي يقدمه المتكلمـون كـأول وأهم دليل على وجـود (محمد بن الحسن العسـكري) ويمكن تلخيصه في: " نظرية الإمامة الإلهية لأهل الـبيت القائمة على العصمة و النص والوراثة العمودية" . وهو يتركز أساسا على مبـدأ "الوراثة العمودية" وعـدم جـواز الجمع بين الأخـوين في الإمامة ، خلافا للشـيعة الإماميـة الفطحية الـذين لم يؤمنـوا بهـذا المبـدأ ، فـذهبوا إلى القـول بإمامة جعفر بن علي ولم يشـاركوا (الاثني عشرية) بالقول بوجود (ابن مغمـور للحسن العسـكري) . رغم إيمانهم بعدد كبير من تلك المقدمات النظرية.

المبحث الثاني :

الدليل النقل على وجود ابن للعسكري

يعتمد الاسـتدلال على وجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) بالـدليل النقل ، على القـرآن الكـريم ، و الأحـاديث الـواردة عن الرسـول الأعظم (ص) والأئمة من أهل

[140] - الطوسي، الغيبة، ص 123
[141] - الكراجكي ،البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان، ص 243

[142] - الطوسي، الغيبة، ص 260 - 282

البيت (ع) حول التبشير بالمهدي المنتظر ، وهي تنقسم إلى عدة أقسام رئيسية:

القسم الأول: القرآن الكريم

1- قوله تعـالى: (وقضـينا آلي بـني إسـرائيل في الكتـاب، لتفسـدنَّ في الأرض مـرتين، ولتعلُنَّ علـواً كبـيراً ، فـإذا جـاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، ثم رددنا لكم الكـرة عليهم ..) الإسـراء 4 – 6 ، حيث روى الكليني عن أبى عبد الله (ع) : أنها نزلت في القائم .[143]

2 - قوله تعالى :(فاستبقوا الخيرات، أينما تكونوا يـأت بكم الله جميعا) البقرة 148، وقد روى الكليني عن أبى جعفر (ع) إن المخاطب بها أصحاب القائم . [144]

3- قوله تعالى :(حتى يتبين لهم انه الحق) فصلت 53، وقد روى الكليني أيضا : أنها تعني خروج القائم من عند الله .[145]

4- قوله تعالى :(ولتعلَمُنَّ نبأه بعد حين) ص 88 ، وقد روى الكليـني : إن ذلك عند خـروج القـائم. وقوله تعـالى:(وقل جـاء الحق وزهق الباطل) الإسراء 81 ،أي إذا قام القــائم ذهبت دولة الباطل.[146]

5- قوله تعالى:(فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعـوا إلى ما أتـرفتم فيه ومسـاكنكم لعلكم تسـألون) الأنبياء 12 – 13 . وقد روى الكليني عن أبى جعفر (ع) انه قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم.. فـإذا نـزل بحضـرتهم أصـحاب القـائم طلبـوا الأمـان والصـلح فيقـول أصــحاب القــائم : لا نفعل حــتى تــدفعوا إلينا من قبلكم منا فيدفعونهم إليهم ، فذلك قوله:(لا تركضوا وارجعوا إلى ما أتـرفتم فيه ..) قال : ويسألهم عن الكنـوز ، وهو أعلم بها ، فيقولـون:(يا ويلنا انا كنا ظــالمين ، فما زالت تلك دعــواهم حــتى جعلنــاهم حصيدا خامدين) بالسيف.[147]

---

143 - الكليني ، الكافي، الروضة، ص 175
144 - المصدر نفسه ، ص 260 ، والعياشي، التفسير ، ج 1 ، ص 66
145 - الكليني ، الكافي، الروضة، ص 312
146 - المصدر نفسه، ص 239 – 240
147 - المصدر نفسه، ص 44

6- قوله تعالى :(حتى إذا رأوا ما يوعدون) مريم 75 ، وذلك بظهور القائم، كما يقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره.[148]

7 - قوله تعـالى:(يـوم يسـمعون الصـيحة بـالحق ذلك يـوم الخروج) ق 42 ،أي صيحة القائم من السماء .[149]

8 - قوله تعــالى :(ليظهــره على الــدين كله ولو كــره المشركون) التوبة 33 ، قال الصدوق والخزاز: إن المقصـود هو المهدي من ولد فاطمة .[150]

9 - قوله تعــالى:(وعد الله الــذين آمنــوا منكم وعملــوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) النور 55.

10 - قوله تعالى :(ونريد إن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) القصص 5.

وكل هذه الآيات، وان لم تكن صريحة ، إلا انها تُأوّل بالمهدي القـــائم . ويســـتدل بها على وجـــود وولادة (محمد بن الحسن العسكري) بعد إثبات أنه (المهدي القائم) لا غيره.

القسم الثاني: الأحاديث :

1- الروايات الواردة حول المهـدي والقـائم . وذلك مثل:(المهـدي يخـرج في آخر الزمـان) و(ابشـروا بالمهـدي...) و (القائم لا يقوم حتى ينادي منـادي السـماء...) و(لا تـذهب الـدنيا حــتى يلي هــذه الأمة رجل من أهل بيــتي يقــال له المهــدي) و (المهدي من ولد فاطمـة) و (المهـدي من ولد الحسـين).. وهي روايــات كثــيرة يرويها الكليــني في (الكــافي) والنعمــاني في : (الغيبــة) والصـدوق في (إكمـال الـدين) والطوسي في (الغيبـة) والمفيد في :(الإرشـــاد) ، وهي وان كـــانت عامة غـــير محـــددة بشخص معين إلا إن كثيرا من المؤلفين حول الإمام الثاني عشر، يستخلصــون منها دليلا على وجــوده وولادته ، وذلك بعد إضــافة

---

148 - القمي ، التفسير، ج 2 ، ص 390

149 - المصدر نفسه، ص 327

150 - الصدوق، إكمال الدين، ص 378 ، والخزاز ، كفاية الأثر، ص 277

روايات أخرى عن الإمام الجواد والإمـام الهـادي: إن المهـدي من أولادهما.[151]

2**- الروايات الواردة حول الغيبة والغـائب**. وذلك مثل : (المهـدي من ولـدي تكـون له غيبة وحـيرة) و(إن الثـابتين على القــول بالمهــدي في زمــان غيبته لأعز من الكــبريت الأحمر) و (المهـدي.. له غيبة وحـيرة تضل الخلق عن أديـانهم) و (للقـائم منا غيبة أمـدها طويل) و (لا بد لصـاحب هـذا الأمر من عزلة أو غيبة) و (إن للقائم غيبة قبل ظهـوره) و (إن لصـاحب هـذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات ، وبعضـهم يقـول : قتل ، وبعضهم يقول: ذهب ، فلا يبقى على أمـره من أصـحابه إلا نفر يسير).

وقد اتخذ القائلون بوجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) من تلك الأحـاديث دليلا على صـحة نظـريتهم ، وقـال محمد بن أبى زينب النعماني في (الغيبة):" لو لم يكن يــروى في الغيبة إلا هذا الحـديث (الأخـير) لكـان فيه كفاية لمن تأمله" .[152] واعتبر الصـدوق ، نقل الشـيعة لتلك الروايـات الـتي تتحـدث عن (الغيبة) قبل وقوعها، دليلا على صحتها.[153] وقال: إن عدم ظهور النص والخلف بعد الحسن العســكري، وغيبة الإمــام المهــدي واختفاء شخصه ، واختلاف الشيعة ووقوع الحيرة من أمــره ، كما جـاء في الروايـات الماضـية دليل على (كـون المهـدي ووجـوده وغيبته) .[154]

وقال الشيخ الطوسي في (الغيبة):" إن موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه ، فكان كما تضمنه ، فكان ذلك دلالة على صحة ما ذهبنا إليه من إمامة ابن الحسن ، لأن العلم بما يكــون لا يحصل إلا من جهة علام الغيــوب ، فلو لم يُــروَ إلا خــبر واحد ووافق مخــبره ما تضــمنه الخــبر لكــان ذلك كافيا" .[155] وقــال أيضــا:" إن ما يــدل على إمامة ابن الحسن وصــحة غيبته، ما ظهر وانتشر من الأخبــار الذائعة عن آبائه، قبل

---

[151] - الصدوق، إكمال الدين، ص 378 ، و الخزاز ، كفاية الأثر، ص 277
[152] - النعماني، الغيبة، ص 116
[153] - الصدوق، إكمال الدين، ص 19
[154] - المصدر ، ص 113
[155] - الطوسي، الغيبة، ص 109

هــذه الأوقــات بزمــان طويل، من أن لصــاحب هــذا الأمر غيبة ، وصـــفة غيبته، وما يجـــري فيها من الاختلاف ويحـــدث فيها من الحوادث ، وانه يكون له غيبتان إحداهما أطول من الأخــرى.. وان الأولى يُعرف فيها خـبره ، والثانية لا يُعـرف فيها أخبـاره.. فوافق ذلك ما تضمنه الأخبار، ولولا صـحتها وصـحة إمامته لما وافق ذلك ، ولا يكون ذلك إلا بإعلام الله تعالى على لسان نبيه" .[156]

3- الروايات الواردة حـول الاثـني عشر إماما. وذلك مثل حـديث النـبي (ص):(يكـون بعـدي اثنا عشر خليفـة) أو (لا يــزال أمر أمــتي ظــاهرا حــتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) أو (يلي هـذه الأمة اثنا عشـر.. كلهم من قـريش لا يـرى مثله) أو (يكون بعـدي اثنا عشر أمـيرا كلهم من قـريش). وهـذه روايــات كلها من طـرق أهل السـنة ، وقد رواها الصـدوق وقـال تعليقــاً عليهــا:" نقل مخالفونا من أصـحاب الحـديث نقلا ظـاهرا مستفيضا من حديث جابر بن سمرة السوائي عن رسـول اللـه... وقد أخرجت طرق هذا الحديث... فدل على إن الأخبـار الـتي في أيدي الإماميـة عن النـبي والأئمة بـذكر الأئمة الاثـني عشر أخبـار صحيحة" .[157]

كما رواها الكليني في (الكافي) والطوسي في (الغيبة) .[158]

أما الروايات الشيعية الواردة حول موضوع (الاثـني عشـرية) فقد ذكر الكليني في (الكـافي) منها حـوالي سـبع عشـرة رواية ، وذكر الصـدوق في (إكمـال الـدين) حـوالي بضع وثلاثين روايــة.. وروى الخزاز في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشــر) حـوالي مـائتي رواية ، وقـال عنها : أنها متـواترة ٠ وذلك " لعـدم إمكانية اتفاق صحابة رسـول الله وخيـار العـترة والتـابعين الـذين يُنقل عنهم شطرا من الروايات على الكذب" .[159]

وتعتمد النظرية الاثني عشـرية حسب الرواية الشـيعية الـتي تذكر أسـماء الأئمة الاثـني عشر في قائمة مُعـدَّة من قبل ، على

---

[156] - المصدر نفسه، ص 110

[157] - الصدوق، إكمال الدين، ص 67 - 68

[158] - الكليني ، الكافي، ج 1 ، ص 525 – 534 والطوسي ،الغيبة، ص 88 - 90

[159] - الخزاز، كفاية الأثر، ص 77

كتــاب ســليم بن قيس الهلالي الــذي يقــول : إن الشــيعة كــانوا يحتفضون بالقائمة الاثني عشرية في بيوتهم خلال القــرون الثلاثة السابقة.

وقد قال ابن أبى زينب النعماني عن كتاب سـليم:" انه ليس بين جميع الشـــــيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة خلاف في إن كتــاب ســليم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأصــول الــتي رواها أهل العلم وحملة حــديث أهل الــبيت وأقــدمها ، وهو من الأصول التي يرجع إليها الشيعة ويعوّل عليها" . [160]

واتخذ الصـدوق وسـائر المتكلمين من تلك الروايـات الـتي اعتبروها "متواترة" دليلاً على وجـود وولادة (الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسكري) من حيث انه لا بد إن يكمل الرقم (12) المُخبَر به من قبل ، ومن دونه يصبح عدد الأئمة (أحد عشر) خلافاً للأحاديث ، ومن حيث إن الروايات قد جاءت بأن (المهـدي) من أهل الـبيت ومن ولد الحسـين ، وقد مضى الأئمة الأحد عشر ولم يظهر واحد منهم ، فتحتم : انه المهـدي الـذي سـوف يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . [161]

واعتـبر الطوسي إجمـاع الطـائفتين المختلفـتين والفرقـتين المتبـاينتين : (العامــة) و (الإماميــة) على : أن الأئمة بعد النــبي (ص) اثنا عشر ، لا يزيدون ولا ينقصون، دليل على ولادة (صاحب الزمـان) وصـحة غيبته ، وقـال: "إن الشـيعة يـروون تلك الأخبـار على وجه التواتر خلفاً عن سلف".[162]

4- **المهدي الإمام الثاني عشر.** وإضـافة إلى ذلك توجد في التراث الشيعي اكثر من سـبعين رواية عن رسـول الله (ص) وأهل الـبيت (ع) تتحـدث عن (المهـدي والقـائم) بصـراحة : انه (الإمام الثاني عشر أو التاسع من ولد الحسـين) وبعضـها يـذكره بالاسم الصـــريح الكامل ، وبعضــها يكتفي بالإشـــارة إليه بالكنية واللقب . ومن تلك الروايــات ما ذكـــره الصـــدوق في :(إكمـــال الدين) عن رسـول الله (ص): "إن خلفـائي وأوصـيائي وحجج الله

---

[160] - النعماني، الغيبة، ص 77
[161] - الصدوق، إكمال الدين، ص 66
[162] - الطوسي، الغيبة، ص 88 و 100

على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي وآخـرهم ولـدي المهـدي).[163]

وما عنه أيضـا:" إن الله عز وجل اختـار... من علي الحسن والحسـين ، واختـار من الحسـين الأوصـياء من ولـده... تاسـعهم قائمهم) .[164]

وما عن أمير المؤمنين (ع) :" آني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي ". [165]

وما عن الحسين بن علي (ع) :" التاسع من ولدي ...هو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة" .[166]

وما عن أبى عبد الله (ع):" إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي ، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ، أولهم أمـير المؤمنين، وآخرهم بقية الله في الأرض وصاحب الزمان" .[167]

وما عن الإمام الرضا (ع):" إن القائم هو... الرابع من ولدي ".[168]

وما عنه أيضا:" الإمام بعدي محمد ابني ، وبعـده ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر" .[169]

وما عن الإمام الهادي (ع) :" إن الإمام بعـدي الحسن ابـني وبعد الحسن ابنه القائم ". [170]

وما عن أبى عبد الله عن ، جـابر بن عبد الله الأنصـاري، انه دخل على فاطمة الزهـراء في حيـاة رسـول الله ليهنئها بـولادة الحسين ، فـرأى في يـدها لوحا أخضر ، ورأى فيه كتابا شـبه نـور الشمس ، فسألها عن ذلك فقالت له : هذا اللـوح أهـداه الله إلى

---

163 - الصدوق، إكمال الدين، ص 280

164 - المصدر، ص 281

165 - المصدر ص 289

166 - المصدر، ص 316

167 - المصدر نفسه، ص 342

168 - المصدر نفسه، ص 379

169 - المصدر نفسه، ص 372

170 - المصدر نفسه، ص 382

رســـول الله ، فيه اسم أبى واسم بعلي واسم ابـــني وأســـماء الأوصـياء من ولـدي ، فأعطانيه أبي ليسـرني بـذلك... وكـان فيه أسماء الأئمة الاثني عشر واحدا واحدا .. وان الأخير منهم (م ح م د) يبعثه الله رحمة للعالمين" .[171]

5- **حتمية وجود الحجة في الأرض.** وهنـاك أحـاديث أخـرى تؤكد على ضـرورة وجـود الحجة في الأرض، وعـدم جـواز خلوها من الإمام ، مثل ما يـروى عن رسـول الله (ص) في كتب السـنة :" من مات بغير أمام مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يداً من طاعة جاء يـوم القيامة لا حجة له" وما عن الإمـام الصـادق:" من مـات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية" الذي يرويه سليم بن قيس في كتابه ، والصدوق والكليني والنعماني والمفيد.[172]

والحديث الآخر الذي يرويه كل من البرقي والصدوق والمفيد ، عن الإمــام الصــادق :" لن تخلو الأرض من رجل يعــرف الحق ، فإذا زاد الناس فيه قال: زادوا ، وإذا نقصوا قال: قد نقصوا ، وإذا جــاؤا به صــدقهم ، ولو لم يكن ذلك كــذلك لم يعــرف الحق من الباطل".[173]

وما يـروى أيضا عن الإمـام الصـادق من " إن الله جل وعز ، أجل واعظم من إن يـترك الأرض بغـير أمـام " والـذي يرويه كـلٌ من الصفار والكليني والصدوق .[174]

وما يــروى عنه أيضا ، من انه قــال:" ما تــرك الله عز وجل الأرض بغــير أمــام قط منذ قبض آدم (ع) يهتــدى به إلى الله عز وجل ، وهو الحجة على العبـــاد ، من تركه ضـــلّ ومن لزمه نجا، حقاً على الله عز وجل". وما يروى أيضا عن الإمام الصــادق من انه قــال:" لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لســاخت بأهلها" والذي يرويه الصفار والكليني والنعماني والصدوق .[175]

---

171 - المصدر نفسه، ص 305 ، والكافي، ج1 ، ص 527

172 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 413 ، والكليني ، الكافي ، ج1 ص 376، والنعماني ، الغيبة ، ص 129 ، والمفيد ، الاختصاص ، ص 268 ، والرسائل، ص 384

173 - البرقي ، المحاسن، ص 235 ، والصدوق، علل الشرائع ج1 ص 200 ، والمفيد ، الاختصاص، ص 289

174 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 485، والكليني ، الكافي ج1 ص 178، والصدوق ، إكمال الدين، ص 229

إذن فان "الدليل النقلي" كـان يتـألف من عـدة مجـاميع من الآيات والروايات التي تتحدث عن القائم والمهدي بصـورة عامة ، وتلك الــتي تخصصه في أهل الــبيت وفي أولاد الإمــام علي (ع) وفي أولاد السيدة فاطمة الزهراء (ع) وفي أولاد الإمـام الحسـين وفي أولاد الإمــام الصــادق وفي أولاد الإمــام الجــواد والهــادي والعسكري ، إضـافة إلى الروايـات الـتي كـانت تتحـدث عن عـدد الأئمة الإثني عشر ، وعن ولادة (الإمام المهدي) واسمه ، وهذا ما يؤدي ، في نظـرهم ، إلى الإيمـان بـولادة ووجـود (الإمـام الثـاني عشر الحجة بن الحسن العسكري) واستمرار حياته ، بـالرغم من عدم ظهوره في حياة أبيه أو الوصية له أو الإشارة المباشرة منه إليه.

المبحث الثالث

الدليل التاريخي على ولادة (الإمام الثاني عشر)

المطلب الأول: ولادة ابن الحسن

يعـترف "الـدليل التـاريخي" بـأن الظـاهر من حيـاة الإمـام العســكري وســيرته ينفي إن يكــون له ولد، ولكنه يقــول : إن الظـروف السياسـية لم تكن لتسـمح للحسن العسـكري بـإعلان وجــود ولد له ، وان الخــوف عليه من السـلطات العباسـية الـتي كانت تعلم من قبل انه الإمام المهدي الذي سوف يزلزل عرشـها ، هو الــذي اجــبر الإمــام على إخفــاء أمر ولادة ابنه (المهــدي المنتظر). ثم يذهب الدليل التاريخي ليذكر تفاصــيل ولادة (محمد بن الحسن العســكري) والظــروف الــتي أحــاطت بها ، وقصص الـذين شـاهدوه ، بصـورة سـرية ، والتقـوا به في مختلف مراحل حياته أيام أبيه وبعد وفاته .

أم الولد

---

[175] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 481 ، والكليـني ، الكـافي ، ج1 ص 179، والنعماني ، الغيبة، ص 139 ، والصدوق، علل الشـرائع ، ص 197 وإكمال الدين، ص 201

تختلف الروايات حول اسم أم ابن الحسن ، فبينما يقول الشيخ الأقدم ابن أبى الثلج البغدادي في (تاريخ الأئمة) والمسعودي في (إثبات الوصية) والطوسي في (الغيبة) والمجلسي في (بحار الأنوار) : أن اسمها :(نرجس) يقول محمد بن علي الصدوق في : (إكمال الدين): " إن اسمها (مليكة) وهي بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم في ذلك الزمان ، وأنها رأت الإمام الحسن العسكري في المنام فأحبته وتزوجته وهربت من أبيها الذي كان يريد تزويجها من ابن أخيه ، ووقعت في الأسر، حيث أرسل الإمام الهادي نخاسا لشرائها من سوق الرقيق في بغداد".[176]

ولكن المسعودي يقول :" إنها كانت جارية ولدت في بيت بعض أخوات أبى الحسن علي بن محمد، وربتها في بيتها، فلما كبرت وعبلت دخل أبو محمد فنظر إليها فأعجبته ، وطلب من عمته أن تستأذن أباه في دفعها إليه ، ففعلت" .[177]

ويقول الصدوق في رواية أخرى :" إن اسمها هو (صقيل) وأنها ماتت في حياة الحسن العسكري".[178] وهناك عدة أسماء أخرى يذكرها المجلسي هي (سوسن) و(ريحانة) و(خمط) و ينقل عن الشهيد الأول في (الدروس): انها حرة وان اسمها (مريم بنت زيد العلوية) . [179]

تاريخ ولادته

اختلفت الروايات حول تاريخ مولد (الإمام محمد بن الحسن العسكري) وأخذ قوم من الشيعة الأوائل بدعوى الجارية (نرجس) بالحمل ، بعد وفاة الإمام العسكري ، وقالوا: إنها ولدت (ابن الحسن) بعد ذلك بثمانية اشهر .[180]

ويقول الشيخ المفيد : انه ولد في الثامن من شهر ذي القعدة سنة 257 هجرية أو 258هـ ، ويضيف : انه كان له عند وفاة أبيه سنتان وأربعة اشهر.[181] كما يقول في رواية أخرى: انه ولد في

---

[176] - الصدوق، إكمال الدين، ص 417
[177] - المسعودي، إثبات الوصية، ص 195
[178] - الصدوق، إكمال الدين، ص 431
[179] - المجلسي، بحار الأنوار، ج51 ، ص 432

[180] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 103 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 114

النصف من شعبان من سنة 255هـ. [182] ويقـول في رواية ثالثة : انه ولد سنة 252 هـ وكان سنه عند وفاة أبيه ثماني سنوات . [183] ولكن الشيخ الصدوق يقول: إن مولـده كـان في 8 شـعبان سـنة 256 هـــ . [184] أما الشــيخ الطوسي فيقــول : انه ولد في النصف من رمضان .[185] دون إن يحدد السنة، ويتفق في رواية أخــرى مع الشــيخ المفيد : في انه ولد في النصف من شــعبان ســنة 255 هـ.[186]

وهكــذا تختلف هــذه الروايــات في تحديد تــاريخ مولد (ابن الحسن) الذي تقول انه ولد بصورة سرية وظل أمره مخفيا..

كيفية ولادته

يعتمد الصدوق والطوسي والمسعودي والخصيبي الذين يروون قصة ولادة (ابن الحسن) على رواية واحـدة ينسـبونها إلى حكيمة (أو خديجة) عمة الإمام العسكري ، وتقول فيها:

" بعث اليّ أبو محمد الحسن بن علي ، فقــــال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان ، فان الله تبارك وتعالى سـيظهر في هـذه الليلة الحجة ، قـالت: فقلت لـه: ومن أمه؟ فقال لي : من نرجس ، قلت له: جعلني الله فـداك ما بها أثر ، فقال: هو ما أقول لك.

" قالت فجئت .. فلما سلمتُ وجلستُ جاءت تـنزع خفي وقـالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي : كيف أمسيت؟ ..فقلت لهـا: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي ، قالت : فأنكرت قـولي وقـالت : ما هـذا يا عمــة؟! .. فقلت لهـا: يا بنية إن الله تعـالى سـيهب لك في ليلتك هذه غلاما سـيدا في الـدنيا والآخـرة. قـالت فخجلت واسـتحيت.. فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت ، فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصـلاة .. ففـرغت من صلاتي ، وهي نائمة ليس بها حـادث ، ثم جلسـتُ معقبـة.. ثم اضــطجعتُ.. ثم انتبهتُ فزعة وهي راقــدة.. ثم قــامت فصــلت ونامت" .

---

181 - المفيد ، رسالة مولد الأئمة ، ص 6

182 - المفيد، الفصول المختارة ، ص 258

183 - المصدر نفسه

184 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 432

185 - الطوسي ، الغيبة، ص 143

186 - المصدر نفسه ، ص 141

" قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب أتسرحان ، وهي نائمة ، فدخلني الشك، فصاح أبو محمد (ع) من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فهاك الأمر قد قرب".

" قـالت : فبينما أنا كـذلك إذا انتبهت فزعة فـوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك ، ثم قلت لهـا: أتحسـين شـيئا؟ قـالت: نعم ، يا عمـة. فقلت لهـا: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك ".

" قالت: فأخذتني فترة فـانتبهت بحس سـيدي، فكشـفت الثـوب عنه فإذا أنا به ساجدا يتلقى الأرض بمساجده ، فضممته اليّ فإذا أنا به نظيف متنظف ، فصـــاح بي أبو محمد هلمي اليّ ابـــني يا عمة ، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهـره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصـله ، ثم قـال: تكلم يا بني ، فقـال: اشـهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد إن محمدا رسول الله ، ثم صلى على علي أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى إن وقف على أبيه ثم أحجم .. ثم قـــال أبو محمـــد: يا عمة اذهـــبي به إلى أمه ليســـلم عليها وائتيني به، فذهبت به فسـلم عليها ورددته فوضـعته في المجلس ، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا" .

" قـــالت حكيمـــة: فلما أصـــبحت جئت لأســـلم على أبى محمد وكشفت السـتر لأتفقد سـيدي فلم أره ، فقلت : جعلت فـداك ما فعل ســيدي؟ فقــال: يا عمة اســتودعناه الــذي اســتودعته أم موسى"..

" قــالت حكيمــة: فلما كــان في اليــوم الســابع جئت فســلمت وجلست ، فقـــال: هلمي اليّ ابـــني ، فجئت بســـيدي وهو في الخرقة ، ففعل به كفعلته الأولى ، ثم أدلى لســـانه في فيه كأنه يغذيه لبنا أو عسلا ، ثم قال: تكلم يا بني ، فقـال: اشـهد إن لا اله إلا الله وثـنى بالصـلاة على محمد وعلى أمـير المؤمـنين وعلى الأئمة الطـاهرين حـتى وقف على أبيه ، ثم تلا هـذه الآية :(بسم الله الـرحمن الـرحيم ونريد إن نمن على الـذين استضـعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الــــوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) القصص 5 – 6".[187]

---

[187] - الصدوق، إكمال الدين، ص 424

وتقول حكيمة في رواية أخرى يذكرها الصدوق: إن نرجس لم يكن بها أي أثر للحمل وإنها لم تكن تعـرف ذلك ، وعنـدما قـالت لها حليمة إنها ستلد هذه الليلة اسـتغربت وقـالت:" يا مـولاتي ما أرى شيئا من هذا".[188] حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة وقالت:" ظهر بي الأمر الذي أخبرك مولاي". وتقـول الرواية : إن حكيمة أقبلت تقـرأ على نـرجس القـرآن فأجابها الجـنين من بطن أمه .. يقـرأ مثلما تقـرأ وسـلّم عليهـا. مما أثـار فزعها . ولكن الرواية تقـول: إن نـرجس غُيّبت عن حكيمة فلم ترها كأنه ضـرب بينها وبين نـرجس حجـاب ، مما أثـار اسـتغرابها وصراخها ولجوئها إلى أبى محمد ، حيث قـال لهـا: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها.

" قالت حكيمة: فرجعت .. فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيـني وبينها ، وإذا أنا بها وعليها من أثر النـور ما غشي بصـري ، وإذا بالصبي ساجداً لوجهه" .[189]

وتضـيف هـذه الرواية موضـوعا آخر هو: تحليق عـدد من الطيـور فـوق رأس الوليد ، وقـول الحسن لطـير منهـا: احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوما ، فتناوله الطـير وطـار به في جو السماء ، مما جعل أمه تبكي لفراقه .

" قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ فقال: هـذا روح القـدس الموكل بالأئمة يوفقهم ويسددهم ويربيهم بـالعلم . فلما كـان بعد أربعين يوما رد الغلام وكـان يمشي كأنه ابن سـنتين ، مما دفعها للتسـاؤل بدهشة فقـال لها أخوها الحسـن: إن أولاد الأنبيـاء والأوصـياء إذا كـانوا أئمة ينشـئون بخلاف ما ينشأ غـيرهم ، وان الصبي منا إذا كان أتي عليه شهر كـان كمن أتي عليه سـنة ، وان الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقـرأ القـرآن ويعبد ربه عز وجل وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحا ومساءا ".

وتواصل الرواية نقلا عن حكيمة : " أنها لم تزل ترى ذلك الصـبي في كل أربعين يوما إلى إن رأته رجلا ، قبل مضي أبى محمد بأيام قلائل، فلم تعرفه ، وقالت لأبن أخيها : من هذا الذي تأمرني إن اجلس بين يديه؟! فقال لها: هـذا ابن نـرجس ، وهـذا خليفـتي من بعدي ، وعن قليل تفقدوني فاسمعي له أطيعي" .

---

188 - المصدر، ص 428

189 - المصدر نفسه، ص 426

" قـالت حكيمـة: فمضى أبو محمد بعد ذلك بأيـام قلائل وافـترق الناس كما ترى .. ووالله آني لأراه صباحا مساءا وانه لينبئني عما تسـألون عنه فـأخبركم، ووالله آني لأريد إن اسـأله عن الشـيء فيبدأني به وانه ليرد عليّ الأمر فيخرج اليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي "..[190]

رواية الطوسي لقصة الولادة

ويورد الطوسي في :(الغيبة) قصة ولادة (ابن الحسن) ، ولكن لا يذكر قصة الطيور وروح القـدس وأخذ الوليد آلي السـماء ..بل يقـــول: إن حكيمة ودعت أبا محمد وانصـــرفت إلى منزلها في أعقاب ولادة المهدي ، وعنـدما اشـتاقت له بعد ثلاثة أيـام رجعت ففتشت عنه في غرفته فلم تجد له أثـــرا ولا ســمعت له ذكـــرا فكرهت إن تسأل ، ودخلت على أبى محمد فبـدأها بـالقول: ٠ هو يا عمة في كنف الله أحرزه وستره حتى يأذن الله له ، فـإذا غيّب الله شخصي وتوفاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا ، فـأخبري الثقـاة منهم .. وليكن عنـدك مسـتورا وعنـدهم مكتوما ، فـان ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقـدم له جبرائيل فرسه ليقضي الله أمرا كان مفعولا .[191]

ويضـيف الطوسي في رواية أخـرى قـول الحسن لعمتـه:" استودعناه الذي استودعته أم موسى، والطلب منها إن تـأتي في اليوم السابع ، حيث يعود المهدي فتراه حكيمة" .[192]

ويقول في رواية ثالثة:" إن حكيمة دخلت بعد ثلاثة أيام فرأت الولد في المهد وعليه ثــوب اخضر وكــان نائما على قفــاه غــير محزوم ولا مقموط ففتح عينيه وجعل يضحك لها ويناجيها بإصـبعه ، ثم غاب بعد ذلك"..[193]

ويقول في رواية رابعة:" إن حكيمة وجدت على ذراع المهدي عند ولادته مكتوبا :"(جــاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كـــان زهوقا) ص 88 ، كما وجدته مفروغاً منه (أي مختونـا) وانه رفع بينها وبين المهــدي مع أبيه الحسن كالحجــاب ، فلم تــرَ أحــدا ، فقالت: أين مولاي؟!.. فقال لها الحسن: أخــذه من هو أحق منك

---

190 - الصدوق، إكمال الدين، ص 430
191 - الطوسي، الغيبة، ص 141
192 - المصدر نفسه، ص 142
193 - المصدر نفسه، ص 143

ومنا . وعندما عـادت بعد أربعين يوما وجـدت المهـدي يمشي في الــــدار فلم تــــرَ وجها أحسن من وجهه ولا لغة افصح من لغته ، وعندما تعجبت من ذلك وقالت: أرى من أمره ما أرى وله أربعون يوما؟! تبسم أبو محمد وقــــال: يا عمـــــتي أما علمت انا معاشر الأئمة ننشــــأ في اليــــوم كما ينشأ غيرنا في الســــنة؟ فقــــامت وانصرفت ولم تره بعد ذلك. [194]

ويروي الطوسي عن خادمتين للإمام العسكري، هما: (نسـيم ومارية) انهما قالتا: لما خرج صاحب الزمان من بطن أمه ســقط جاثيا على ركبتيه رافعا ســبابته نحو الســماء ، ثم عطس فقــال: الحمد لله رب العــالمين وصــلى الله على محمد وآله داخــرا لله غير مستنكف ولا مستكبر ، ثم قــال: زعمت الظلمة إن حجة الله داحضة ، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك .[195]

ويضيف المسعودي والخصـيبي جانبا آخر إلى قصة ولادة ابن الحســـن، فيقـــولان: إن المهـــدي ولد من فخذ أمه ، وينقلان عن الإمــام العســكري قوله لعمته حكيمة : إن الأئمة لا يحملــون في البطون وإنما يحملون في الجنوب . [196]

ويتفق المسعودي مع الصدوق والطوسي في إن حكيمة نامت في تلك اللحظـــات وهي قاعـــدة ووقع عليها ســـبات لم تتمالك نفسها منه ولم تحس إلا على صوت الوليد تحت نــرجس وصــوت أبيه يناديها: " يا عمتي هاتي ابني" ويقــول : إن الوليد اختفى في ذلك اليوم وعاد بعد أسبوع ، فرأته حكيمة مرة أخرى ثم اختفى ، ولم تره حتى أربعين يوما ، حيث شاهدته يمشي.[197]

ويختلف المسـعودي مع الصـدوق الـذي ذكر في روايتـه: إن الإمام ينشأ في الشهر كما ينشأ غـيره في الســنة، ومع الطوسي الذي ذكـر: إن الإمام ينشأ في اليــوم كما ينشأ غـيره في الســنة ، فيقلل المسعودي النسبة ، وينقل عن العسكري قوله لحكيمة: أو ما علمت يا عمــتي انا معاشر الأوصــياء ننشأ في اليــوم مثل ما ينشأ غيرنا في الجمعة؟ وننشأ في الجمعة مثل ما ينشأ غيرنا في الشهر وننشأ في الشهر مثل ما ينشأ غيرنا في السنة؟ [198]

---

194 - المصدر نفسه، ص 145
195 - المصدر نفسه
196 - المسعودي، إثبات الوصية، ص 196 والخصيبي، الهداية الكبرى
197 - المسعودي، إثبات الوصية، ص 197
198 - المصدر نفسه

ويروي المسعودي أخيرا عن أبى محمد العسكري انه قال: لما ولد الصــاحب بعث الله (عــزّ وجــلّ) ملكين فحملاه إلى ســرادق العرش حتى وقف بين يدي الله فقال لـه: مرحبا بـك.. بك أعطي وبك أعفو وبك أعذب .[199]

سرية الولادة

ومع إن رواية حكيمة السابقة تقول : إن أمر الولادة ظل سريا مكتوما عن الجميع ، وان الإمــــــام الحسن طلب منها إذا رأت اختلاف الشــــيعة بعد وفاته، أن تخـــبر الخــــواص فقط ، إلا إن الصدوق يذكر ان الإمام الحسن العسكري اخبر كبير الشــيعة في قم : (أحمد بن إســـحاق) ، وانه كتب له:" وُلد لنا مولـــود فليكن عندك مســتورا وعن جميع النــاس مكتوما ، فانا لم نظهر عليه إلا الأقــرب لقرابته والمــولى لولايته ، أحببنا إعلامك ليســرك الله به مثل ما سرنا به ، والسلام ". [200]

وفي رواية أخرى يقول الصدوق : إن احمد بن إســحاق دخل على الإمــام العســكري يوما فســأله عن الإمــام والخليفة بعـده ، فنهض مسرعا فدخل الـبيت ثم خـرج وعلى عاتقه غلام من أبنـاء الثلاث سنين ، وقال لــه: يا أحمد لــولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا .[201]

ويقول الفضل بن شاذان في (كشف الحق) إن الحسن قال: ولد ولي الله وحجته على عبـاده وخليفـتي من بعـدي ليلة النصف من شعبان وكان أول من غســله رضـوان خـازن الجنة ثم غســلته حكيمة .

ويقول الصدوق : إن من الذين علموا بخبر الولادة أبو الفضل الحسن بن الحســين العلــوي ، الــذي يقــول: انه دخل على أبى محمد بسرّ من رأى ، وهنـأه بـولادة ابنه . وكـان منهم أيضـا: (أبو هــارون) الــذي يقــول: انه رأى صــاحب الزمــان وانه كشف عنه الثوب فوجده مختونا . [202]

ويؤكد الطوسي هاذين الخبرين في :(الغيبة).[203]

---

199 - المصدر نفسه
200 - الصدوق، إكمال الدين، ص 434
201 - المصدر نفسه، ص 384
202 - المصدر 435
203 - الطوسي ، الغيبة، ص 151

ويقول الشيخ المفيد : إن الحسن العسكري كان يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه ، كعمرو الاهوازي . [204]

وفي رواية أخرى: إن الإمام العسكري أرسل أمـوالا إلى بعض الشيعة وأمرهم إن يعقوا عن ابنه.[205]

رؤية المهدي في حياة أبيه

وعلى أي حال فان المؤرخين الشيعة ينقلون قصصا كثيرة عن مشاهدة الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) في حيـاة أبيه وعند وفاته ، حيث ينقل الكليـني والصـدوق والطوسي عن رجل من أهل فارس كان يخـدم في بيت الإمـام العسـكري : انه شاهد يوما جارية تحمل غلاما ابيض ، وقـول الإمـام لـه:" هـذا صاحبكم" وعدم رؤيته بعد ذلك. [206]

كما ينقل الصـدوق والطوسي ، عن مجموعة من أصـحاب الإمـام العسـكري ، فيهم: عثمـان بن سـعيد العمـري: انه عـرض عليهم ابنه وقـال لهم: هـذا إمـامكم من بعـدي وخليفـتي عليكم ..أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديـانكم فتهلكـوا ، أما إنكم لا ترونه بعد يـومكم هـذا ، قـالوا : فخرجنا من عنـده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد . [207]

كما ينقل الصدوق في (إكمال الدين) قصصا عن رجل اسمه (يعقــوب بن منقــوش) : انه دخل على الإمــام العســكري يوما فسأله: من صاحب هذا الأمر؟ فكشف له الإمام سـترا عن بيت ، فخرج غلام خماسي وجلس على فخذ أبى محمد ، فقال ليعقوب: هذا صاحبكم ، ثم قال للغلام : يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم . فــدخل الــبيت واختفى فيه . وينقل عن (نســيم) خادمة الإمــام العسـكري : أنها دخلت على صـاحب هـذا الأمر بعد مولـده بليلة فعطست عنده ، فقال لها: يرحمك الله .[208]

وينقل عن خـادم آخر هو (طريف أبو نصـر) : انه دخل على صاحب الزمان فطلب منه إن يأتيه بصندل أحمر ثم قـال لـه: أنا

---

204 - المفيد، الإرشاد، ص 392

205 - الصدوق، إكمال الدين، ص 432

206 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 329 والصدوق، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي، الغيبة، ص 140

207 - الصدوق، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي، الغيبة، ص 217

208 - المصدر

خـاتم الأوصـياء ، وبي يـدفع الله البلاء عن أهلي وشـيعتي. وينقل عن رجل سوري اسمه (عبد الله): انه ذهب إلى بستان بني عامر فرأى فتى جالسا على مصلى واضـعاً كمّـه في فيه ، فقـال: من هذا ؟ فقيل له :(م ح م د) ابن الحسن .[209]

وينقل الصدوق رواية مطولة جدا عن سعد بن عبد الله القمي : انه دخل مع احمد بن إسـحاق على الإمـام العسـكري، فـرأى غلاما على فخـــذه وبين يديه رمانة ذهبية يلعب بها ، وبيد الحسن قلم إذا أراد إن يكتب شيئا قبض الغلام على يده فيـدحرج الرمانة بين يديه ويشـغله بردها، كيلا يصـده عن كتابة ما أراد ، وكـان مع احمد بن إسحاق جراب فيه هدايا الشيعة والموالي ، فوضـعه بين يـدي العسـكري ، فقـال للغلام : فضّ الخـاتم ، فـرفض ، وقـال: أيجـوز إن أمـدّ يـدا طـاهرة إلى هـدايا نجسة وأمـوال رجسة قد شـيب حلالها بحرامهـا؟! فأخرجها احمد بن إسـحاق ليمـيز بينها ، فأخذ الغلام يحكي قصة الأموال والهدايا واحدة فواحدة..[210]

وفي رواية أخرى ينقلها الصدوق عن احمد بن إسـحاق يقـول فيها : انه سـأل الإمـام عن الخليفة بعـده وانه جـاء بابنه وعرضه عليه ، ولكنه لم يطمئن فسـأل : يا مـولاي هل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقـال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثـرا بعد عين. فقـال الإمام العسكري: هذا سر من سر الله ، فخذ ما آتيتك أكتمه وكن من الشاكرين .[211]

ويروي الطوسي عن كامل بن إبراهيم المدني: انه ذهب إلى الإمـام العسـكري ليسـأله عن بعض المسـائل ، وبينما هو جـالس في الدار ، وإذا بالريح تكشف سـتراً مـرخى على بـاب ، وإذا هو بفـتى كأنه فلقة قمر ، فقـال لـه: يا كامل بن إبـراهيم جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله كذا وكذا ، فقـال: أي والله . ثم رجع الستر إلى حالته ، فلم يستطع كشفه ، ولم يعاينه بعد ذلك.[212]

وينقل أيضا عن إسـماعيل بن علي النوبخـتي : انه دخل على الإمـــام العســـكري قبيل وفاته بســـاعة ، وانه طلب من خادمه (عقيـد) إن يـدخل الـبيت ويأتيه بصـبي فيه ، فقـال له أبو محمـد:

---

209 - الصدوق، إكمال الدين، ص 436

210 - المصدر ، ص 454 - 456

211 - المصدر نفسه، ص 384

212 - الطوسي ، الغيبة ، ص 148 - 149

أبشر يا بني ، فأنت صاحب الزمان وأنت المهـدي وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولـــدي ووصـــيي وأنا ولـــدتك ، وأنت محمد بن الحسن ... وأنت خـاتم الأئمة الطـاهرين ، وبشر بك رسـول الله وكناك بذلك عهد اليّ أبى عن آبائك الطاهرين .[213]

رؤيته عند وفاة أبيه

وينفرد محمد بن علي الصـدوق من بين المـؤرخين القـدامى بذكر قصص أخرى كقصة (أبى الأديان البصري) الذي يقول: كنت اخدم الحسن بن علي واحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علته الـــتي تـــوفي فيها فكتب معي كتبا وقـــال: امضِ بها إلى المـــدائن فانك ســتغيب خمسة عشر يوما وتـــدخل إلى (سر من رأى) يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل .

فقلت: يا سيدي إذا كان ذلك فمن؟ ..

قال: من طالبك بجواب كتبي فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

قال: من يصلي علي فهو القائم بعدي .

فقلت: زدني.

فقال: من اخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخـذت جواباتها، ودخلت (سرّ من رأى) يوم الخامس عشر ، كما ذكر لي ، فـإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه ببـــــاب الـدار والشـيعة من حوله يعزونه ويهنؤنه ، فقلت في نفسـي: إن يكن هــذا الإمــام فقد بطلت الإمامة ، لأني كنت اعرفه يشـــرب النبيذ ويقـامر في الجوسق ويلعب بـالطنبور ، فتقـدمت فعـزيت وهنيت ، فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم وصل عليه ، فـدخل جعفر بن علي والشـيعة من حوله يقدمهم السمان (عثمان بن سعيد العمـري) فلما صـرنا في الـدار إذا نحن بالحسن على نعشه مكفنا ، فتقـدم جعفر بن علي ليصــلي على أخيه فلما همّ بــالتكبير خــرج صــبي بوجهه ســمرة

[213] - المصدر، ص 165

بشعره قطط بأسنانه تفليج فجذب برداء جعفر وقال: تأخر يا عمّ فأنا أحق بالصـــلاة على أبى ، فتـــأخر جعفر ، وقد اربد وجهه واصفرّ.. فتقدم الصبي وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه ، ثم قـال: يا بصـري هـات جوابـات الكتب الـتي معك ، فـدفعتها إليه ، فقلت في نفسـي: هـذه بينتـان ، بقي الهميـان ، ثم خـرجت إلى جعفر وهو يزفر، فقـال له حـاجز الوشـاء: يا سـيدي من الصـبي لنقيم عليه الحجـة؟ فقـال: والله ما رأيته قط ولا اعرفـه. فنحن جلوس إذ قـدم نفر من قم فسـألوا عن الحسن بن علي فعرفـوا موته، فقــالوا: فمن نعــزي؟ فأشــار النــاس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنئوه ، وقالوا: إن معنا كتبا وأموالا فتقـول ممن الكتب؟ فقــام ينفض أثوابه ويقــول: تريــدون منا إن نعلم الغيب؟!

قـال: فخـرج الخـادم فقـال: معكم كتب فلان وفلان وفلان وهميان فيه ألف دينـار وعشـرة دنـانير منها مطلية ، فـدفعوا إليه الكتب والمال ، وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام .[214]

وينقل الصدوق هذه القصة برواية أخرى عن سنان الموصلي : انه لما قبض العسكري وفد من قم والجبال وفـود بـالأموال، ولم يكن لـديهم خـبر وفـاة الحسن، فسـألوا عن وارثه فقيل لهم: انه أخـوه جعفر وقد ذهب يتـنزه في دجلة مع المغـنين ، فـأرادوا إن يرجعوا ، ولكن أبا العبـاس محمد بن جعفر الحمـيري القمي قـال لهم: قفـوا بنا حـتى ينصـرف هـذا الرجل ونختـبر أمـره بالصـحة. وانهم طالبوا جعفر بالتحدث غيبيا عن تفاصيل الأموال وأصحابها ، فـأنكر علم الغيب ... ولما إن خرجـوا من البلد خـرج إليهم غلام فنادى: يا فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم ، قالوا فسرنا معه حـتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي فـإذا ولـده القـائم سـيدنا قاعد على سـرير كأنه فلقة قمر عليه ثيـاب خضر ، فسـلمنا فـرد علينا السـلام ثم قـال: جملة المـال كـذا وكـذا .. حمل فلان كـذا وحمل فلان كذا . ولم يزل يصف حـتى وصف الجميـع.. ثم وصف رحالنا وثيابنا وما كــان معنا من الــدواب ، فخررنا سـجداً لله عز وجل شـــكرا لما عرفنا ، و قبلنا الأرض بين يديه ، وســألناه عما أردنا فأجاب ، فحملنا إليه الأمـوال ، وأمرنا إن لا نحمل إلى (سر من رأى) بعدها شيئا من المال ، فانه ينصب لنا ببغداد رجلا يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات.[215]

---

[214] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475 - 476
[215] - المصدر نفسه، ص 476 - 479

محاولة القبض على المهدي

وهناك رواية تاريخية ينقلها عدد من المؤلفين عن شرطي اسمه (رشيق) يتحدث عن محاولة المعتضد العباسي للقبض على (المهدي) وإرساله ثلاثة من الشرطة ، وذهابهم إلى بيت الإمام الحسن العسكري في سامراء ، ورؤيتهم في البيت بحرا من الماء ورجلا على حصير على الماء، قائما يصلي ، وغرقهم عند محاولتهم التقدم نحوه ، ثم اعتذارهم وتراجعهم.[216]

وينقل المجلسي و الصدر قصة أخرى مشابهة ، وهي تجريد المعتضد لحملة أكبر وكبس البيت وسماع العسكر لصوت قراءة من السرداب ، واجتماعهم عند مدخله لإلقاء القبض على صاحب الصوت ، وخروجه من بين أيديهم.[217]

المطلب الثاني:

شهادة (النواب الأربعة)

لعل أهم دليل تاريخي على ولادة ووجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) هو شهادة (النواب الأربعة الخاصين) الذين ادعوا (النيابة) عنه ، في فترة (الغيبة الصغرى) من سنة 260 إلى سنة 329 هجرية . حيث كان هؤلاء (النواب) يدعون مشاهدته واللقاء به وإيصال الأموال إليه و نقل الرسائل و (التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

وكان الجيل الأول من (النواب) أو (السفراء والوكلاء) رجال من أصحاب الإمامين علي بن محمد الهادي ، والحسن بن علي العسكري ، وكان على رأسهم عثمان بن سعيد العمري ، الذي كان وكيلا للإمامين في قبض الأموال من الشيعة وإيصالها اليهما

---

[216] - الطوسي، الغيبة، ص 149 والراوندي، الخرايج والجرايح، ص 67 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 13 ، ص 118 ، ومحمد الصدر ، الغيبة الصغرى، ص 577

[217] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 13 ، ص 118 ، ومحمد الصدر ، الغيبة الصغرى، ص 560

في حياتهما ، والـــذي يصـــفه الشـــيخ الطوسي بأنه : "الشـــيخ الموثوق به ، ومن السفراء الممدوحين للأئمة" . [218]

ويقال : انه كان محل ثقة الإمامين العسكريين ، ولم يكن وكيلا لهما في جمع الأمـوال فقط ، وإنما كـان يقـوم بـأدوار أكـبر في إيصال رسائل الإمـامين إلى الشـيعة ، وكـان يحتل مرتبة عظيمة عنـــدهما . وينقل الشـــيخ الطوسي رواية عن احمد بن اســحق القمي ، قـال: دخلت على أبى الحسن علي بن محمد ، في يـوم من الأيـــام ، فقلت: يا ســـيدي أنا أغيب واشـــهد ، ولا يتهيأ لي الوصـول إليك إذا شـهدت في كل وقت ، فقـول من نقبل ، وأمر من نمتثل؟ فقال لي: " هذا أبو عمــرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعـــــني يقوله ، وما أداه اليكم فعـــــني يؤديه" . فلما مضى أبو الحسن وصــلت إلى أبى محمد الحسن العســكري ، ذات يــوم ، فقلت له مثل قولي لأبيه ، فقال لي: " هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقــتي في المحيا والممــات ، فما قاله لكم فعــني يقوله ، وما أدى إليكم فعني يؤديه" .[219]

وهـذه الرواية تكشف عن أن العمـري لم يكن وكيلا في جمع المـال فقط ، وإنما كـان يقـوم بـأدوار اكـبر في إيصـال رسـائل الإمـامين الهـادي والعسـكري إلى الشـيعة ، ويحتل مرتبة عظيمة عندهما.

وينقل الطوسي أيضا عن احمد بن علي بن نـوح أبو العبـاس الســـيرافي ، قـــال : اخبرنا أبو نصر عبد الله بن محمد بن احمد المعروف بابن برنية الكـاتب ، قـال : حـدثني بعض الأشـراف من الشـيعة الإماميــة أصــحاب الحــديث ، قــال : حــدثني أبو محمد العبــاس بن احمد الصــائغ ، قــال : حــدثني الحســين بن احمد الخصيبي ، قـال : حـدثني محمد بن إسـماعيل وعلي بن عبد الله الحســنيان ، قــالا: دخلنا على أبى محمد الحسن بسرّ من رأى ، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته ، حتى دخل عليه بدر خادمه ، فقال: يا مولاي بالباب قوم شـعث غـبر ، فقـال لهم: هـؤلاء نفر من شيعتنا باليمن (في حديث طويل يســوقه) إلى إن ينتهي إلى أن قال الحسن لبدر: فامض ائتنا بعثمان بن سعيد العمــري ، فما لبثنا إلا يسـيرا حـتى دخل عثمـان ، فقـال له سـيدنا أبو محمد : امض يا عثمـــان فانك الوكيل والثقة المـــأمون على مـــال الله ، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملـوه من المـال (ثم سـاق

[218] - الطوسي، الغيبة، ص 209 و214

[219] - المصدر نفسه، ص 215

الحديث إلى إن قال) ثم قلنا بأجمعنا : يا سـيدنا والله إن عثمـان لمن خيـار شـيعتك ، ولقد زدتنا علما بموضـعه من خـدمتك وانه وكيلك وثقتك على مـال الله ، قـال: نعم ، واشـهدوا على أن عثمـان بن سـعيد العمـري وكيلي ، وان ابنه محمد وكيل ابـني مهديكم .[220]

ويلاحظ إن هذه الرواية تشتمل ، إضافة إلى وثاقته ووكالته ، على وثاقة ابنه ووكالته .

ويروي الطوسي عن أبى محمد هارون بن موسى، قال ، وقال جعفر بن محمد بن مالك الفـزاري عن جماعة من الشـيعة، منهم علي بن بلال ، واحمد بن هلال ، ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعـا: اجتمعنا إلى أبى محمد الحسن بن علي نسـأله عن الحجة من بعـده ، وفي مجلسه أربعـون رجلا ، فقـام إليه عثمـان بن سـعيد العمـري ، فقـال له : يا ابن رسـول الله أريد إن أسـألك عن أمر أنت اعلم به مـني ، فقـال لـه: اجلس يا عثمـان ، فقـام مغضـبا ليخرج ، فقـال: لا يخـرجن أحد ، فلم يخـرج منا أحد إلى ان كـان بعد سـاعة ، فصـاح (ع) بعثمـان ، فقـام على قدميه ، فقـال: أخبركم بما جئتم ؟.. جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي ، قـالوا: نعم ، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه النـاس بـأبي محمد ، فقـال: هـذا إمـامكم من بعـدي وخليفـتي عليكم.. اقبلـوا من عثمـان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله ، فهو خليفة إمامكم ، والأمر إليه .[221]

ويقـول الطوسي ، نقلا عن حفيد العمـري (هبة الله) : إن الحسن بن علي لما مـات حضر غسـله عثمـان بن سـعيد وتـولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره مأمورا بذلك للظـاهر من الحال... وكانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمـان بن سعيد وابنه أبى جعفـر، إلى شـيعته وخـواص أبيه بـالأمر والنهي ، والأجوبة عما يسـأل الشـيعة عنه إذا احتـاجت إلى السـؤال فيه ، **بالخط الـذي كـان يخـرج في حيـاة الحسن** ، فلم تـزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى إن توفي عثمان بن سعيد.[222]

---

220 - المصدر نفسه، ص 215 - 216

221 - المصدر نفسه، ص 217

222 - المصدر ، ص 216

وهكذا اصبح العمري (نائبا خاصا) عن (الإمام المهدي) بعد إن ادعى وجــوده وولادته والنيابة له . وقد سـأله احمد بن إسـحاق ، فقال له: أنت الآن ممن لا يشك في قوله وصدقه ، فأسألك بحق الله وبحق الإمامين اللذين وثقاك ، هل رأيت ابن أبى محمد الذي هو صاحب الزمان ؟ .. فبكى ثم قال: على إن لا تخبر بذلك أحـدا وأنا حي ، قـال: نعم ، قـال: قد رايته ، وعنقه هكـذا (يريـد: أنها اغلظ الرقـاب حسـنا وتماما) قـال: فالاسم ؟ .. قـال: نهيتم عن هذا .[223]

وقد توفي عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام العسكري بسنتين، وخلف ابنه محمد (سفيرا) بين الإمام المهدي والشيعة.

وينقل الكليني والطوسي (تواقيع) واردة من الإمام ، بتوثيقه وتزكيته وتنصيبه في منصب (النائب الخاص) .[224]

ويقول عبد الله بن جعفر الحميري القمي ، زعيم الشيعة في قم : إن المهدي قد أرسل إلى العمري الابن (توقيعا) جاء فيه : " إنا لله وانا إليه راجعون ، تسليما لأمره ورضاء بقضـائه.. عـاش أبوك سعيدا ومات حميــدا ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه ، فلم يــزل مجتهــدا في أمــرهم ســاعيا في ما يقربه إلى الله عز وجل ، نضّر الله وجهه وأقاله عثرتـه.. . وكـان من كمـال سـعادته إن رزقه الله تعــالى ولــدا مثلك يخلفه من بعــده ويقــوم مقامه بــأمره ويــترحم عليه ، واقــول : الحمد لله ، فــان الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعنـــدك ، أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا" .[225] وقــال الحمــيري : لما مضى أبو عمــرو (عثمــان بن سـعيد) أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكاتب به بإقامة أبى جعفر مقامه.[226]

وقال محمد بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي : انه خرج إليه بعد وفاة أبى عمـرو :" والابن وقـاه الله لم يـزل ثقتنا في حيـاة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه ، يجري عنـدنا مجـراه ، ويسد مسده ، وعن أمرنا يأمر الابن ، وبه يعمل ، تولاه الله ، فانتـهِ إلى قوله وعرّف معاملتنا ذلك" .[227]

---

223 - المصدر ، ص 215
224 - المصدر ، ص 218
225 - المصدر ، ص 220
226 - المصدر نفسه.
227 - المصدر نفسه.

وروى الطوسي عن إسحاق بن يعقوب : قال سألت محمد بن عثمـــان العمـــري ، أن يوصل لي كتابا قد ســـألت فيه مســـائل اشكلت علي ، فوقع (التوقيـع) بخط مولانا صـاحب الـدار: " وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ، فانه ثقتي وكتابه كتابي" . [228]

وكان العمري إذا سُـئل : هل رأيت المهـدي ؟ يقـول:" نعم ، وآخر عهـدي به عند بيت الله الحـرام ، وهو يقــول :" اللهم أنجز لي ما وعدتني" ، ورايته متعلقا بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقــول : "اللهم انتقم لي من أعــدائي ".. والله إن صــاحب هــذا الأمر ليحضر الموسم كل سـنة يـرى النـاس ويعـرفهم ويرونه ولا يعرفونه" .[229] ويقول الطوسي: إن التوقيعات كـانت تخـرج على يد العمري طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حيـاة أبيه ، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره. [230]

واستمر العمري (الابن) في هذا المنصب حوالي خمسين عاما حيث تـوفي في مطلع القــرن الرابع الهجــري سـنة 305 هـــ ، وأوصى إلى (الحسـين بن روح النوبخـتي) الـذي كـان واحـدا من عشرة وكلاء له في بغـداد . وهكـذا أوصى النوبخـتي الـذي تـوفي سنة 325 هجرية إلى النائب الرابع (علي بن محمد السـمري ، أو الصيمري) كخليفة من بعده بالوكالة عن الإمام المهدي الغــائب . [231]

والى جانب هؤلاء (النواب الأربعة) ادعى النيابة حوالي أربعة وعشرين رجلا آخر من أصحاب الإمامين الهـادي والعسـكري ، أو من أتباعهم كالحسن الشريعي ، ومحمد بن نصير النميري ، وأبي هاشم داود بن القاسم الجعفـــري ، واحمد بن هلال العبرتـــائي ، ومحمد بن علي بن بلال، وإســـحاق الأحمر، وحــــاجز بن يزيد ، ومحمد بن صـالح الهمـداني ، ومحمد بن جعفر بن عـون الاسـدي الــرازي ، ومحمد بن إبــراهيم بن مهزيــار، والحســين بن منصــور الحلاج، وجعفر بن سهيل الصيقل، ومحمد بن غـالب الأصـفهاني ، واحمد بن إسـحاق ألا شـعري القمي، والقاسم بن محمد بن علي بن إبـــراهيم الهمـــداني، ومحمد بن صـــالح القمي ، والقاسم بن

---

[228] - المصدر نفسه.
[229] - المصدر نفسه، ص 222
[230] - المصدر نفسه، ص 221
[231] - الصدوق، إكمال الدين، ص 503

العلاء وابنه الحسن، ومحمد بن علي الشـلمغاني ابن أبى العزاقر ، وأبو دلف الكاتب .

وكان الكثير من هؤلاء يدعي وجـود "علاقة خاصة" بينه وبين الإمامين الهادي والعسكري ومن ثم (الإمـام المهـدي) كما يـدعي القـدرة على اجـتراح المعـاجز و العلم بـالغيب ، ويخـرج رسـائل سرية يقول أنها وردته من الإمـام الغـائب ، ويقـوم على أساسـها باستلام الأموال والحقوق الشرعية . وقد اختلف الشيعة الإماميـة القـائلون بوجـود الإمـام الثـاني عشر، فيما بينهم ، حـول صـدق أولئك النواب وصحة ادعـائهم بالنيابة ، فـذهب فريق إلى تصـديق (النـــواب الأربعة) الأوائل ، وذهب فريق آخر، كالنصـــيرية، إلى تصـديق الشــريعي والنمــيري ، كما ذهب آخــرون إلى تصــديق مجموعة أخرى.

وعلى أي حال فان البعض يعتبر وجود (النواب الأربعة) وغيرهم ، شــهادة تاريخية على وجــود ابن للإمــام الحسن العســكري هو (الإمام المهدي) إضافة إلى تلك الروايات التاريخية التي تحــدثت عن ولادته ومشاهدته في حياة أبيه واللقاء به بعد ذلك .

يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه :(بحث حول المهدي) انه ليس من المعقول إن يكذب أولئك النواب الثقـاة العـدول في دعواهم النيابة أو في وجود الإمام المهدي . بعد أن اجمع الشـيعة على صدقهم وورعهم وتقواهم.

وقد اعتبر بعض المحدثين السابقين كالنعماني محمد بن أبى زينب : إن وجود أولئك النواب الخاصـين الأربعة في فـترة (الغيبة الصغرى) وانقطاعهم في فترة (الغيبة الكبرى) الممتدة منذ ذلك الحين إلى يـوم الظهـور، وانسـجام الفـترتين مع الروايـات الـتي تتحدث عن وجـود غيبـتين صـغرى وكـبرى للإمـام المهـدي ، دليلا على وجود (محمد بن الحسن العسكري) وصحة غيبته.

المطلب الثالث: رسائل المهدي

ذكر الصـدوق والطوسي وابن شهرآشـوب والطبرسي عـددا من الرسائل التي قالوا: إن (الإمـام محمد بن الحسن العسـكري) قد بعث بها إلى عدد من (وكلائـه) في عصر (الغيبة الصـغرى) . منها ما رواه الطوسي في :(الغيبـة) عن احمد بن إسـحاق ألا شـعري

القمي الذي يقول انه كتب إلى (ابن الحسن) رسالة حـول دعـوة جعفر بن علي الهـادي لأهل قم لأتباعه بعد وفـاة أخيه . ويقــول فيها : إن (صـاحب الزمـان) كتب إليه كتابا يتضـمن اتهـام جعفر بالجهل بالـدين، وبالفسق وشـرب الخمر والعصـيان لله ، وبعـدم امتلاكه لأية حجة ، ودعــوة لامتحانه ، وتأكيــدا على عــدم جــواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.[232]

كما ينقل الطوسي رواية ثانية عن ابن أبى غانم القزويني، انه وجماعة من الشيعة اختلفوا حول وجود (الخلـف) وتشـاجروا ، ثم انهم كتبـوا في ذلك كتابا أنفـذوه إلى (الناحيـة)[233] وأعلمـوه بما تشاجروا فيه ، فورد جواب كتبهم بخطه (ع) وكـان يتضـمن أسـفا وحرقة عليهم ، ودعوة للتسليم وعدم محاولة الكشف عن أسـتار الغيبة.[234]

وتوجد رسالة ثالثة يرويها الصدوق عن إسحاق بن يعقـوب ، قــال: ســألت محمد بن عثمــان العمــري إن يوصل لي كتابا قد سـألت فيه عن مسـائل اشـكلت عليّ ، فـورد التوقيع (الجـواب) بخط مولانا صـاحب الـدار ، وكـان فيـه:" وأما الحـوادث الواقعة فـارجعوا فيها إلى رواة حـديثنا ، فـانهم حجـتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم" كما كــان يتضــمن التوقيع تزكية وتوثيقا للعمــري ، وإباحة للخمس في عصر الغيبة ، ونهيا عن الســؤال عن ســبب الغيبة .[235]

وينقل الصدوق رسالة أخرى من (الإمام المهدي) إلى (النائب الأول): عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد (النائب الثاني) يذكر فيها أخبار الخلاف بين الشيعة حول (الخلف) وقول بعضهم بعـدم وجود غير جعفر بن علي ، ويطالب الشيعة بعدم البحث عما ستر عنهم لكي لا يــأثموا ، وعــدم كشف ســتر الله لكي لا ينــدموا ، والاقتصار على الإجمال والتعريض ، دون التفسير والتصريح .[236]

وقد ذكر ابن شـهر آشـوب في (المنـاقب) والطبرسي في (الاحتجاج) : أن المفيد اخرج نسخا من رسـائل ، قـال إن الإمـام

[232] - الطوسي، الغيبة، ص 174 - 176

[233] - ناحية الإمام المهدي، عبر سفيره الخاص.

[234] - الطوسي، الغيبة ، ص 172 - 174

[235] - الصدوق، إكمال الدين، ص 473 ، والطوسي، الغيبة، ص 186 - 188

[236] - الصدوق، إكمال الدين، ص 510

المهدي قد بعثها إليه بيد أعرابي وبخط رجل آخر ، وكان المهدي يخـاطب فيها المفيد بـالأخ السـديد والمـولى الرشـيد والمخلص الناصر ، وملهم الحق ودليله والعبد الصالح الناصر للحق والداعي إليه بكلمة الصدق.[237]

هذه أهم القصص التي تروى عن مشاهدة (الإمام محمد بن الحسن العسـكري) عند ولادته وفي حيـاة أبيه وعند وفاته وبُعيد ذلك.. وهناك قصص أخرى كثيرة تـروى عن مشـاهدته في الـبيت الحـرام في الطـواف أو في شـعب من شـعاب الطـائف أو في المدنية أو هنا وهناك ، وهي أقل دلالة من هـذه القصص وأضـعف سنداً.. وربما كانت قصة حكيمة وأبي الأديان البصري هما اشـهر القصص التي تروى عن ولادة ووجود (الإمام الثاني عشر) .

المبحث الرابع

الدليل الإعجازي على وجود (المهدي)

وبالإضافة إلى الأدلة العقلية، والنقلية، والتاريخية، على وجود (محمد بن الحسن العسـكري) فـان المؤيـدين لهـذه النظرية يـوردون دليلا رابعا هو: (المعـاجز) الـتي يقولـون إن (النـواب الأربعة) كانوا يقومـون بها أو (علم الغيب) الـذي كـانوا يتحـدثون عنه .

وقد استعرضنا كثيرا من تلك (المعاجز) في أثنـاء الحـديث عن الروايـات التاريخية حـول ولادة (ابن الحسـن) ووجـوده ، في الفصل الماضي ، وسوف نقوم الآن باسـتعراض (المعـاجز) الـتي قـدمها (النـواب الأربعـة: عثمـان بن سـعيد العمـري ومحمد بن عثمان ، والحسـين بن روح النوبخـتي وعلي بن محمد السـمري) وكلاء (الإمام المهدي) في فـترة :(الغيبة الصـغرى) الـتي امتـدت حوالي سـبعين عاما من 260 للهجـرة إلى 329 هــ تـاريخ وفـاة (النائب الرابع).

[237] - راجع أيضا: النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج 3 ، ص 518 ، والجزائري ، الأنوار النعمانية، ج 2 ، ص 21 ، وابن بطريق الحلي، رسالة نهج العلوم، والتنكابني ، قصص العلماء ، ص 399

وقد ذكر الشيخ المفيد قصة محمد بن إبـراهيم بن مهزيـار ، الذي شكك في وجود (الإمام المهدي) بعد وفاة الإمام العسـكري ، والـذي يقـول :" إن أبـاه قد أوصى إليه بمـال جليل وأمـره إن يتقي الله فيه ويسلمه لخليفة الإمام العسكري ، فقال في نفسه: احمل هذا المال إلى بغداد واكتري دارا على الشط ولا اخبر أحدا بشيء ، فان وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبى محمد، انفدته ، وإلا أنفقته في ملاذي وشهواتي". فقدم بغداد واكـترى دارا على الشط وبقي أياما فـإذا برقعة مع رسـول ، وفيهـا: يا محمد معك كـذا وكـذا... حـتى قصّ عليه جميع ما معه وذكر في جملتها شـيئا لم يحط به علما، فسـلم المـال إلى الرسـول ، وبقي أياما، ثم خرج إليه إعلان بنصبه (وكيلا) مقام أبيه .[238]

وذكر الكليني والمفيد والطوسي أمثلة كثيرة على " معـاجز" النواب ، وعلمهم بالغيب ، كدليل على ارتباطهم بالإمام المهدي ، وعلى وجود المهدي وارتباطه بالسماء .

منها قيام الإمام المهدي برفع جمل وما عليه في السماء .

ومنها : نهي المهدي لرجل عن ختان ابنه ، وموت الطفل بعد ذلك بقليل .

ومنها نهي رجل عن السـفر في الـبر والبحر وأمـره بالإقامة بالكوفة ، وخروج القراصنة وقطاع الطرق على القوافل في ذلك الوقت .

ومنها قصة معرفة العمري بموضع أمانة نسـيها الرسـول بين أمتعته ، مع عـــدم حمل الرســـول لأية تـــذكرة أو كتـــاب حـــول الموضوع.

ومنها أخبار العمري بتاريخ وفاته في اليوم والشهر والسنة.

ومنها أخبار العمري النـاس بالأجوبة العجيبة ، وإخبـاره لرجل بتفاصيل خلاف سري بينه وبين زوجته .

ومنها قدرة النـائب الثـالث: الحسـين بن روح النوبخـتي على قراءة رسالة بيضاء ومعرفته بمحتوياتها، والإجابة عليها بسرعة.

---

238 - المفيد ، الإرشاد، ص 351

ومنها أخبار علي بن بابويه الصدوق بولادة ولدين صالحين له في المستقبل .

ومنها : أخبار النوبختي لعدد من الناس بحل قضاياهم في المستقبل بالتحديد وبالتفصيل ، وبموت بعض الأشخاص في أوقات محددة من قبل .

ومنها : معرفة النوبختي باللغات الأجنبية والتكلم بها ، من دون تعلم ، بالمعجزة .

ومنها : أخبار النائب الرابع السمري ، لأصحابه ، وهو في بغداد ، بنبأ وفاة علي بن الحسين بن بابويه في قم في نفس اليوم .

ومنها أخبار الشيعة بتاريخ وفاته بعد ستة أيام.

ومنها أخبار الوكيل القاسم بن العلاء بقرب وفاته بعد أربعين يوما ، وإرجاع بصره إليه بعد فقده لمدة طويلة ، و إخباره ببقاء ولده وعدم موته كأخوته السابقين .

ومنها علم النواب بمصدر الأموال التي كانت ترد إليهم .

ومنها إخبار محمد بن زياد الصيمري بوفاته وموته في الوقت المحدد .[239]

ويشير الطوسي إلى "دليل المعاجز" ويعتبره : دليلا على إمامة ابن الحسن وثبوت غيبته ووجود عينه ، " لأنها أخبار تضمنت الإخبار بالمغيبات وبالشيء قبل كونه على وجه خارق للعادة لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه (ص) ووصل إليه من جهة مَن دلّ الدليل على صدقه ، لأن المعجزات لا تظهر على يد الكذابين ، وإذا ثبت ذلك دلّ على وجود من اسندوا ذلك إليه" . [240]

المبحث الخامس: **دليل الإجماع**

---

[239] - الكليني، الكافي، ج 1 ، 519، والمفيد، الإرشاد، ص 352 – 355 ، والطوسي، الغيبة، ص 179 و 184 و192 و 193 و222 و243

[240] - الطوسي ، الغيبة، ص 199

بعد الدليل الفلسفي (العقلي ، أو الاعتباري) والدليل الروائي (النقلي) والـدليل التـاريخي ، ودليل (المعـاجز الغيبيـة) الخارقة للعادة.. بعد كل ذلك ، يـأتي دليل الإجمـاع الـذي يشـير إليه بعض القـائلين بنظرية وجـود (محمد بن الحسن العسـكري) وولادتـه. الذي كان أول من أشار اليه، سعد بن عبد الله إلا شعري القمي، في القرن الثالث الهجري.[241] وكذلك النوبخـتي، الـذي قـال:" إن الشيعة اجمعوا جميعا على إن الإمام الحسن العسـكري قد خلف ولدا هو الإمام " وقـال: "إن كل من قـال بإمامة الأحد عشر من آباء القائم لزمه القـول بإمامة الثـاني عشر ، لنصـوص آبائه عليه باسمه ونسبه وإجماع شـيعتهم على القـول بإمامته ، وانه القـائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطا وعدلا". [242]

وهو ما يتبادر إلى الأذهان اليوم ، حيث يحتج الكثير من الناس بأن قضية وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) هي من الأمـور "المجمع عليها" بين صـفوف الشـيعة الإماميـة الاثـني عشرية على الأقل.

المبحث السادس

لماذا الغيبة ؟

بعد تقديم جميع الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية على " وجود " (محمد بن الحسن العسـكري) وولادته في منتصف القـرن الثالث الهجـري ، فـان غيبته عن الأنظـار وعـدم خروجه وتصـديه لقيادة الأمة الإسلامية والاضـطلاع بمهـام الإمامة ، يشـكل تحـديا كبـيرا للقـائلين بوجـوده ، ولـذلك كـان عليهم إن يفسـروا " سـرّ الغيبة" . وقد قـدموا عـدة نظريـات في تفسـير ظـاهرة الغيبة المحيرة ، وهي كما يلي:

1 - نظرية الحكمة المجهولة . وقد مال الشيخ الصدوق إلى هـذه النظرية ، وحتّم وجـود حكمة في غيبة الإمـام ، انطلاقا من آثـار حكمة الله في حججه المتقـدمين ، وقـال:" إن إيماننا

241 - إلا شعري القمي، المقالات والفرق، ص 106
242 - الصدوق، إكمال الدين ، ص 44 و93

بعصـمة الإمـام المهـدي يقتضي منا التسـليم بوجـود حكمة وراء غيبته".[243]

وقد نفى السيد المرتضى علم الهدى ، ضرورة معرفة سـبب الغيبة على وجه التعـيين ، وكفاية علم الجملة بوجــود سـببٍ ما للغيبة ، مع الإيمان بعصمة الإمام ، واعتـبر العلم في ذلك كـالعلم بمراد الله من الآيات المتشابهات في القرآن الكـريم. [244] وهكـذا قـال الشـيخ الطوسي بضـرورة افـتراض سـبب لغيبة (صـاحب الزمان) واستتاره ، والقول بوجـود حكمة مسـوّغة وان لم نعلمها مفصلا ، كما يتم افـــتراض أســـباب وحكم لخلق الله (عز وجل) للبهائم والمؤذيات والصور القبيحة وإيلام الأطفـال ، وان لم نعلم وجه حكمتها بالتفصـيل ، وقـال:" إذا علمنا إمامته بـدليل وعلمنا عصمته بدليل آخر، وعلمناه غـاب ، حملنا غيبته على وجه يطـابق عصمته ، فلا فرق بين الموضعين".[245] وقال الشيخ محمد حسـين كاشف الغطــاء:" إن السـؤال عن الحكمة سـاقط ، إذا قـامت البراهين على وجـوب وجـود الإمـام في كل عصر ، وان الأرض لا تخلو من حجة ، وان وجـوده لطف وتصـرفه لطف آخر" واعتـبر المقـام أدق واغمض من ذلك ، كما اعـترف بجهل الحكمة وعـدم الوصول إلى حاقّ المصلحة .[246]

2 - نظرية التمحيص . وهنـاك نظرية أخـرى في تفسـير (غيبة الإمــــام) هي نظرية (التمحيص) أي تمحيص الشــــيعة وتميــيزهم وغـــربلتهم من اجل التعـــرف على حقيقة إيمـــانهم بالمهـــدي وصـــبرهم على البلاء. وقد روى الصـــدوق والطوسي روايات عديدة في هذا المضمون عن الإمـامين البـاقر والصـادق، ويتحدث بعض تلك الروايات عن عدم ظهور صـاحب الأمر إلا بعد ذهـاب ثلـثي النـاس ، وعـدم بقـاء أحد إلا القليل ، وعن غربلة الشيعة كما يغربل الزوان من القمح .[247]

وتقول رواية منها:" انه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها، حـتى يرجع عن هـذا الأمر من كـان يقـول به ، إنما هي محنة من

---

[243] - الصدوق، إكمال الدين، ص 21 و85

[244] - المرتضى، تلخيص الشافي، للطوسي، ج 4 ، ص 211

[245] - الطوسي، الغيبة، ص 57 - 58

[246] - كاشف الغطاء، اصل الشيعة وأصولها، ص 71

[247] - الصدوق، إكمال الـدين، ص 346 و348 ، والطوسـي، الغيبـة، ص 203 و204 و206

الله امتحن بها خلقه ، وان عقـــولكم تصـــغر عن هـــذا الأمر، وأحلامكم تضـــيق عن حمله ، ولكن إن تعيشـــوا تـــدركوه ".[248]
وتشـبه رواية أخـرى منها " غيبة المهـدي" بإبطـاء العقوبة الـتي استنزلها نـوح من السـماء حـتى أخـذت طوائف من المؤمـنين به ترتد طائفة بعد أخـــرى .. وكـــذلك القـــائم فانه تمتد أيـــام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصفو من الكدر بارتـداد كل من كـانت طينته خبيثة من الشـيعة الـذين يخشى عليهم النفـاق إذا أحسـوا بالاسـتخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القـائم .[249] ولكن لم يأخذ بهـــذه النظرية ســـوى الصـــدوق ، وقد أهملها المفيد والمرتضى والطوسي . وان كـــانوا قد ذكـــروا بعض الروايـــات المتضـــمنة لها ، وفسر الطوسي تلك الروايـــات الـــواردة حـــول امتحان الشيعة في حال الغيبة بأنها تعني اتفـاق ذلك في أثنائها لا انه سبب لها.[250]

3- نظرية الخوف. وهذه أقـوي نظرية في تفسـير سـبب الغيبة، وقد روى الكليني والصدوق، مجموعة روايـات عن الإمـام الصـادق ، تشـير إلى أن سـبب الغيبة هو الخـوف على الحيـاة والتقية .[251]

وقال الشيخ المفيد:" خلف الحسن ابنه المنتظر لدولة الحق وكان قد أخفى مولده ، وستر أمره، لصعوبة الوقت وشـدة طلب سلطان الزمان له واجتهاده في البحث عن أمره ، ولِما شـاع من مـذهب الإماميـة فيه وعـرف من انتظـارهم له ، فلم يظهر ولـده في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته" .[252]

واعتبر المفيد أن الظـروف المحيطة بغيبة (الإمـام المهـدي) اصعب بكثير من الظروف التي أحاطت بالأئمة السابقين من أهل البيت، الـذين لم يختفـوا عن الأنظـار، وكـانوا يتحصـنون بالتقية ، وان سلاطين الزمان كانوا يعلمون قيام المهدي بالسيف ، ولـذلك

---

[248] - الصدوق، إكمال الـدين، ص 360 ، والطوسـي، الغيبـة، ص 104 و 204

[249] - الصدوق، إكمـال الـدين، ص 352 و357 ، والطوسـي، الغيبـة، ص 104 و108

[250] - الطوسي، الغيبة، ص 203

[251] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 337 – 338 و 340 والصدوق، إكمال الدين، ص 481

[252] - المفيد، الإرشاد، ص 345

كانوا احرص على ملاحقته واستيصال شأفته ، وان السبب الذي كان يمنعه من الخروج هو قلة الأعوان والأنصار" . [253]

وأكد السيد المرتضى:" إن سبب غيبته إخافة الظالمين له ومنعهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه ، فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة ، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره ". [254]

وقال الكراجكي :" إن السبب في غيبة الإمام إخافة الظالمين له وطلبهم بسفك دمه، وإعلام الله انه متى أبدى شخصه لهم قتلوه ، ومتى قدروا عليه أهلكوه ، وإنما يلزمه القيام بواجباته بشرط التمكن والقدرة وعدم المنع والحيلولة، وإزالة المخافة على النفس والمهجة ، فمتى لم يكن ذلك فالتقية واجبة، والغيبة عند الأسباب الملجئة إليها لازمة ، لأن التحرر من المضار واجب عقلا وسمعا" . [255]

وحصر الطوسي أسباب الغيبة في الخوف ، وقال:" لا علة تمنع من ظهوره (ع) إلا خوفه على نفسه من القتل ، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى ، فان منازل الأئمة وكذلك الأنبياء (ع) إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله ".[256]

ولكن لماذا يخاف الإمام (محمد بن الحسن) على نفسه من القتل ، وقد خرج الإمام الحسين وضحّى بنفسه في كر بلاء؟ إن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والكراجكي يجيبون على ذلك بالقول:" إن أحدا من البشر لا يقوم مقام الإمام المهدي ، لأنه آخر الأئمة ولأن مصلحة المكلفين مقصورة عليه.!". [257]

وهذا الجواب يفترض عدة أمور هي :

1 - تحديد مهدوية الإمام الثاني عشر من قبل الأئمة السابقين ، والإشارة إليه من قبل .

---

[253] - المفيد، الأمالي، والفصول المختارة، ص 395
[254] - المرتضى، الشافي، ج3 ، ص 149
[255] - الكراجكي، كنز الفوائد، ج1 ، ص 371

[256] - الطوسي، الغيبة، ص 203
[257] - المرتضى، الشافي، ج1 ، ص 147 ، والطوسي، الغيبة، ص 63، والكراجكي، كنز الفوائد، ج 1 ، ص 371

2 - وجـود أزمة سياسـية وعـداوة وخـوف لـدى السـلطات العباسية من المهدي ، ووجـود خـوف شـديد واعظم لـدى الإمـام من المخـاوف الـتي كـانت في عصـور الأئمة السـابقين، في ظل الحكام الأمويين والعباسيين.

3 - خاتمية الإمام الثاني عشر للأئمة وانحصار الإمامة فيه.

4 - تحريم التقية للمهدي قبل قيامه و ظهوره .

وإلا فإذا قلنا : إن الأئمة السابقين لم يحددوا هوية المهدي من قبل ، فلا حاجة له للغيبة منذ ولادته. وإذا ثبت إن العلاقة بين أهل البيت والعباسيين في تلك الفترة كـانت طبيعية وإيجابية ولا يوجد فيها ضغط أو تـوتر سياسي ، فلا حاجة أيضا إلى الغيبـة. وإذا قلنا إن الإمــام الثــاني عشر هو واحد من الأئمة وليس آخــرهم ، كما كان الاماميون يعتقدون في البداية وحتى نهاية القرن الثالث ، فلا توجد ضرورة للغيبة ، لأن الأئمة السـابقين كـانوا جميعا معرضـين للقتل ولم يغيبوا. وإذا قلنا إن الإمام الثاني عشر (المهدي) يجــوز له اسـتخدام التقية كسـائر الأئمة فرضاً ، فانه كـان بمقـدوره إن ينفي هويته ومهدويته إلى أن يظهر ، ولم يكن بحاجة إلى الغيبة منذ ولادته.

المطلب الثاني: أين مكان الغيبة؟

إن معظم الروايـات الـتي تتحـدث عن (المهـدي محمد بن الحسن العسكري) تشير إلى انه كـان في بيت أبيه في (سـرّ من رأى) عاصمة الخلافة العباسية يوم ذاك ، وان الذين شـاهدوه في حياة أبيه شاهدوه فيها ، وتقول بعض الروايات : انه خرج للصـلاة على جثمان أبيه الذي تـوفي ودفن في (سـامراء) وانه التقى بعد ذلك بوفد قم الذي جاء يبحث عن الإمام الجديد ، وانه ظل مقيما في البيت إلى أعوام طويلة حتى دهمته قوات المعتضد العباسي، فغـاب في (السـرداب). وقد بـنى الخليفة العباسي الناصر بالله قبة على ذلك السرداب ، لا تزال موجـودة حـتى اليـوم ، ويزورها الشيعة من كل مكان ، وهي القبة المعروفة بقبة سرداب الغيبة ، في جـوار قـبر الإمـامين الهـادي والعسـكري في مدينة سـامراء شمالي بغداد .

ويورد الشيخ المفيد قصة رجل اسمه (علي بن الحسين) يقول : انه زار الإمام المهدي في بيته في سامراء ، وجلس عنـــده ثلاثة أيــام ، كما يــذكر قصة (الحسن بن الفضل) الــذي يقــول انه ورد العســكر (أي : ســامراء) فبعث إليه الإمــام المهــدي صــرة فيها دنانير. وينقل المفيد عن الحسن بن عبد الحميد انه شك في أمر أحد وكلاء المهدي واسمه (حاجز بن يزيد) فـذهب إلى العســكر ، فخرج إليه ما يؤكد صحة دعوى ذلك الوكيل وينهاه عن الشك. [258]

المطلب الثالث: كم هي مدة الغيبة؟

لقد كانت مدة الغيبة في الأيام الأولى محددة بزمن قصـير، وكانت تتـأرجح بين أيـام وشـهور أو سـنين لا تتجـاوز عـدد أصـابع اليــدين ، كما تقــول روايــات كثـيرة يــذكرها الكليــني والطوسي . بينما كانت روايات أخـرى، تقـول : أنها سـتطول حـوالي ثلاثين أو أربعين عاما. وأشار بعض الروايات إلى تحديد مـدة الغيبة بـوقت قصير جدا، وحداثة عمر الإمام المهدي عند الظهـور، وقد فسـرها النعماني بحداثة عمره وقت إفضـاء الإمامة إليــه. ونقل الطوسي رواية أخـرى عن الإمـام البـاقر: إن صـاحب هـذا الأمر لا يتجـاوز الأربعين . وقــالت روايــات أخــرى: إن عمــره قد يجــاوز المائة والعشــرين . بينما روى الطوسي في مكــان آخــر،عن أبى عبد الله (ع) : انه قال: ما تنكرون إن يمد الله لصاحب هــذا الأمر في العمر كما مد لنـوح في العمـر؟ . وردّ على من استشـكل طـول مدة الغيبة وخروجها عن العادة ، بـأن الأمر ليس على ما قـالوه ، ولو صح لجـــاز إن ينقض الله العـــادة لضـــرب من المصـــلحة. واستشــهد الصــدوق والطوسي بغيبــات الأنبيــاء الســابقين مثل موسى بن عمـــران ويوسف بن يعقـــوب ويـــونس بن مـــتى ، وأصــحاب الكهف وصــاحب الحمــار ، ونــوح وســلمان الفارسي والــدجال ولقمــان بن عــاد وربيع بن ضـبع ويعـرب بن قحطـان ، الذين قيل انهم غابوا عن أقوامهم لفترات من الزمان . [259]

المطلب الرابع: كيفية التأكد من هوية المهدي

---

[258] - المفيد، الإرشاد، ص 355

[259] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 338 و340 والطوسي ، الغيبة، ص 76 - 78 و 104 و258 والنعماني، الغيبة، ص 323

وعلى أي حال فان الغيبة الطويلة أدت و تـؤدي إلى مشـكلة موضوعية أخرى ، وهي : كيفية التعرف على المهدي عند الظهور ، والتأكد من هويته. ولم تكن هذه المشكلة مطروحة في البداية وخاصة في عصر (الغيبة الصغرى) ولكنها بدأت تفرض نفسها مع توالي الزمان .. ومرور الأعوام. وقد كانت مدار بحث ونقاش بين الرافضـين لوجـود المهـدي والقـائلين به ، في ذلك الـوقت. وقد تصــدى الشــيخ الصــدوق لمناقشــتها ، وقــال ردا على المعتزلة والمعارضين الذين كانوا يغمـزون من هـذه القنـاة:" انه قد يجـوز بنقل من تجب بنقله الحجة من أوليائه ، وقد يجـــــــوز إن يظهر معجزا يدل على ذلك، وهذا الجـواب الثـاني هو الـذي نعتمد عليه ونجيب الخصوم به ، وان كان الأول صحيحا" .[260]

وقد أشار المفيد والمرتضى والطوسي إلى هذه المشكلة : (مشـكلة التعـرف على المهـدي والتأكد من هويته عند الظهـور) بـذكر مجموعة كبـيرة من المعـاجز والآيـات الكونية الغريبة الـتي تسـبق الظهـور كعلامـات على قيامه . وعـالج السـيد المرتضى المشـكلة في معـرض مناقشـته لإمكانية الظهـور المـؤقت أثنـاء فترة الغيبة ، فاشترط ظهور آيات تدل على صدقه. [261]

المطلب الخامس: علائم الظهور

يــذكر الكليــني والصــدوق والمفيد والطوسي والعياشي : مجموعة كبيرة من الروايات تربط بين الظهور وبين حدوث علائم سـماوية ، تتعلق بتوقف حركة الأفلاك ، وتغـير في قوانينها ، وما شابه من المعاجز غـير الطبيعية ، كركـود الشـمس وقت الـزوال إلى وقت العصر ، وخروج صـدر رجل ووجهه في عين الشـمس ، وكذلك وقوع الكسوف والخسوف بصورة غير طبيعية ، ككسـوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره. أو تكلم العلم والسيف مع (الإمام المهـدي) ومناداته بعـدم جـواز القعـود بعد ذلك الـوقت. فيخـرج ويقتل أعـداء الله حيث ثقفهم ، ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله . إضـافة إلى طلـوع الشـمس من المغرب ، وطلوع نجم بالمشرق يضـيء كما يضـيء القمـر... وخــروج جــراد في أوانه وغــير أوانــه.. وخــروج العبيد عن طاعة أسـيادهم وقتلهم مـواليهم.. ومسـخ لقـوم من أهل البـدع حـتى يصيروا قـردة وخنـازير ، وغلبة العبيد على بلاد السـادات.. ونـداء من الســـماء يســـمعه أهل الأرض كلهم ، كل أهل لغة بلغتهم ،

---

[260] - الصدوق، إكمال الدين ، ج 1 ، ص 61 - 62

[261] - المرتضى، الشافي، ج 1 ، ص 149

وأموات ينشرون من القبـور حـتى يرجعـوا إلى الـدنيا فيتعـارفون فيها ويتزاورون..

ويـذكر المفيد : إن جبرائيل يـنزل على القـائم لمبايعته عند الظهور ، ويقول الطوسي: إن أصحاب القائم سـوف ينقلـون إلى مقر المهدي من بيوتهم بصورة اعجازية كلمح البصر.!

ويتحدث المفيد عن بعض العلائم الكونية التي سـوف تحـدث عند ظهـور (المهـدي) كامتـداد طـول اليـوم إلى عشـرة أضـعاف ليكون 240 ساعة ! وهـذا ما يفسـره الطوسي بحـديث مشـابه ، حيث يقول: "إذا قام القائم .. يـأمر الله الفلك في زمانه فيبطيء في دوره حــتى يكــون اليــوم في أيامه كعشــرة من أيــامكم ، والشهر كعشرة اشهر ، والسنة كعشر سنين من سنيكم ".

ويروي الكليني حـديثا عن الإمـام البـاقر، يتنبأ فيه باسـتعمال الشــيعة لطريقة (التلفــون التلفــازي) في التحــدث مع القــائم ومشاهدته عن بعد ، ومن مختلف الأقطار، وذلك عند ظهوره.

وتقول بعض الروايات: إن القـائم إذا قـام ، أشـرقت الأرض بنور ربها واسـتغنى العبـاد عن ضـوء الشـمس ، وذهبت الظلمة ، ويعمر الرجل في ملكه حــتى يولد له ألــف ولد ذكر لا يولد فيهم أنثى.!

وأخيرا تتحدث الروايات الواردة حول ظهور المهدي عن مدة ملكه ، فتقـول إحـداها : انه سـيحكم سـبع سـنين تكـون أشـبه بسبعين سنة من سنينا . بينما تقول رواية أخرى: إن القـائم يملك ثلاثمائة وتسع ســنين ، كما لبث أهل الكهف في كهفهم ، وتقــول رواية ثالثة: انه يحكم تسعة عشر عاما فقط.[262]

الفصل الثاني

مناقشة النظرية (الاثني عشرية)

---

262 - الكليني،الكافي، ج1 ، ص 201 والصدوق ، إكمال الدين، ص 268 وكذلك: عيون أخبار الرضا، ج1 ، ص 63 والمفيد ، الإرشاد، ص 355 و 359 و362 والطوسي ، الغيبة، ص 274 و 283 – 285 والعياشي في تفسيره، ج 2 ، ص 326

المطلب الأول:

غموض هوية المهدي عند أهل البيت (ع)

تتألف النظرية (المهدوية الاثني عشرية) من قضيتين منفصلتين همـا: الإيمـان بوجـود الإمـام الثـاني عشر : (محمد بن الحسن العسكري) و انه :(المهدي المنتظر) . وهي تعترف بعــدم إعلان الإمام الحسن العسكري عن وجـود ولـدٍ له في الظـاهر، وتـدعي أنه أخفـاه في السر خوفـاً عليه من السـلطات العباسـية، الـتي يفترض أنها كانت تعلم مسبقاً بأنه المهدي المنتظر الـذي سـوف يزلــزل عروشــها ، وأنها كــانت تبحث عنه لتقضي عليه وهو في المهد.

ولكن الدراسة التاريخية المتعمقة لقصة نشـوء هـذه النظرية تكشف عن وجود فاصل زمـني طويل بين جـزئي النظريـة، حيث كانت في البداية تتركز أساساً حول وجود ولد للإمام العسـكري ، يرثه في الإمامة ، ثم تحــولت بعد ذلك إلى القــول أنه المهــدي المنتظر الغائب . ووجدت في (غيبة المهدي) تفسيرا لعـدم إعلان أبيه عن ولادته ، وعدم ظهوره بعد ذلك .

ولكي نتأكد من حقيقة هذه النظرية التي لعبت دورا كبيرا في التاريخ الإسلامي ، وفي صياغة الفكر السياسي الشيعي الامـامي الاثني عشري ، لا بد أن نفكك أجزاء هذه النظرية وندرســها على حدة ، وبدقة وموضوعية. ولا بد أن نـرى أولاً : هل كـانت النظرية المهدوية الشيعية قبل منتصف القـرن الثـالث الهجـري ، واضـحة ومعروفة ومحددة بشخص (الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري)؟ أم كانت غامضة وعامة وفكرة مجردة ؟

إن تـاريخ أئمة أهل الـبيت (ع) و روايـاتهم الـتي يحتفظ بها التراث الشيعي الامامي، تؤكد غموض هوية الإمام المهدي، وعدم التصـريح باسـمه أو زمـان خروجه ، ليس بسـبب الخـوف عليه ، وإنما بسبب عدم تحديده من قبـل، لأن فكـرة (المهدويـة) كـانت اسماً عاماً وأملاً يحلق فـوق رأس كل واحد منهم ، وقد بـزغ هـذا الأمل مع تــولي الإمــام علي للخلافة ، واشــتد بعد مقتل الإمــام الحســين بن علي في كــربلاء ، حيث أخذ كثــير من الشــيعة يعد العـدة للثـأر والانتقـام ويعمل من اجل إسـقاط النظـام الأمـوي ،

والخروج المسلح ، ويلتف حـول هـذا الإمـام أو ذاك من أئمة أهل الــبيت ، ويطلق عليه صــفة المهدوية ، فيقــوم وينجح أو يدركه المـوت قبل أن يخــرج ، وربما يقــول البعض : انه اختفى وغـاب وسوف يظهر في المستقبل .

ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل منذ زمان رسـول الله (ص) وأجمع الشيعة عليها ، لما ذهبوا يمينا وشمالا ، واحتاروا وتساءلوا عن هوية المهدي .

ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل منذ زمان رسـول الله (ص) وأجمع الشيعة عليها ، لما ذهبوا يمينا وشمالا ، واحتاروا وتساءلوا عن هوية المهدي .

يقول الإمام محمد بن علي الباقر مخاطبا الشيعة:" لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون: هذا هو ، فيذهب إلى ربه حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد ؟ أم لم يولد؟ خلق؟ أم لم يخلق؟" .[263]

ويقول الكليني : إن الحكم بن أبى نعيم جاء إلى الإمام البـاقر في المدينة فقال له:

- عليّ نذر بين الركن والمقـام إن أنا لقيتك أن لا اخـرج من المدينة حـتى اعلم انك قـائم آل محمد أم لا ؟ فقــال له الإمــام الباقر:

- ياحكم ..كلنا قائم بأمر الله . ولكن الحكم لم يـرتضِ هـذا الجواب العام فسأله بالتحديد:

- فأنت المهدي؟ فأجابه الباقر جوابا عاما أيضا:

- كلنا نهدي إلى الله ، وعاد الحكم ليسأل بتحديد ووضوح:

- فأنت صاحب السيف ، وأجابه الإمام للمرة الثالثة بغموض:

- كلنا صاحب السيف ووارث السيف ، فسـأل الحكم بوضـوح تام:

---

263 - الصدوق، إكمال الدين، ص 183

- فأنت الذي تقتل أعداء الله؟ فقال الإمام الباقر:

- يا حكم .. كيف أكون أنا وقد بلغت خمسا وأربعين سنة؟! وان صـاحب هـذا الأمر اقـرب عهـدا بـاللبن مـني وأخف على ظهر الدابة.[264]

ويقول الكليني والنعماني : إن الإمام الصـادق كـان يـرفض تحديد هوية المهـدي ، وان أبا حمـزة - أحد أصـحابه - سـأله مـرة: أنت صاحب هذا الأمر ؟ فقال : لا ، فقال: فولـدك؟ .. قـال :لا ، قـال: فولد ولدك هو؟ فقـال : لا ، فقـال: فولد ولد ولـدك ؟ فقـال: لا ، قال: من هو؟ قال : الذي يملأها عدلا كما ملئت ظلما وجورا على فــترة من الأئمة كما إن رســول الله (ص) بعث على فــترة من الرسل .[265]

يؤيد ذلك إن الإمام الصادق عندما اقنع الشاعر السيد الحميري الـذي كـان يعتقد بمهدوية محمد بن الحنفية ، بوفاته ، لم يقل له من هو الإمــام المهــدي بالتحديد ، وقد انشد الحمــيري أبياتا من الشعر سـجل فيها تحوله عن القـول بمهدوية ابن الحنفية ، ولكنه لم يشر إلى هوية المهدي ، حيث قال:

وما كان قولي في ابن خولة مطنباً معاندة مني لنسل المطيب

ولكن روينا عن وصي محمد وما كان فيما قال بالمكذب

بأن ولي الأمر يفقد لا يرى ستيرا كفعل الخائف المترقب

فتقسم أموال الفقيد كأنما تغيبه بين الصفيح المنصّب

فلما روى : إن ابن خولة غائب صرفنا إليه قولنا لم نكذب

وقلنا هو المهدي والقائم الذي يعيش به من عدله كل مجدب

فان قلت لا فالحق قولك والذي أمرت ، فحتم غير ما متعصب

واشهد ربي إن قولك حجة على الناس طرا من مطيع ومذنب

فان ولي الأمر والقائم الذي تطلع نفسي نحوه بتطرب

---

264 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 536

265 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 341 ، والنعماني، الغيبة، ص 187

له غيبة لا بد من إن يغيبها فصلى عليه الله من متغيب

فيمكث حينا ثم يظهر حينه فيملك من في شرقها والمغرب

بذاك أدين الله سرا وجهرة ولست وان عوتبت فيه بمعتب

ومع إن الإمام الصادق في الرواية السابقة لم يكن ينفي فكرة القيام عن نفسه ولم يؤكـدها ، فـان الصـدوق يـروي عن ابن أبى يعفور انه سـمع الصـادق يقـول:" ويل لطغـاة العـرب من أمر قد اقـترب". ويـروي أيضا عن سـدير عن أبى عبد الله انه قـال:" يا سـدير الـزم بيتك وكن حلسا من احلاسه واسـكن ما سـكن الليل والنهـار ، فـإذا بلغك إن السـفياني قد خـرج فارحل إلينا ولو على رجلك" .[266] مما يـوحي أن الإمـام الصـادق كـان يحـدث أصـحابه بقرب قيامه. ولكن محمد بن الحسن الصفار يروي عن أبى بصير انه جاء يوما إلى أبى عبد الله وقال له:

- جعلت فـداك ، إني أريد إن المس صـدرك (وكـان أبو بصـير أعمى) فقال له:

- افعل ، قال: فمسست صدره ومناكبه ، فقال:

- و لِمَ يا أبا محمد ؟ فقال أبو بصير:

- جعلت فداك .. إني سمعت أباك وهو يقول: إن القـائم واسع الصــدر مسترسل المنكــبين عــريض ما بينهما ، فقــال الإمــام الصادق:

- يا أبا محمد .. إن أبى لبس درع رســول الله (ص) وكــانت تسحب على الأرض ، وأنا لبستها فكانت وكانت .. وأنها تكون من القــائم كما كــانت من رســول الله مشــمرة كأنه ترفع نطاقها بحلقتين ، وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين.[267]

ويروي الطوسي حوارا جرى بين الإمام الصادق وبين أبي بصير الذي سأله: أ لهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليـه؟ فقـال له الإمام: بلى.. ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه. ويروي رواية أخـرى اكثر صراحة يقول فيها الإمام الصادق :كان هذا الأمر فيّ فـأخره

---

[266] - الصدوق، إكمال الدين، ص 35

[267] - الصفار،بصائر الدرجات، ص 189

الله ، ويفعل بعد في ذريـــتي ما يشـــاء.[268] مما يكشف إن أمل المهدوية كـان معلقا على الإمـام الصـادق في عصـره ، ولـذلك عنـدما تـوفي ولم تتـوفر له الظـروف لتحقيق الأمل المطلـوب والكامن في قلوب الشيعة ، رفض بعض أصحابه ، ومنهم خاصـته ، أن يصـدق نبأ وفاته ، وأصـرّ على أنه قد غـاب وسـيظهر عما قـريب ، وقـال : انه المهـدي المنتظر . وكـان على رأس هـؤلاء زعيم الشيعة في البصرة : عبد الله بن ناووس .

الأمل بمهدوية الكـاظم. ومع اشـتداد الضـغط السياسي العباسي على الإمـــام موسى بن جعفر الكـــاظم ، ازداد أمل الشيعة الذين قالوا بإمامته ، بخروجه وقيامه ، وتفجير الثورة في وجه الحكم العباسي.. واعتقد معظم الشيعة قويا بـأن موسى هو القائم المهـدي ، و رووا روايـات كثـيرة عن البـاقر والصـادق في تحديد شخصه ، وربما أضـافوا إليها من عند أنفسـهم الشـيء الكثير ، انطلاقا من شوقهم وحرصهم ومعانـاتهم . وعنـدما تـوفي الإمـام الكـاظم بعد خمس وثلاثين سـنة من الانتظـار والأمل ، لم يصـدق عامة الشـيعة الموسـوية نبأ وفاته ، ورفضـوا إلا الإصـرار على القول بغيبته وحياته والتأكيد على انه المهـدي المنتظر، وانه سوف يخرج ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

الرضا ينفي احتمال المهدوية فيه. وقد عاد ذلك الأمل إلى الشـيعة بعد حـوالي عشـرين عاما ، وذلك عنـدما دعـا الخليفة العباسي المأمون ، الإمـام علي بن موسى الرضا إلى خراسـان ، وقلده ولاية العهد عـام 201 للهجـرة ، وهـذا ما أحـيي الأمل في نفوس الشيعة ودفعهم للاعتقاد بإمكانية إن يصبح الرضا: المهدي المنتظر.

ينقل الكليني : إن أيوب بن نوح جاء إلى الإمام الرضا وقال له: إني أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر.. وان يسوقه الله إليك بغـير سـيف ، فقد بويع لك وضـربت الـدراهم باسـمك . ولكن الإمـام الرضا بدد توقعه ونفى أن يكون هو المهدي .[269]

وعندما جاء الشاعر دعبل الخزاعي إلى الإمام الرضا وانشده القصيدة المعروفة : (مـدارس آيـات خلت من تلاوة ومـنزل وحي مقفر العرصات) أشار إلى المهدي بصورة غامضة وقال: (خــروج

---

[268] - الطوسي ، الغيبة، ص 263
[269] - الكليني ، الكافي ، ج1 ، ص 341 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 370

إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات ، يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات) ولم يسمه بالاسم .

إن تحديد هوية (الإمام المهدي) بالثاني عشر من أئمة أهل البيت ، كما هو معروف لـدى الشـيعة الاثـني عشـرية اليـوم ، قد حـــدث في وقت متــأخر بعد وفـــاة الإمـــام الحسن العســـكري ، والقـــول بوجـــود ولد له في السر ، بفـــترة طويلة ، أي في بداية القـــرن الرابع الهجـــري تقريبـــا. وذلك في أعقـــاب تطـــور نظرية "الإمامة الإلهية" وتحولها من التسلسل اللامحدود ، إلى الاقتصار على (اثني عشر) وتكوّن الفرقة الاثني عشرية .

وقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب :(إكمال الدين) الذي ألفه في منتصف القرن الرابع الهجري ، مجموعة كبيرة من الروايــات عن النبي الأكــرم (ص) وأئمة أهل الـبيت (ع) ، يشـير بعضـها إلى القــائم أو المهــدي دون تحديد اســمه واسم أبيــه، ويؤكد بعضــها تحديد رقمه الثـــاني عشر وانه ابن الحسن العســـكري ، كما في الرواية الـتي يقـول فيهـا: إن الإمـام الرضا سـأل الشـاعر دعبل الخزاعي ، بعد إن ألقى قصيدته وأشار فيها إلى المهـدي بصـورة غامضة ، فقال له: هل تدري من هذا الإمام ؟ ومتى يقوم؟ فقال: لا يا مولاي ، إلا أني سمعت بخـروج إمـام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلا كما ملئت جورا. فقال له : يا دعبل .. الإمـام بعدي محمد ابــني ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المطـاع في ظهوره .[270] وهـذه الروايـات ضـعيفة المتن والسـند ، ولا تصـمد أمـام البحث العلمي ، وسـوف نناقشـها في الفصل الخـاص بنقد الأدلة الروائية (النقلية) ونثبت عدم صحتها واختلاقها فيما بعد.

المطلب الثاني

ظاهرة المهدوية في التاريخ الإسلامي

ومما يؤكد غمـوض هوية المهـدي عند أهل الـبيت ، ولـدى جماهير الشيعة والمسلمين في القـرون الثلاثة الأولى ، هو تكـرر دعـوات المهدوية هنا وهنـاك .. حـتى جـاوزت العشـرات ، وحـتى اصبح لكل فرقة وطائفة اكثر من مهـدي واحـد.. حيث تـدلنا هـذه

---

270 - الصدوق، إكمال الدين، ص 373

الظاهرة على تماهي مصطلح (الإمام المهـدي) مع معـنى الثـورة والحرية والعدالة وانبثاقه كرد فعل على الواقع الفاسد الذي كـان يتدهور إليه المجتمع الإسلامي مرة بعد أخرى.

لقد كـانت معظم قصص المهدوية في القـرون الإسـلامية الأولى، مرتبطة ومنبثقة من حركات سياسـية ثورية تتصـدى لرفع الظلم والاضـطهاد، وتلتف حـول زعيم من الزعمـاء ، وعـادة ما يكـون إماما من أهل الـبيت (ع) ، وعنـدما تفشل الحركة ويمـوت الإمـــــام دون أن يظهر ، أو يقتل في المعركة ، أو يختفي في ظروف غامضة.. كان أصحابه يختلفون ، فمنهم من يسـلّم بـالآمر الواقع ويـذهب للبحث عن أمـام جديد ومناسـبة جديـدة للثـورة.. ومنهم من كان يرفض التسـليم بـالأمر الواقع فـيرفض الاعـتراف بالهزيمة ويسـارع لتصـديق الإشـاعات الـتي تتحـدث عن هـروب الإمام الثائر واختفائه وغيبته. وعـادةً ما يكـون هـؤلاء من بسـطاء النـاس الـذين يعلقـون آمـالاً كبـيرة على شـخص أو يضـخمون مواصفات ذلك الزعيم فيصعب عليهم التراجع بعد ذلك، لأنه كان يعني لديهم الانهيار والانسحاق النفسي.

مهدوية الإمام علي

فقد كان شيعة الإمام علي بن أبى طالب (ع) الذين ثاروا على الحكم الأمـوي، وقـاتلوا في معركة الجمل، وحـاربوا معاوية في صفين ، واشتبكوا مع الخـوارج في النهـروان، يـأملون إن يسـتمر حكم الإمـام العـادل إلى فـترة أطـول ينعمـون خلالها بالعـدل والمساواة.. وكـان أملهم في الإمـام كبـيرا.. ولـذلك فـان البعض منهم صدم بخبر اغتياله ولم يكد يصدق نبأ وفاة الإمام .

يقول مؤرخو الشيعة الإمامية (كـالنوبختي والاشـعري القمي والكشي) : إن جماعة من الشيعة رفضوا التصديق بوفاة الإمام ، وقالوا: إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسـوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

هـذا القـول بمهدوية الإمـام علي وغيبته، يمكن إن نفسره بالصـدمة والمفاجـأة والأمل الكبـير.. حيث لم يتحمل أولئك النفر الـذين كـانوا بعيـدين عن الكوفة، خـبر استشـهاد الإمـام ، بعد إن كانوا يأملون إن يحقق الإمام العدالة الكونية على الأرض ، فـأدى بهم ذلك إلى تصورات بعيدة عن الواقع.

مهدوية ابن الحنفية

وبعد مجزرة كربلاء تجمع الغضب الشيعي حول قيـادة محمد بن الحنفية أخي الإمام الحسين ، من اجل الثأر والانتقام لشـهداء كـربلاء.. وعنـدما تـوفي محمد في ظـروف غامضة عـام 81 هــ ، قــالت جماعة من أنصــاره (الكيســانية) : انه لم يمت وانه مقيم بجبـال رضـوى بين مكة والمدينة ، واعتقـدوا انه (الإمـام المهـدي المنتظـــر) الـــذي بشّـــر به النـــبي (ص) أنه يملأ الأرض قســـطا وعدلا.[271]

ويفسر السيد المرتضى دعوى الكيسانية بمهدوية ابن الحنفية بالحيرة التي ألجأتهم إلى القـول بهـا.[272] وربما كـانت الحـيرة قد أصـــابتهم نتيجة عقـــدهم الأمل على ابن الحنفية لكي يســـترجع السـلطة من أيـدي الأمـويين ، وقد أصـيبوا بالخيبة بعد موته قبل تحقيق الهـدف المنشـود ، فاضـطر أتباعه من الشـيعة الكيسـانية إلى اخـتراع القـول بمهدويته واسـتمرار حياته وغيبته، في محاولة منهم للمحافظة على الأمل متقـــداً في صـــدورهم ، خاصة وان الشيعة يـوم ذاك لم يكونـوا يعرفـون شخصـية معينة محـددة من قبل على أنها (المهدي المنتظر) .

مهدوية أبى هاشم

وقد تراجع هذا القول بمهدوية ابن الحنفية عندما برز أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، كقائد جديد للشـــــــيعة في نهاية القـــرن الأول الهجـــري ، وتعلق الأمل الكبـــير به لتحقيق ما عجز أبـــوه عن تحقيقـــه.. وتكـــررت الأزمة من جديد عنـــدما تـــوفي أبو هاشم دون أن يظهر.. وهـذا ما أدى إلى اعتقـاد قسم من شـيعته باختبائه وغيبته والقـول انه (المهـدي المنتظـر) وانه حي لم يمت .[273]

أما الذين اعـترفوا بوفـاة أبى هاشم فقد حـافظوا على الأمل في نفوسهم أيضا وذلك بانتظار قيـام أحد أبنـاء محمد بن الحنفية في المستقبل ، ولم يحددوا شخصا معينا.[274]

---

271 - النوبخـتي، فـرق الشـيعة، ص 29 ، والأشـعري القمي، المقـالات والفرق، ص 27

272 - المرتضى، الشافي، ص 184

273 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 34

مهدوية الطيار

وسـرعان ما التف الشـيعة الـذين كـانوا يشـكلون المعارضة الرئيسية للحكم الأموي، حول قائد جديد من أبناء أهل الـبيت، هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيـار ، الـذي نجح في إقامة دولة شـــيعية في اصـــفهان، في أواخر العهد الأمر ، ولكنه انهـــزم بعد ذلك وقتل في ظـــروف غامضـــة.. ولم يتحمل بعض الشيعة نبأ انهيار الدولة الشيعية ، فقـالوا إن الطيـار حي لم يمت وانه مقيم في جبال اصفهان لا يموت أبدا حتى يقود نواصـيها إلى رجل من بني هاشم من ولد علي وفاطمة. [275]

انحصار المهدوية في البيت الفاطمي

لم تكن النظرية المهدوية عند الشــيعة قبل هــذه الحركة محصـورة في الـبيت الفـاطمي ، حيث كـان (الكيسـانية) الـذين يمثلون مرحلة تاريخية من تطور الشـيعة ، يحصـرونها في الـبيت العلـوي، ويجيزونها في محمد بن الحنفية وأولاده ، أو يحصـرونها فيهم ، ثم امتــدت إلى خــارج الــبيت العلــوي ، إلى عبد الله بن معاوية الطيار ، ثم تطورت لتنحصر في البيت الفاطمي من أبنـاء الحسن والحســين.. ولم تكن محصــورة في ذلك الــوقت في أي واحد من البيـتين. لـذلك اعتقد قسم من الشـيعة بمهدوية زيد بن علي ، كما اعتقد قسم آخر بمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (ذي النفس الزكيــة) ، وإذا كــان زيد قد قتل بسرعة .. فان أتباعه انظمـوا إلى النفس الزكية . وكـان عبد الله بن الحسن أبــوه قد ســمّى ابنه (محمــدا) وتنبأ عند ولادته ، بــأن يكون (المهدي الموعود) الذي بشّر به النبي وقال عنه إن:(اسمه اســمي واسم أبيه اسم أبى) حســبما كــان مشــهورا في تلك الفترة.

مهدوية ذي النفس الزكية

كـان (النفس الزكيـة) يأمل إن يثـور ضد الحكم الأمر ، حيث بايعه بنو هاشم ، وكان فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصــور ، ولكن سرعان ما قامت الدولة العباسـية فـانتفض عليه من بايعه، والتف حوله قسم من الشــيعة ، فخــرج في المدينة ســنة 145

---

274 - المصدر

275 - النوبخــتي، فــرق الشــيعة، ص 35، والأشــعري القمي، المقــالات والفرق، ص 35

وسيطر على الحجاز واليمن ، وقتل بعد شهور . وهنا أصيب قسم من شيعته بالصـدمة ولم يتحملـوا نبأ الهزيمة ولم يصـدقوا بمقتل (المهدي) الذي كانوا ينتظرون خروجه منذ فترة طويلة ، فقـالوا: انه حي لم يمت ولم يقتل وانه مقيم بجبل العلمية ، وهو جبل بين مكة ونجد، حـتى يخـرج . وتشـبثوا بالحـديث النبـوي الـذي يقول:(القائم اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبى).

ولما لم تكن هناك أحاديث صريحة ومحددة ومعروفة توضح هوية المهـدي ، فقد طبّق أتبـاع النفس الزكية أحـاديث المهدوية عليه ، وتأوّلوا الأحاديث الواردة به ، وربما اختلقوا بعض الروايات أو نسبوها إلى النبي لتعزيز نظريتهم وتأييد زعيمهم المنتظر.

مهدوية الباقر

وتقول بعض الروايات: إن قسـما من الشـيعة اعتقد بمهدوية الإمـام محمد بن علي البـاقر (ع) اعتمـادا على رواية تقـول : إن النبي (ص) قال لجابر بن عبد الله الأنصـاري: (انك تلقـاه فـاقرأه مني السلام).[276] ويقول الكليني : إن الإمام الباقر كـان يسـرّ إلى أصحابه بقرب القيام والخروج ويوصـيهم بالكتمـان ، وان بعضـهم قد ترك أعماله انتظارا لساعة الصفر .[277]

مهدوية الصادق

وبعد وفاة الإمام الباقر، وهزيمة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، وانتصار العباسيين ، وتألق الإمام جعفر بن محمد الصادق ، شاعت روايات كثـيرة حـول مهدويته.[278] وينقل النوبخـتي : إن بعض الشيعة روى عن الإمام الصادق انه قـال :" إن رأيتم رأسي قد أهـوى عليكم من جبل فلا تصـدقوه فـإني أنا صـاحبكم" وانه قال:" إن جاءكم من يخبركم عني انه مرضـني وغسـلني وكفنـني فلا تصدقوه فإني أنا صاحبكم صاحب السيف".[279]

من هنا رفض قسم من شيعة الإمام الصادق، الاعتراف بموته وقـالوا:" انه المهـدي المنتظر، وانه حي لم يمت" وعـرفت هـذه الفرقة بـ :(الناووسـية) نسـبة إلى عجلان بن نـاووس.[280] وكـان

---

276 - الاسفراييني، الفرق بين الفرق، ص 60
277 - الكليني ، الكافي، ص 245
278 - المصدر
279 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 67

منهم: أبان بن عثمـان الأحمـر، الـذي يعـده الكشي من (أصـحاب الإجماع) ، أي من اقرب المقربين إلى الإمام الصادق .[281]

مهدوية إسماعيل

من هذا يبدو إن النظريـات المهدوية المختلفة كـانت تولد مع الزمن وفي الظروف المختلفة.. وكانت اقرب إلى الأمل والرجاء منها إلى الاستناد إلى أحاديث قاطعة وصريحة ، وكان القول بـــ : (الغيبة) يبرز عند وفـاة الإمـام المنتظر دون إن يظهر .. ولم يكن الشيعة يجمعون دائما وأبـدا ومنذ البداية على مهدوية إمـام معين من قبل.. ففي الوقت الـذي كـان بعضـهم يـؤمن بمهدوية الإمـام الصـادق كـان البعض الآخر يـذهب ليعلق الأمل على مهدوية ابنه إسماعيل ، وعندما توفي إسماعيل في حيـاة أبيه الإمـام الصـادق رفض أصحابه التسـليم بوفاته، واخـترعوا القـول بغيبته، وفسـروا تشييع الإمام له ودفنه أمام أعين الناس، بأنه مسـرحية تسـتهدف التغطية على هـروب إسـماعيل واختفائه، والإعـداد لظهـوره في المستقبل !.[282]

ومن المعروف إن الشيعة اختلفوا بعد وفاة الإمام الصادق إلى ست فـرق ، فـذهب الإسـماعيلية إلى القـول بحيـاة إسـماعيل وإمامته ومهدويته وغيبته ، ثم قال فريق منهم بعد إن يئسـوا منه، بمهدوية ابنه محمد .. ثم نقلـوا المهدوية في أبنـاء إسـماعيل إلى أن ظهر واحد منهم ، في نهاية القـــرن الثـــالث، وأقـــام الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا.

مهدوية الديباج

وادعى محمد بن جعفر الصادق (الديباج) الذي خرج في مكة عـام 200 انه المهـدي المنتظـر، وأعلن نفسه خليفة للمسـلمين واخذ البيعة وتسمى بأمير المؤمنين.[283]

إذن.. نستطيع إن نقول إن النظرية المهدوية كانت تعني الثورة والقيام والخروج ولم تكن محددة في شـخص معين.. وان نظرية

---

[280] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 67 ، والأشعري، المقالات والفرق، ص 79

[281] - الكشي، أخبار معرفة الرجال، ترجمة أبان

[282] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 68 ، والأشعري القمي، ص 80

[283] - المصادر

الغيبة كـانت تـبرز عنـدما يفشل أي أمـام منتظر أو يمـوت دون تحقيق أهدافه.

مهدوية محمد بن عبد الله ألا فطح

الحالة الاستثنائية الوحيدة التي نجدها خلاف تلك القاعـدة في ذلك الــــوقت، هي نظرية :(مهدوية محمد بن عبد الله بن جعفر الصـادق) .. وهـذا الشـخص لم يولد أساسا، ولم يكن له وجـود ، وقد اختلق بعض الشــيعة الفطحية قصة وجـــوده في السر، بعد وفاة أبيه عبد الله ألا فطح ، الـذي آمن أولئك الشـيعة انه الإمـام بعد أبيه الصـادق ، وقد أصـيبوا بأزمة عنـدما تـوفي الأفطح دون عقب يرثه في الإمامة ، وكانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة في الأعقـاب ، وأعقـاب الأعقـاب ، أي بتوارثها بصـورة عمودية ، ولـذا لم يسـتطيعوا بسـبب هـذه الأزمة الفكرية، أن ينتقلـوا إلى القــول بإمامة أخي عبد الله : موسى بن جعفر ، فـاخترعوا قصة وجــود ولد له في الســر! ، وقــالوا : إن اســمه يطـابق الحـديث النبوي المشهور :"اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبى" . [284]

ولا يستبعد أن يكون بعض المصلحيين والمنافقين من أصحاب الأئمة، قد اخترع هذه القصة الوهمية (أسطورة المهـدي المنتظر محمد بن عبد الله بن الصادق) لكي يتاجر بها ويـدعي الوكالة له، ويقبض الأمـوال باسـمه ، حيث كـان يـروّج الإشـاعات عن وجـود ذلك المهدي الموهوم في اليمن ، وانه ســوف يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد إن تملأ ظلما وجورا.

مهدوية الكاظم

ومع انقلاب الدولة العباسية على أهدافها الإصلاحية، وانتشار الظلم والفساد، كان من الطبيعي أن يلتف المعارضـون لها حـول شخصية عظيمة من زعماء أهل البيت هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم الذي كان رمز التقوى والعلم والعبـادة.. وان يعظم الأمل بخروجه وقيامه.. وهكذا فقد انتشـرت روايـات كثـيرة جـدا حـول مهدوية الكاظم وانه (قائم آل محمد) .. وراح البعض من الشــيعة ينقل روايات عن الصادق :" أن من المحتـوم أن ابـني هـذا قـائم هذه الأمة وصاحب السيف" و" وان موسى هو القـائم وهـذا حتم من الله" " وان يدهـــده رأسه عليكم من جبل فلا تصــدقوا فانه القــائم" " وان القــائم اســمه حديــدة الحلاق" " وكــأني بالراية

---

[284] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 88

السوداء صاحبة الرقعة الخضراء تخفق فوق رأس هـذا الجـالس" وما إلى ذلك من الروايات التي فاقت حد "التواتر"!

وعندما اعتقل هارون الرشيد الإمام الكـاظم، احتسب معظم الشـيعة الموسـوية ، ذلك غيبة أولى أو صـغرى ، ولما تـوفي في السجن وألقي بجثمانه على الجسر في بغداد ، رفضوا التصـديق بذلك وقالوا: أنها مسرحية عباسية، وقالوا: إن الإمام الكـاظم قد غـاب غيبته الثانية وهـرب من السـجن ، وانه حي لم يمت ولا يمـوت حـتى يملك شـرق الأرض وغربها، ويملأها كلها عـدلا كما ملئت جورا، وانه القائم المهدي.[285]

وقد قـال معظم أولاد الإمـام الكـاظم بـذلك ، وكـذلك معظم أصـحابه المقـربين كالمفضل بن عمر، وداود الـرقي، وضـريس الكنـاني، وابوبصـير، واعين بن عبد الـرحمن بن أعين، وحديد الساباطي، والحسن بن قياما الصيرفي، وكتب اثنان من أصـحابه هما علي بن أبى حمـزة و علي بن عمر الأعـرج ، كتبا حـول (الغيبة) .

وقد عُـرف أولئك الشـيعة بالواقفية ، أي الـذين وقفـوا على الإمام الكاظم ورفضوا الإيمان بإمامة ابنه علي بن موسى الرضا. وقد قام أحد هؤلاء الواقفـة، وهـو: داود الـرقي، بمحـاورة الإمـام الرضا، والاحتجـاج ضـده بتلك الروايـات "المتـواترة" الـتي تحـدد المهدوية بالكـاظم وتقـول :"إن سـابعنا قائمنا" فقـال له الإمـام الرضا: إن الأمل بقيـام الكـاظم كـان معلقا على مشـيئة الله ولم يكن من المحتوم .[286]

وظل الواقفية يؤمنون بمهدوية وغيبة الإمام الكاظم، إلى وقت طويل .. ولكنهم تقلصـوا شـيئا فشـيئا حـتى مـاتت النظرية وانقرضـوا ، خاصة عنـدما أكد الإمـام الرضا وفـاة أبيه وقـال لهم:"إن الحجة لله على خلقه لا تقـوم إلا بإمـام حي يعـرف..سـبحان اللـه!.. مـات رسـول الله ولم يمت موسى بن جعفـر؟!.. بلى والله لقد مـات وقُسـّمت أمواله ونكحت جواريه" واتهم من قال بعـدم وفاته بالكـذب وقـال:" انهم كفـار بما انـزل الله عز وجل على محمد (ص). ولو كـان الله يمـدّ في اجل أحد

---

[285] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 80 ، والأشعري القمي، المقالات ، ص 89

[286] - النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك وسائل الشيعة، ج 3 ، ص 595

من بــني آدم لحاجة الخلق إليه لمــدّ الله في اجل رســول الله (ص)" . [287]

مهدوية محمد بن القاسم

وفي مطلع القرن الثـالث الهجـري في سـنة 219 وفي أيـام خلافة المعتصم ، حدثت ثـورة علوية في الطالقـان بقيـادة محمد بن القاسم ، فهزمه المعتصم ، واعتقله وحمله إلى بغـداد فحبسه في قصره ، ولكن الثائر العلوي استطاع الهرب . فاختلف النـاس في أمره ، وقال بعضهم: مات أو هرب ، وقال بعض الشيعة : انه حي، وانه سيخرج وانه مهدي هذه الأمة . [288]

مهدوية يحيى بن عمر

وبعد سنوات خرج في الكوفة إمام علوي آخر، هو يحـيى بن عمر ، ضد الخليفة العباسي المستعين بالله ، فوجه إليه الحسـين بن إسماعيل فقتله ، إلا إن بعض أصـحاب يحـيى رفض الاعـتراف بالهزيمة، وقــال انه لم يقتل وإنما اختفى وغــاب، وانه المهــدي القائم وسوف يخرج مرة أخرى. [289]

مهدوية محمد بن علي الهادي والعسكري

واختلف الشيعة الإمامة في منتصف القرن الثالث الهجري في هوية الإمــام المهـدي المنتظر فقـال قسم منهم : بأنه محمد بن علي الهادي ، الذي توفي فجأة في الـدجيل ، وقـالوا بغيبته كغيبة إسماعيل بن جعفر ، ورفضوا التصديق بوفاتــه.. وذهب قسم آخر إلى القــول بمهدوية الإمـام الحسن العســكري ، بينما قـال قسم ثـــالث بوجـــود ومهدوية ولد له في السر هو الإمـــام (محمد بن الحسن العسكري) .. وقـال آخـرون : انه غـير محـدد وانه سـوف يكــون واحــداً من أهل الــبيت لا على التعــيين وانه ســوف يولد ويظهر في المستقبل . [290]

مهدوية القائم المجهول

---

[287] - الكشي، معرفة الرجال، ص 379

[288] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 577 ، والاسفراييني، الفـرق بين الفرق، ص 31

[289] - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 147 والكامل في التـاريخ، ج 7 ، ص 43

وأخيرا يذكر المؤرخـان الشـيعيان المعاصـران لوفـاة الإمـام العســكري (النوبخــتي، والأشــعري القمي): إن فرقة من أتبــاع الإمام العسكري قالت:" إن الحسن بن علي قد مـات وصح موته ، وانقطعت الإمامة إلى وقت يبعث الله فيه قائما من آل محمد ممن قد مضى ، إن شـــاء بعث الحسن بن علي وان شـــاء بعث غيره من آبائه. ولا بد من ذلك .. لأن قيام القائم وخروج المهـدي حتم من الله ، وبـذلك وردت الأخبـار وصـحت الآثـار واجمع عليه الأمة فلا يجوز بطلان ذلك ، ولأن وفاة الحسن بن علي قد صحت وصح أنه لا خلف له ، فقد انقطعت الإمامة ولا عقب له ، وإذ لا يجوز إلا أن يكون في الأعقاب ، ولا يجوز إن ينصـرف إلى عم ولا ابن عم ولا أخ بعد الحسن والحســين ، فهي (الإمامـــة) منقطعة إلى القائم منهم، فإذا ظهر وقام اتصلت إلى قيام الساعة".[291]

كل ذلك التعدد والتنوع في الحركات المهدوية يعبر عن غموض مفهـوم (الإمـام المهـدي) واحتمـال كونه أي واحد من أئمة أهل الـبيت ، وهو من يقـوم بالسـيف ويخـرج ويقيم دولة الحـق.. وقد كانت كل فرقة شيعية تعتقد انه من هذا الـبيت الهاشـمي أو ذاك البيت العلوي أو الفاطمي أو الحسني أو الحسيني أو الموسـوي.. وانه هذا أو ذاك .. ولو كـانت هوية المهـدي قد حـددت من قبل ، منذ زمـان رسـول الله (ص) أو الأئمة الأحد عشر السـابقين لما اختلف المسـلمون ولا الشـيعة ولا الإماميـة ولا شـيعة الإمـام الحسن العسكري ، في تحديد هوية المهدي ، ولما اعتقد بعضـهم بكونه:(الإمام الحسن العسكري) نفسه .

نسـتنتج من كل ذلك : إن هوية المهـدي كـانت غامضة وغـير محـــددة في حيـــاة أهل الـــبيت ، وان القـــول بأنه (ابن الحسن العســكري) نشأ بعد افــتراض وجــوده في الســر، وفي محاولة لتفسير (غيبته) عن الأنظار وعـدم إعلان أبيه عن ولادته ، باعتبـار (الغيبة) صفة من صفات (المهدي).

290 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 94 و96 و 105، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 101 و 106 و108

291 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 105، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 108

المبحث الثاني

العوامل الفلسفية

لنشوء فرضية (الإمام الثاني عشر)

إذا قمنا بقراءة الرواية التاريخية لما حدث للشيعة الإمامية بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 هجرية ، والقينا نظرة على " الدليل العقلي" الذي قدمه ذلك الفريق الذي قال بـ :" وجود ولد مخفي للإمام ، هو الإمام من بعده وهو المهدي المنتظر" ، فأننا سنكتشف أزمة نظرية مرّ بها ذلك الفريق من الإمامية ممن يشترط توارث الإمامة بصورة عمودية ، وعدم جواز انتقالها إلى أخ أو ابن أخ ، أو عمّ أو ابن عمّ ، واضطراره إما إلى التنازل عن هذا الشرط ، أو التسليم بانقطاع الإمامة بعد وفاة العسكري دون خلف ، كما هو الظاهر من حياته ، أو افتراض وجود ولد له في السر ، بالرغم من عدم التصريح به ، أو الإعلان عنه ، أو وجود أي دليل عليه، وتفسير هذا الغموض والكتمان بالتقية والخوف من السلطة ، بالرغم من عدم وجود مؤشرات تستدعي ذلك .

تقول الرواية التاريخية، التي يعترف بها وينقلها المؤرخون والمتكلمون (الاثنا عشريون): إن الإمام العسكري توفي دون إن يخلف ولدا ظاهرا ، وأوصى بأمواله إلى أمه المسماة بـ :"حديث ". وهذا ما سمح لأخيه جعفر بن علي بأن يدعي الإمامة من بعده ويدعو الشيعة الإمامية إلى اتباعه كخليفة له ، كما اتبعوا الإمام موسى بن جعفر بعد وفاة أخيه الأكبر (عبد الله الأفطح) الذي اصبح إماما لفترة وجيزة بعد وفاة أبيه الصادق ، ولم ينجب ولدا تستمر الإمامة في عقبه .

ويقول النوبختي والاشعري القمي والمفيد : إن كثيرا من الشيعة الامامية لبوا نداء جعفر وكادوا يجمعون على القول بإمامته .[292] وذلك لأن عامة الشيعة لم يكونوا يعرفون أحداً غير جعفر من أبناء الإمام الهادي ، ولم يكونوا شاهدوا أي ولد للإمام

---

[292] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 110، والمفيد، الفصول المختارة، ص 259

العسكري ، وهـذا ما تؤكـده رواية (أبى الأديـان البصـري) رسـول الإمام العسكري الى أهل المـدائن ، وآخر شـخص يـودع الإمـام ، والذي يقول : إن العسكري لم يخبره باسم خليفته ، وإنما أعطاه بعض العلامات للتعرف عليه ، ويقـول: انه عـاد الى سـامراء يـوم وفـاة الإمـام العسـكري فـرأى جعفر وحوله عامة الشـيعة وعلى رأسـهم عثمـان بن سـعيد العمـري ، وهم يعزونه ويهنئونه ، وانه ذهب وعزاه وهنأه كواحد منهم، كما يقول: إن وفدا من شيعة قم قـدموا في ذلك اليـوم الى سـامراء وسـألوا عن الإمـام الحسن وعرفـوا موته ، فقـالوا : من نعـزي؟ فأشـار النـاس الى جعفر ، فسلموا عليه وعزوه وهنئوه.[293] وهو ما تؤكده أيضا رواية (سنان الموصلي) التي تتحدث عن قدوم وفد بقيـادة أبى العبـاس محمد بن جعفر الحمـــيري القمي ، الى ســـامراء ، بعد وفـــاة الإمـــام العســكري ، وســؤالهم عنه وعن وارثه ، وقــول النــاس لهم: إن وارثه جعفر بن علي ، وعــدم وجــود مــانع يحــول دون قــولهم بإمامته سوى عدم معرفته بعلم الغيب.[294]

وبنـاء على ذلك فقد أرسل جعفر الى أهل قم ، الـتي كـانت مركزا للشـيعة فأجابه ، يـدعوهم الى نفسـه، ويُعلمهم : أنه القيّم بعد أخيــه. وقد اجتمع أهل قم عند شــيخهم (احمد بن إســحاق) وتداولوا في الموضـوع ، وقـرروا إرسـال وفد اليه لمناقشـته و " سـؤاله بعض المسـائل الـتي كـانوا يسـألون آبـاءه عنها من قبل والتأكد من دعــواه" كما يقـول الخصـيبي والصـدوق والطبرسي والصدر.[295] مما يعني أن أهل قم لم يكونوا يعرفـون هوية الإمـام الجديد من قبل، ولم يكونوا يعرفون بوجود ولد للإمام العسكري ، ولم يكن يوجد لديهم أي مـانع لقبـول إمامة جعفر بن علي ، أي انهم لم يكونــوا يلــتزمون بقــانون الوراثة العمودية في الإمامة ، وإنما كانوا أقرب الى الفطحية، ويجيزون إمامة الأخوين .

وكانت العقبة الرئيسية التي حالت دون إيمـان بعض الشـيعة بإمامة جعفر، هو المبدأ القديم المشـكوك فيه، الـرافض لاجتمـاع

---

[293] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475

[294] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 476 – 479 ، والراونـدي، الخـرايج والجرايح، ص 164 ، والصدر ، الغيبة الصغري، ص 323

[295] - الخصيبي، الهداية الكبرى ، ص 391 والصدوق، إكمـال الـدين، ص 475 والطبرسي، الاحتجاج، ج 2 ، ص 279 والصدر، الغيبة الصغرى، ص 391

الإمامة في أخــوين بعد الحسن والحســين ، وقد طرحه وفد قم على جعفر بن علي أثناء الحـوار، فأجـابهم : " إن الله قد بـدا له في ذلك" ، كما يقول الخصيبي.[296]

وتقول بعض الروايات التي ينقلها الصدوق والطوسي : إن وفد قم طـالب جعفر بالكشف عن كمية الأمـوال الـتي كـان يحملها معه، وأسماء أصحابها ، غيبياً ، كما كـان يفعل أخـوه العسـكري ، وان جعفر رفض ذلك الطلب و الادعاء، واتهم الوفد بالكذب على أخيه ، أنكر نسبة علم الغيب اليه.[297] كما تحـاول بعض الروايـات أن تتهم جعفر بالفسق وشرب الخمر والجهل وإهمال الصـلاة.[298] وذلك من أجل إبطال دعواه في الإمامة ، ولكن عامة الشـيعة لم يأخـذوا بتلك الاتهامـات ، ولم يطرحـوا مسـألة علم الغيب ، وقد عزوه وهـنئوه بالإمامة . وكـانت المشـكلة الرئيسـية لـدى البعض منهم هي مســألة :(الجمع بين الأخــوين في الإمامة). وقد ارتكز الطوسي عليها في عملية الاســــتدلال على نفي إمامة جعفر و افــتراض وجــود ولد للحسن ، وادعى عـــدم الخلاف حولها بين الامامية .[299]

وكانت هذه المشكلة قد تفجرت في صفوف الشيعة الامامية ، لأول مرة ، بعد وفاة الإمـام عبد الله الأفطح بن الصـادق ، الـذي أجمع فقهاء الشيعة ومشايخهم على القول بإمامته ، ولكنه تـوفي دون عقب، مما أوقع الامامية في أزمة، وفرّقهم الى ثلاث فرق ، فمنهم من تمسك بمبــدأ:" عــدم جــواز الجمع بين الأخــوين في الإمامة" واضطر الى افتراض وجود ولد موهوم لعبد الله، قال إن اسمه (محمد) وهو مخفي ، وانه سيظهر في المســتقبل. ومنهم من تجاوز هذا المبدأ وأجـاز لنفسه الانتقـال الى الأخ ، إذا لم يكن للإمـام السـابق ولد ، وقـال نتيجة لـذلك بإمامة موسى بن جعفر بعد أخيه عبد الله الأفطح . ومنهم من تراجع عن القـــول بإمامة الأفطح ، واســتنتج من عــدم وجــود عقب له : انه لم يكن إماما وشطب اسمه من قائمة الأئمة بالمرة.

---

296 - الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 383 - 391

297 - الصدوق، إكمال الدين، ص 476 والصدر ، الغيبة الصغري، ص 316

298 - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 479 والخصـيبي، الهداية الكـبرى، ص 391

299 - الطوسي، الغيبة، ص 135

وقد تكررت هذه المشكلة مرة أخرى عند وفاة الإمام الحسن العسكري دون ولد ، مما أدى الى اختلاف الشـيعة الامامية حـول مسألة الخلف الى عدة فرق : فمنهم من جمع بين الأخوين وقال بإمامة جعفر بن علي بعد أخيه الحسن ، ومنهم من تراجع عن القـول بإمامة العسـكري وقـال:" إن القـول بإمامة الحسن كـان غلطاً وخطأ ، وجب علينا الرجــــــوع عنه الى إمامة جعفر ، وان الحسن قد تــوفي ولا عقب له فقد صح عنــدنا انه ادعى بــاطلا ، لأن الإمـام بإجماعنا جميعا لا يمـوت إلا عن خلف ظـاهر معـروف يوصي اليه ويقيمه مقامه بالإمامة ، والإمامة لا ترجع في أخــوين بعد الحسن والحسين .. فالإمـام لا محالة جعفر بوصـية أبيه إليه" كما يقول النوبختي والاشعري القمي .[300]

ومنهم من أصـرّ على إمامة الحسن والتمسك الشـديد بـذلك المبــدأ أو الشــعار الــرافض للجمع بين الأخــوين في الإمامة . وانقسم هــؤلاء إلى عــدة أقســام : فمنهم من قــال بمهدوية العسكري وغيبته ، ومنهم من قال برجوعه إلى الحياة بعد الموت ، ومنهم من قال بـالفترة ، ومنهم من احتـار وتوقف ، وقـال:" لم يصح عنــدنا إن للحسن خلفا ، وخفي علينا أمــره ، ونحن نتوقف ونتمسك بــالأول حــتى يتــبين لنا الآخر ، كما أمرنــا، انه إذا هلك الإمام ولم يعـرف الـذي بعـده فتمسـكوا بـالأول حـتى يتـبين لكم الآخر، فنحن نأخذ بهــــــذا ونلزمه ، ولا ننكر إمامة أبى محمد ولا موته ، ولا نقــول انه رجع بعد المــوت ، ولا نقطع على إمامة أحد من ولد غــــيره ، فانه لا خلاف بين الشــــيعة :" انه لا تثبت إمامة أمام إلا بوصية أبيه إليه وصية ظاهرة " .[301]

ومنهم من وجد نفسه مضـطرا لافـتراض وجــود ولد مخفي للإمــام العســكري ، وقــال انه الإمــام من بعــده ، وانه المهــدي المنتظر ، وفسر عدم إشارة أبيه إليه في حياته وعدم وصيته إليه ، وعــدم ظهــوره من بعــده ، وغيبته .. فسر كل ذلك ، تعســفاً ، بالتقية والخوف من الأعداء .

---

300 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 والاشعري القمي، المقالات والفرق، ص 107 - 110

301 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 105 – 108 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 115 ، والمفيد، الفصول المختارة، ص 260 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 343 ، والطوسي، الغيبة، ص 2444 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 230 ، والحر العاملي، إثبات الهداة، ج 3 ، ص 477

وكان الدافع الرئيسي لهذا القول ، هو التمسك الشديد بقانون الوراثة العمودية ، وعــدم جــواز انتقــال الإمامة إلى أخــوين بعد الحسن والحسـين . وبـالرغم من أن هـذا كـان قـولا ضـعيفا، ولم يجمع الشــيعة الإماميــة عليه في ذلك الــوقت ، خلافا لما ادعى الطوسي بعد ذلك بمائتي عام ، فان المتكلمين الذين التزموا به ، جعلـوا منه حجر الزاوية في عملية الاسـتدلال على وجـود (ولد) للإمـام الحسن العسـكري. وقد نسـجوا منه ، ومن بقية القضـايا الكلامية التي توجب العصمة في الإمام، أو تـوجب النص في أهل البيت ، دليلاً أسموه بـ : "الدليل العقلي" ، أو "الفلسفي" .

وقد استعرضــنا في الفصل الأول، من هــذا الجــزء، أقــوال المتكلمين والمؤرخين الذين اسـتدلوا بالعقل على وجـود وولادة : (محمد بن الحسن العســكري) وكـــان دليلهم يعتمد على نظرية العصـــــمة والنص والوراثة العمودية في الإمامة . ولكنـــــه في الحقيقة كان يعتمد فقط على المبدأ الأخــير :(الوراثة العمودية) ، وذلك لأن كثــيرا من الشـيعة الإماميــة (الفطحيــة) الــذين كـانوا يتفقــون معهم في الإيمــان بالعصــمة والنص ويؤمنــون بإمامة الحسن العسـكري أيضا ، لم يجـدوا أنفسـهم مضـطرين للإيمـان بوجــود ولد له في السر ، خلافا للظــاهر ، وآمنــوا بــدلا من ذلك بإمامة أخيه جعفر بن علي الهادي ، لأنهم لم يكونوا يؤمنون بقـوة بضرورة الوراثة العمودية وعدم جواز إمامة الأخوين .

إذن .. فان " الدليل العقلي" كان أشبه بالافتراض الفلسفي العاري عن الإثبات التاريخي . وكـان ذلك يتجلى في اسـتناد بعض المتكلمين على الحديث الرضـوي القائل :(إن صـاحب هـذا الأمر لا يموت حـتى يـرى ولـده من بعـده) لإثبـات وجـود الولد للإمـام العسكري ، كما يقول الشيخ الطوسي.[302]

وذلك بــالرغم من إمكانية الاسـتدلال بنفس الحـديث لنقض إمامة العسكري ، كما فعل قسم من الشيعة الـذين تراجعـوا عن القول بإمامة العسـكري ، واتخـذوا من عـدم إنجابه ولـدا تسـتمر الإمامة فيه دليلا على عـــدم صـــحة إمامته ، كما تراجع الشــيعة الموســوية ، في منتصف القــرن الثــاني ، عن القــول بإمامة عبد الله الأفطح ، لأنه لم ينجب ، وشــطبوا اســمه من قائمة الأئمة . واعتــبر ذلك الفريق من الشــيعة، الــتراجع عن إمامة العســكري

---

302 - الطوسي، الغيبة، ص 133 و135

والقول بإمامة جعفر بعد أبيه الهادي مباشرة ، أهون من افتراض ولد موهوم للعسكري .

والغريب إن السيد المرتضى علم الهـدى ، يتهم الـذين قـالوا بوجود ولد للإمام عبد الله الأفطح ، باللجوء إلى اخـتراع شخصـية وهمية اضـــطراراً ، من اجل الخـــروج من الحـــيرة والطريق المسـدود.[303] ولكنه يمـارس نفس الشـيء في عملية افـتراض وجود ولد للحسن العسكري ، وذلك اضـطرارا من اجل الخـروج من الحـيرة الـتي عصـفت بالشـيعة الإماميـة في منتصف القـرن الثالث الهجري.

ولا بد بعد ذلك من الإشارة إلى أن تسـمية عملية الاسـتدلال النظري على وجـود ولد للحسن العسـكري ، بالـدليل "العقلي" ، هو من بـاب التسـامح والاسـتعارة ، وإلا فانه ابعد ما يكـون عن الاســـتدلال العقلي ، إذ يعتمد على مجموعة مقـــولات نقلية ، وبعضـها أخبـار آحـاد بحاجة إلى إثبـات الدلالة والسـند، كمقولة (الوراثة العمودية وعـدم جـواز انتقـال الإمامة إلى أخـوين بعد الحسن والحسـين) .. ومن هنا فقد قـال الشـيخ الصـدوق :" إن القول بغيبة صاحب الزمان مبني على القـول بإمامة آبائه ... وان هــذا بــاب شــرعي وليس بعقلي محض" .[304] وهــذا يعــني أن المناقشة في أية مقدمة من مقدمات الدليل "العقلي" الطويلة ، كضـرورة العصـمة في الإمـام ، وضـرورة النص عليه من الله ، وثبوت الإمامة في أهل البيت ، وانحصارها في الـبيت الحسـيني ، وكيفية انتقالها من إمـام إلى إمـام ، ودعـاوى بقية الأئمة الـذين ادعـــوا الإمامة والمهدوية كمحمد بن الحنفية وابنه أبى هاشم ، وزيد بن علي، ومحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية ، وإسماعيل بن جعفر وأبنائه ، وعبد الله الأفطح ومحمد بن علي الهـــادي .. وما إلى ذلك من التفاصـــيل الجزئية في نظرية الإمامة الإلهية ، من البداية إلى النهاية ، حتى وفاة الإمام الحسن العسكري .. ان المناقشة في أية مقدمة من تلك المقـــدمات تسد الطريق على الوصول إلى فرضية: (وجود ولد للحسن العسكري)..

ومن هنا كان إثبات وجود (الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العسكري) بصورة عقلية لسـائر النـاس أو سـائر المسـلمين ، أو سائر الفرق الشـيعية ، أو حـتى لسـائر الفـرق الإماميـة الـتي لم توافق على مبـــدأ: " الوراثة العمودية" ، صـــعبا أو مســـتحيلا ..

---

[303] - المرتضى، الشافي، ص 184
[304] - الصدوق، إكمال الدين، ص 63

ولـذلك كـان علمـاء الكلام (الاثنا عشـريون) يمتنعـون عن خـوض النقاش مع سائر الناس حول إثبات شخصية (ابن الحسن) إلا بعد التسـليم بالمقـدمات النقلية الطويلة السـابقة ، والإيمـان بكل واحدة.. واحدة منها .

وقد قال عبد الرحمن بن قبة الرازي ، في الرد على علي بن احمد بن بشـار:" لا نتكلم في فـرع لم يثبت اصـله ، وهـذا الرجل (ابن الحسـن) الـذي تجحـدون وجـوده ، فإنما يثبت له الحق بعد أبيه .. فلا معنى لترك النظر في حق أبيه والاشتغال بالنظر معكم في وجوده ، فـإذا ثبت الحق لأبيه ، فهـذا ثـابت ضـرورة عند ذلك بـإقراركم ، وان بطل أن يكـون الحق لأبيه، فقد آل الأمر إلى ما تقولـون ، وقد أبطلنا". [305] وقـال السـيد المرتضى :" إن الغيبة فرعٌ لأصولٍ ، إن صحت فالكلام في الغيبة اسهل شيء وأوضـحه ، إذ هي متوقفة عليها ، وان كانت غير صحيحة فالكلام في الغيبة صعب غير ممكن". [306]

وهذا اعتراف صـريح بعد وجـود أية أدلة تاريخية مسـتقلة، أو علمية وشرعية، تثبت وجود ولد للإمـام العسـكري، الـذي تـوفي دون أن يشير الى ذلـك، بل أوصى بأمواله الى أمه ، ولم يتحـدث عن أي وريث آخر. وان افتراض وجود ولد لـه، كـان مبنيـاً على " ضرورة استمرار الإمامة الإلهية إلى يـوم القيامة ووجـوب توارثها بصـورة عمودية". بـالرغم من أن الإيمـان بنظرية الإمامـة، أو التسليم بإمامة الحسن العسكري ، لم يكن يـؤدي بالضـرورة إلى وجـوب الإيمـان بوجـود ولد له. وهـذه حقيقة يعـترف بها زعيم الحوزة العلمية في قم ، المعاصر، الشيخ ناصر مكارم الشـيرازي في كتابه :(المهدي : الثورة الكبرى) حيث يقـول:" إن الاسـتدلال الفلسفي يمكن إن يثبت قضـايا كلية عامـة، ولكنه لا يسـتطيع إن يضع إصبعه على إنسان في الخارج ، ويثبت وجوده". [307]

وهو في النهاية، ليس إلا افتراضاً وهميـاً ، وظنـاً بغـير علم . وقد نهانا الله عـزّ وجـلّ عن اتبـاع الظن، وخاصة في الأمـور العقديـة، حيث قـال تعـالى:" ولا تقـفُ ما ليس لك بِهِ علم ، إن السـمع والبصر والفـؤاد، كل أولئك كـان عنه مسـئولاً" (الإسـراء 36)

305 - الصدوق، إكمال الدين، ص 54
306 - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2
307 - الشيرازي ، مهدي انقلاب بزرك، ص 213

وقال منتقداً أصحاب الديانات الأخرى الذين يبنـون عقائـدهم على الظن والتخمين والافـــتراض :" قل هل عنـــدكم من علم، فتخرجـوه لنا ؟ .. إن تتبعـون إلا الظن ، وان انتم إلا تخرصـون!" (يونس 36)

وقال:" إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من ســلطان، إن يتبعــون إلا الظن وما تهــوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى".(النجم 23)

وقال:" وما لهم به من علم ، إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ". (النجم 28)

المبحث الثالث

نقد الدليل الروائي (النقلي)

لسنا بحاجة لمناقشة الاستدلال بالقرآن الكريم، أو الأحـاديث العامة الــتي تتحــدث عن (المهــدي) أو (القــائم) من دون تحديد هوية ذلك الشخص.. فـان هـدف دراسـتنا ليس نفي مبـدأ خـروج المهدي في المستقبل من الأساس .. وإنما نهدف إلى القــول إن شخصـــاً باسم (محمد بن الحسن العســكري) لم يولد ولم يوجد بعد ، وبالتالي فـان تلك الآيـات أو الأحـاديث العامة، لا تثبت ولادة ذلك الإنسـان أو وجـوده ، بـالرغم من إمكانية المناقشة في دلالة الآيات الكريمة على الموضوع.

أما الروايات الـواردة حـول (الغيبـة) و(الغـائب) فهي أيضا لا تتحدث عن "غـائبٍ" بالتحديـد.. ولا تـذكر اسم (محمد بن الحسن العســكري) ولا تشــير إلى غيبته بالخصــوص.. وبالتــالي فإنها لا يمكن إن تشـكل دليلا على (غيبة الحجة بن الحسـن) لأنه لم يولد

بعد .. ولم يغب .. وهي لا تتحدث عن أمر قبل وقوعه حتى يكون ذلك إعجازاً ودليلا على صحة الغيبة ، كما قال الشيخ الصدوق.

ولا توجد في تلك الروايـــات أية دلالة على ما ذهب إليه المتكلمون الإماميون ، لأنها لم تتضمن الإخبار بالشــيء قبل كونه ، كما قال الشيخ الطوسي ، ولم يحصل أي إخبار مسبق من جهة علام الغيوب.. وذلك لأن تلك الروايات كانت تتحدث عن أشخاص آخرين كـانوا موجـودين فعلا ، وادعيت لهم المهدوية ، وغـابوا في الشعاب والجبـال والسـجون، كمحمد بن الحنفية، ومحمد بن عبد الله بن الحسن (ذي النفس الزكيـة)، والإمـام موسى الكـاظم .. وقد حدث في ظل غيبتهم أن تفرق شيعتهم واختلفـوا واحتـاروا.. وقد صنع أصحابهم تلك الروايات من وحي الواقع ولأهداف خاصة ، وبالذات الشيعة الواقفية الذين كانوا يؤمنــون ، بقــوة ، بمهدوية الإمـام الكـاظم ، ولما اعتقله الرشـيد قـالوا بغيبته ، ولما تــوفي الإمام رفضوا الاعتراف بوفاته، وادعوا هروبه من الســجن وغيبته غيبة كبرى لا يُرى فيها، واعتبروا مرحلة السجن غيبة صغرى. وقد كـانت الغيبة الكــبرى أطــول من الغيبة الصــغرى ، لأنها امتــدت وامتدت بلا حدود.

وكان الواقفية قد استعاروا أحـاديث الغيبة، ممن سـبقهم من الحركات المهدوية ، وطبقوها على الإمام الكاظم .

وإذا توقفنا عند الرواية التي يـذكرها النعمـاني حـول الغيبة ، والتي يقول عنها :" لو لم يكن يـروى في الغيبة إلا هـذا الحـديث، لكـــان فيها كفاية لمن تأملها" لوجـــدنا أنها تتحـــدث عن الوفـــاة والقتل والذهاب، لإمام موجود ومعـروف سـابقا.. بينما يحتـاج هو (أي النعمــــاني) أن يثبت وجــــود (الإمــــام محمد بن الحسن العسكري) أولاً، حتى يستطيع أن ينسب إليه تلك الأفعال لاحقاً.

لقد كان المتكلمون الإماميون في البداية (في القرن الثالث الهجري) يحاولون إثبات صحة فرضية (وجود الإمام الثـاني عشر ابن الحسن) ولم يكونـوا يتحـدثون عن (المهـدي والمهدويـة). إذ انهم كـانوا بحاجة إلى إثبـات وجـود العـرش قبل إثبـات النقش.. ولكن الأزمة التي وقعوا فيها ، بعد القول بوجــود (ابن الحســن) ، وهي :(عدم ظهـور الإمـام للقيـام بمهمـات الإمامة) دفعتهم إلى البحث والتنقيب في تـراث الفـرق الشـيعية القديمة كالكيسـانية والواقفيـة، والتفـتيش عن مخــرج للأزمة والحـيرة، ووجـدوا في أحـــاديث المهدوية القديمة أفضل حل للخـــروج من أزمة عـــدم

الظهور ، ودليلاً جديداً على إثبات فرضية (وجود ابن الحسن) في نفس الوقت.

ومن هنا فقد تطورت الفرضية التي كانت مهتمة بإثبات (وجود الإمام الثاني عشر) إلى الحديث عن (مهدويته) واصبح الحديث يدور حول (وجود الإمام المهدي الحجة ابن الحسن العسكري). وذلك انطلاقا من حالة الفراغ والغيبة وعدم المشاهدة ، والاستنتاج منها:" إن الشخص المفترض انه الإمام والذي لا يُشاهد : هو المهدي صاحب الغيبة ، وان سبب عدم مشاهدته هو : الغيبة"!

وإذا كان يصح الاستدلال بتلك الروايات على مهدوية الأئمة السابقين المعروفين، الذين غابوا في السجون أو الشعاب أو في سائر أنحاء الأرض ، فانه لا يمكن الاستدلال بها على صحة فرضية (وجود ابن الحسن) .. وذلك لأن وجوده كان موضع شك واختلاف بين أصحاب الإمام العسكري، وان عملية الاستدلال بها على (مهدوية ابن الحسن) بحاجة أولاً إلى الاستدلال على وجوده واثبات ذلك، قبل الحديث عن إمامته ومهدويته وغيبته وما إلى ذلك.

إن الاستدلال بالغيبة على الوجود ، بدون إثبات ذلك من قبل ، يشبه عملية الاستدلال على وجود ماء في إناء ، بالقول :" إن الماء لا رائحة له ولا لون.. ونحن لا نشم رائحة ولا نرى لونا في هذا الإناء.. إذن فان فيه ماء !".

وإذا كان ذلك لا يجوز، إلا بعد إثبات وجود شيء سائل في الإناء ، ثم القول :" إن هذا السائل ليس له لون ولا رائحة.. فإذن هو ماء " ، فان عملية إثبات وجود (ابن الحسن) ، كذلك تحتاج أولاً إلى إثبات وجوده وإمامته ومهدويته.. ثم إثبات غيبته ، لا إن يتم عكس الاستدلال ، فيُتخذ من المجهول والعدم و (الغيبة) دليلا على إثبات الوجود والإمامة والمهدوية لشخص لا يزال موضع بحث ونقاش!.

إذن فلا يمكن ، في الحقيقة ، الاستدلال بأحاديث (الغيبة) العامة والغامضة والضعيفة، على إثبات وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) .

وقد حاول بعض المنظّرين لموضـوع (الغيبـة) إن يستشـهدوا بحديث الغيبتين الصغرى والكبرى، ليثبتوا صحة (فرضية وجود ابن الحسن). ولكن حكاية (الغيبتين) نفسها لم تثبت في التـاريخ ، ولا يوجد عليها دليل سوى موضوع (النيابة الخاصة) التي ادعاها بعض الأشـخاص ، وهي لم تثبت لهم في ذلك الزمـان ، وكـان الشـيعة القـائلون بوجـود (ابن الحسـن) يختلفـون فيما بينهم حـول صـحة ادعاء هـذا الشـخص أو ذاك بالنيابة الخاصة، الـتي كـان قد ادعاها حـوالي عشـرين شخصا أكـثرهم من الغلاة . ومن هنا فـان الحد الفاصل بين الغيبتين : الصغرى والكبرى، كان حداً وهمياً لم يثبت في التـاريخ . ويلاحظ أن الاستشـهاد بــ :(الغيبـتين) قد ابتـدأه النعمـاني في منتصف القـرن الرابع الهجـري ، بعد انتهـاء عهد (النـواب الخاصـين) ولم يشر اليه من سـبقه من المـؤلفين حـول (الغيبة) الـذين اكتفـوا بالإشـارة الى الغيبة الواحـدة . وذلك لأنهم لم يعرفوا من قبل بحدوث غيبتين.

وقد اعـترف السـيد المرتضى علم الهـدى والشـيخ الطوسي، لــدى الحــديث عن أســباب الغيبة، أن من الضــروري أولاً: بحث موضــوع الوجــود والإمامة لــ : (ابن الحسن العســكري) ، قبل الحـديث عن الغيبة وأسـبابها. وقـالا:" إن من شك في إمامة ابن الحسن يجب أن يكــون الكلام معه في نص إمامته ، والتشــاغل بالدلالة عليها ، ولا يجوز مع الشك فيها أن نتكلم في سـبب الغيبة ، لأن الكلام في الفرع لا يسوغ إلا بعد إحكام الأصول" . [308]

دليل "الإثني عشرية"

وهذا دليل متأخر .. بدأ المتكلمون الإماميون يستخدمونه بعد اكثر من نصف قرن من الحيرة ، أي في القـرن الرابع الهجـري ، ولم يكن له أثر في القرن الثالث، عند الشيعة الامامية ، حيث لم يشر اليه الشـــيخ علي بن بابويه الصـــدوق في كتابـــه:(الإمامة والتبصرة من الحيرة) كما لم يشر اليه النوبختي في كتابه:(فــرق الشـيعة) ولا سـعد بن عبد الله الاشـعري القمي في:(المقـالات والفـــرق).. وذلك لأن النظرية (الاثـــني عشـــرية) طـــرأت على الامامية في القرن الرابع ، بعد ان كانت النظرية الامامية ممتـدة الى آخر الزمـــان، بلا حـــدود ولا حصر في عـــدد معين ، كما هو الحـال عند الشـيعة الإمامية الإسـماعيلية والزيديـة.. لأنها كـانت موازية لنظرية الشورى وبديلا عنها.. فمادام في الأرض مسلمون

---

[308] - الطوسي، تلخيص الشافي ، للمرتضى، ج 4 ، 213

ويحتـاجون الى دولة وإمـام ، وكـان محرمـاً عليهم اللجـوء الى الشـورى والانتخـاب ، كما تقـول النظرية الامامية، كـان لا بد ان يعين الله لهم إماما معصـوما منصوصا عليه .. فلمـاذا إذن يحصر عدد الأئمة في اثني عشر واحدا فقط؟

من هنا لم يكن الاماميون يقولون بالعدد المحدود في الأئمة ، ولم يكن حـتى الـذين قـالوا بوجـود (الإمـام محمد بن الحسن العسـكري) في البداية ، يعتقـدون أنه خـاتم الأئمة ، وهـذا هو النوبختي يقول في كتابه (فـرق الشـيعة):" إن الإمامـة ستسـتمر في أعقاب الإمام الثاني عشر الى يوم القيامة".[309]

وتشير روايات كثيرة يذكرها الصفار، والكليني ، والحمـيري ، والعياشي ، والمفيد ، والحر العـاملي، وغـيرهم.. وغـيرهم .. الى ان الأئمة أنفسـهم لم يكونـوا يعرفـون بحكاية القائمة المسـبقة المعدة منذ زمان رسول الله (ص) ولم يكونوا يعرفـون بإمـامتهم ، أو بإمامة الإمام اللاحق من بعدهم ، إلا قرب وفاتهم ، فضلا عن الشـيعة أو الإمامية أنفسـهم ، الـذين كـانوا يقعـون في حـيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام ، وكانوا يتوسـلون لكل إمـام ان يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد.[310] حيث يروي الصفار في (بصـائر الـدرجات) بـاب: ان الأئمة يعلمـون الى من يوصـون قبل وفـاتهم مما يعلمهم الله ، حديثا عن الإمام الصادق يقـول فيـه:" ما مـات عـالم حـتى يعلمه الله الى من يوصي" .[311] ، كما يرويه الكليـني في (الكـافي) عنه أيضا :" لا يموت الإمام حتى يعلم مَن بعـده فيوصي اليه".[312] وهو ما يـدل على عـدم معرفة الأئمة، من قبلُ، بأسـماء خلفـائهم ، أو بوجود قائمة مسبقة بهم . وقد ذهب الصفار والصـدوق والكليـني ابعد من ذلك، فـرووا عن أبى عبد الله الصـادق ، انه قـال:" ان الإمام اللاحق يعـرف إمامته وينتهي اليه الأمر، في آخر دقيقة من حياة الأول".[313]

---

309 - النوبختي، فرق الشيعة، الفرقة التي قالت بوجود ولد للعسكري.

310 - راجع: بصائر الدرجات، لصفار، والكافي للكليني، وقرب الإسناد للحميري ، وتفسير العياشي، والإرشاد للمفيد، وإثبات الهداة للحر العاملي.

311 - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص 374

312 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 277

ونتيجة لذلك فقد طُرحت عدة أسئلة في حياة أهل البيت ، وهي : كيف يعرف الإمام إمامته إذا مات أبوه بعيدا عنه في مدينة أخرى؟ وكيف يعرف انه إمام، إذا كان قد أوصى الى جماعة؟ أو لم يوصِ أبدا؟.. وكيف يعرف الناس أنه اصبح إماما؟.. خاصة إذا تنازع الاخوة الإمامة وادعى كل واحد منهم الوصية؟ كما حدث لعدد من الأئمة في التاريخ؟

روى الكليني حديثا عن أحد العلويين الملتزمين بنظرية الإمامة، هو عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبى طالب ، قال:" قلت لأبي عبد الله: إن كان كونٌ ، ولا أراني الله ذلك ، فبمن أأتم؟ ..قال فأومأ الى ابنه موسى ، قلت: فان حدث بموسى حدث فبمن أأتم؟ قال : بولده ، قلت: فان حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أأتم؟ قال: بولده، ثم قال: هكذا أبدا . قلت: فان لم اعرفه ولا اعرف موضعه؟ قال: تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي ، فان ذلك يجزيك ان شاء الله ". [314] وهذا الحديث يدل على عدم وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة من قبل، وعدم معرفة علوي إمامي مثل عيسى بن عبد الله بها ، وإمكانية وقوعه في الحيرة والجهل. ولو كانت القائمة موجودة من قبل لأشار الإمام الصادق اليها.

وبسبب غموض هوية الأئمة اللاحقين لجماهير الشيعة والامامية ، فقد كانوا يسألون الأئمة دائما عن الموقف الواجب اتخاذه عند وفاة أحد الأئمة. وفي هذا المجال ينقل الكليني وابن بابويه والعياشي حديثا عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله ، قال:" قلت له: إذا حدث للإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: يكونوا كما قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ، لعلهم يحذرون) التوبة 112 ، قلت : فما حالهم ؟ .. قال: هم في عذر ما داموا في الطلب ، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع اليهم أصحابهم" . [315]

---

[313] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 478، والصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، باب 19، ص 84 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 275

[314] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 309

[315] - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 77 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 378، وتفسير العياشي، ج 2 ، ص 117

وهناك رواية أخرى مشابهة عن زرارة بن أعين، الـذي ابتلي بهذه المشكلة ومات بُعَيد وفاة الإمـام الصـادق ، ولم يكن يعـرف الإمام الجديد، فوضع القرآن على صدره وقال:" اللهم اشـهد إني اثبت من يقـول بإمامته هـذا الكتـاب" .[316] وقد كـان زرارة من اعظم تلاميذ الإمـامين البـاقر والصـادق ، ولكنه لم يعـرف خليفة الإمام الصـادق، فأرسل ابنه عبيد الله الى المدينة، لكي يسـتطلع له الإمــام الجديد ، فمــات قبل ان يعــود اليه ابنه، ومن دون ان يعرف من هو الإمام ؟ [317]

وتقول روايات عديدة يذكرها الكليني والمفيد والطوسي : ان الإمــام الهــادي أوصى في البداية الى ابنه الســيد محمد ، ولكنه توفي في حياة أبيه ، فأوصى للإمـام الحسن وقـال لـه:" لقد بـدا لله في محمد كما بـدا في إسـماعيل.. يا بـني أحـدث لله شـكراً فقد احدث فيك أمراً ، أو نعمة" .[318]

وإذا كانت روايات القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر، صـحيحة وموجـودة من قبل ، فلمـاذا لم يعرفها الشـيعة الامامية الذين اختلفوا واحتاروا بعد وفـاة الإمـام الحسن العسـكري ، ولم يشر اليها المحــدثون أو المؤرخــون الامامية في القــرن الثــالث الهجري؟

ان نظرية (الاثنا عشرية) لم تكن مستقرة في العقل الامـامي حتى منتصف القـرن الرابع الهجـري .. حـتى أن الشـيخ محمد بن علي الصدوق أبدى شكه بتحديد الأئمة في اثني عشر إماما فقط ، وقال:"لسنا مستعبدين في ذلك إلا بـالإقرار بـاثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعده" . [319]

ونقل الكفعمي في (المصباح) عن الإمام الرضا ، الدعاء التالي حول (صـاحب الزمـان) :" ... اللهم صل على ولاة عهـده والأئمة من بعده" .[320]

وروى الصدوق عدة روايات حول احتمـال امتـداد الإمامة بعد الثاني عشر، وعـدم الاقتصـار عليه ، وكـان منها رواية عن الإمـام

[316] - الصدوق، إكمال الدين، ص 74
[317] - المصدر، ص 76
[318] - الكليني،الكافي، ج 1 ، ص 326 و328 والمفيد، الإرشاد، ص 336 و 337 والطوسي ،الغيبة، ص 120، 122
[319] - الصدوق، إكمال الدين، ص 77
[320] - القمي، مفاتيح الجنان، ص 542

أمير المؤمـنين (ع) حـول غمـوض الأمر بعد القـائم ، وان رسـول الله (ص) قد عهد اليه :" ان لا يخـــبر أحـــدا بـــذلك إلا الحسن والحسين" ، وانه قال:" لا تسألوني عما يكون بعد هذا ، فقد عهد اليّ حبيبي ان لا اخبر به غير عترتي" . [321]

وروى الطوسي : ان رسول الله (ص) قال لعلي:" يا علي انه سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا ، فأنت يا علي أول الاثـني عشر الإمـام ... م يكـون من بعـده اثنا عشر مهديا". [322]

وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الأئمة ، بعد القول بوجود وغيبة (محمد بن الحسن العسـكري) ، كـاد الشـيعة الامامية يختلفـون فيما بينهم حـــول تحديد عـــددهم بـــاثني عشر أو ثلاثة عشر ، إذ برزت في ذلك الوقت روايات تقول : بأن عدد الأئمة ثلاثة عشر ، وقد نقلها الكليني في (الكـافي). [323] و وُجـدت في الكتـاب الـذي ظهر في تلك الفترة ونُسِبَ الى (سـليم بن قيس الهلالي) ، حيث تقول إحدى الروايات: ان النبي قال لأمير المؤمـنين :" أنت واثنا عشر من ولـدك أئمة الحق" . وهـذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب ، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمـري ، الـذي كان يتعاطى (الكلام) لأن يؤلف كتابا في الإمامة ، يقـول فيه : ان الأئمة ثلاثة عشر ، ويضـــيف الى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله) .

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة 345 هـ) في (التنبيه والاشراف):" ان أصل القول في حصر عدد الأئمة بـاثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه" . [324]

وكـان (كتـاب سـليم) هـذا ، قد ظهر في بداية القـرن الرابع الهجري ، وتضمن قائمة بأسماء الأئمة الاثـني عشر ، الـتي يقـول عنها : إنها كانت معروفة منذ عهد رسـول الله ، وانه هو الـذي قد أعلنها من قبل . وأدى ظهـــور هـــذا الكتـــاب الى تكوّن الفرقة (الاثــني عشــرية) في القــرن الرابع الهجــري.. ثم بــدأ الــرواة يختلقون الروايات شيئا.. فشيئا . ولم يذكر الكليني في (الكـافي)

---

321 - الصدوق، إكمال الدين، ص 78

322 - الطوسي، الغيبة ، ص 97

323 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 534

324 - المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 198 ، والأميني، الغدير، ج 1، ص 195

سوى سبع عشـرة رواية ، ثم جـاء الصـدوق بعـده بخمسـين عاما ليزيدها الى بضع وثلاثين روايـة.. ثم يـأتي تلميـذه الخـزاز ليجعلها مائتي رواية![325]

المفيد يضعف كتاب سليم

وكان اعتماد الكليني والنعماني والصدوق في قولهم بالنظرية (الاثني عشرية) على كتـاب سـليم الـذي وصـفه النعمـاني :" بأنه من الأصول التي يرجع اليها الشيعة ويعولون عليها" ، ولكن عامة الشـيعة في ذلك الزمـان كـانوا يشـكون في وضع واختلاق كتـاب ســليم ، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصــيرفي أبو سمينة) الكذاب المشهور ، و (احمد بن هلال العبرتـائي) الغـالي الملعون ، وقد قال ابن الغضـائري :" كـان أصـحابنا يقولـون : ان سليماً لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضـوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا " . [326] وقد ضعّف الشـيخ المفيد (كتـاب سـليم) وقـال:" انه غـير موثـوق به ولا يجـوز العمل على أكــثره ، وقد حصل فيه تخليط وتــدليس ، فينبغي للمتــدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفــزع الى العلمــاء فيما تضـمنه من الأحــاديث ليوقفــوه على الصـحيح منها والفاسد". [327] وانتقد الشـيخ المفيـدُ : الصـدوقَ ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعـزى ذلك الى منهج الصـدوق الأخبـاري ، وقـال عنـه:" انه على مـذهب أصـحاب الحـديث، في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" .[328]

ومن هنا فقد اعترض الزيدية على الامامية وقالوا:" ان الرواية الـتي دلّت على ان الأئمة إثنا عشر، قــولٌ أحدثه الامامية قريبــاً، وولّدوا فيه أحاديث كاذبة" . واستشهدوا على ذلك بتفرق الشـيعة بعد وفـاة كل إمـام الى عـدة فـرق وعـدم معـرفتهم للإمـام بعد الإمام ، وحـدوث البـداء في إسـماعيل ومحمد بن علي، وجلـوس عبد الله الأفطح للإمامــة، وإقبــال الشــيعة اليه، وحــيرتهم بعد

---

325 - لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب (نقد الأحاديث الشيعية والسنية الواردة حول الإثني عشرية) للمؤلف ، والموجود على شبكة المعلوماتية (الانترنت) في موقع الكاتب. www.alkatib.co.uk

326 - الحلي، الخلاصة، ص 83

327 - المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

328 - المصدر نفسه، ص 242

امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم الى نفسه ، ومــوت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام .[329]

وقد نقل الصدوق اتهاماتهم للامامية بإحداث النظرية (الاثـني عشرية) في وقت متأخر ، ولم ينفِ التهمة ولم يــردّ عليها ، وإنما برر ذلك بـالقول: " ان الامامية لم يقولـوا : ان جميع الشـيعة بما فيهم زرارة كـانوا يعرفـون الأئمة الاثـني عشر" ثم انتبه الصـدوق الى منزلة زرارة وعدم إمكانية جهله بأي حديث من هــذا القبيل ، وهو اعظم تلامذة الإمـامين البـاقر والصـادق ، فـتراجع عن كلامه وقــال باحتمــال علم زرارة بالحــديث وإخفــاءه للتقية ، ثم عــاد فتراجع عن هذا الاحتمال وقال:" ان الكاظم قد اسـتوهبه من ربه لجهله بالإمام ، لأن الشاك فيه على غير دين الله ".[330]

وهذا ما يناقض دعوى الخزاز في (كفاية الأثر) والطوسي في (الغيبــة) **بتــواتر** أحـاديث (الاثـني عشـرية) عن طريق الشـيعة، ويثبت أن لا أسـاس لها من الصـحة ، في الأجيـال الأولى، وخاصة في عهود الأئمة من آل البيت (ع) ، حيث لم يكن يوجد لها أي أثر ، خاصة وان الطوسي لم يذكر الكتب الشيعية القديمة التي زعم أنها تتحدث عن (الاثني عشـرية). وقد تهـرب الخـزاز من مناقشة تهمة الوضع المتـــأخر ، وحـــاول ان ينفي تهمة الوضع من قبل الصـحابة والتـابعين وأهل الـبيت.[331] في حين ان التهمة لم تكن موجهة الى الصـــحابة أو أهل الـــبيت ، وإنما الى بعض الـــرواة المتأخرين الـذين اختلقـوا (كتـاب سـليم) في عصر الحـيرة ، من أمثال: أبو سمينة و العبرتائي وعلي بن إبراهيم القمي.

أين الدلالة؟

هذا وان معظم الأحـاديث الـتي تتحـدث عن حصر الأئمة في اثني عشر، وكذلك جميع الأحـاديث الـواردة عن طريق السـنة، لا تذكر أسماء الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بالتفصيل.. وان الأحاديث السنية بالذات لا تحصرهم في اثني عشر ، وإنما تشير الى وقـوع الهرج بعد الثـاني عشر من الخلفـاء، كما في رواية الطوسي عن

---

[329] - الصدوق، إكمال الدين، ص 75 – 76

[330] - المصدر نفسه، ص 76

[331] - الخزاز ، كفاية الأثر، ص293

جابر بن سمرة. أو تتحدث عن النصر للـدين أو لأهل الـدين حـتى مضي اثني عشر خليفة .[332]

ولو أخذنا بنظرية الشيعة الامامية الفطحية، الذين لا يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة ، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمـــام الثـــاني عشـــر، بعد الإقـــرار بإمامة عبد الله الأفطح بن الصادق ، أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي ، الذي اعترف به قسم من الامامية .

إذن .. فـان الاسـتدلال بأحـاديث (الاثـني عشـرية) العامة والغامضة والضـعيفة ، دون وجـود دليل علمي أو شـرعي، على ولادة (محمد بن الحسن العسكري) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين .. وليس استدلالا علميا قاطعا..

(لا بد من إمام حي ظاهر يُعرف!)

أما الدليل النقلي الأخير، القائل بضرورة وجود الإمام في كل عصر، وعدم جـواز خلو الأرض من حجـة.. فهو دليل ينقض نفسه بنفسه ، إذ ما معنى الإمـام والحجة ؟ وما الفائـدة منهما ؟ أ ليس لهداية النـاس وإدارة المجتمع وتنفيذ الأحكـام الشـرعية؟ فكيف يمكن للإمام الغائب ، على فرض وجوده ، ان يقوم بكل ذلـك؟ .. وإذا كـان الإمـام الغـائب يقـوم بمهمة الإمامة والحجية ، فلمـاذا شعر الفقهاء بالحاجة الى الإمام والحجة في عصر الغيبة ؟

وإذا كان الهدف من وجوده هو إدارة الكـون كما يقـول بعض الغلاة ، فـان الله سـبحانه وتعـالى لديه ملائكة كثـيرون يقومـون بذلك..

وقد رد الإمـام علي بن موسى الرضا ، على الواقفية الـذين قالوا بغيبة أبيه (الإمـام الكـاظم) : بأنه لا بد من أمـام حي ظـاهر يعرفه الناس ويرجعون اليه ! وقـال:" ان الحجة لا تقـوم لله على خلقه إلا بإمـام حيّ يُعـرف" و" من مـات بغـير إمـام مـات ميتة جاهلية.. إمام حيّ يعرفه.. وقد قـال رسـول الله (ص): من مـات وليس له إمـام يسـمع له ويطيع مـات ميتة جاهلية" .[333] وقـال الإمــام الرضا لأحد الواقفيــة:" مَن مــات وليس عليه أمــام حي

---

[332] - الطوسي، الغيبة، ص 88 و 89 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 274

[333] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 177 ، والحميري، قرب الإسناد، ص 203

ظاهر، مات ميتة جاهلية ، فسـأله مستوضـحا ومركـزا على كلمة "إمام حي" فأكد له مرة أخرى :"إمام حيّ".[334]

إن منشأ هـذه الفكـرة ، هي المقدمة الأولى العقلية لنظرية الإمامة ، والمقصــود منها : ضــرورة وجــود عمــوم الإمــام (أي الرئيس) في الأرض ، وعـدم جـواز بقـاء المجتمع بلا حكومة ، أية حكومة وأي أمـام .. وإذا كـانت قد تطـورت الى ضـرورة وجــود (الإمــام المعصــوم المعين من قبل اللــه) فــان الإصــرار عليها والاســتنتاج منها : وجــود (الإمــام محمد بن الحسن العســكري) واسـتمرار حياته الى اليـوم ، هو أيضا نـوع من الافـتراض والظن والتخمين . فـأين هو اليـوم ذلك الإمـام المعلم الهـادي والمطبق لأحكام الله الذي يحافظ على الشريعة من الزيادة والنقصان؟

وحتى لو صحت تلك الأحاديث فقد يكون الإمام شخصا آخر .. إذا لم يكن المقصــود به مطلق الإمــام أو مطلق الحجة والعــالم بأحكام الدين .

المبحث الرابع

نقد الدليل التاريخي

المطلب الأول: تناقض الروايات

اعتقد ان القارئ العادي لا يحتـاج الى ان يتجشم عنـاء درس علم الرواية والدراية حتى يقيّم تلك الروايات "التاريخية" الـواردة حول مولد (الإمام محمد بن الحسن العسـكري) أو ان يكـون من العلماء المختصين في التاريخ.. فـان المـؤلفين الـذين أوردوا تلك الروايات في كتبهم، أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على هكـذا روايات ضعيفة، وقالوا في البداية:" إننا نثبت وجود (الإمام الثاني عشر) بـالطرق العقلية (أو الفلسـفية أو الاعتبارية أو النظرية) ، ولســنا بحاجة الى الروايــات التاريخية ، وإنما نــأتي بها من بــاب الإســناد والتعضـيد والتأييد" . وألقــوا عن أنفســهم عبأ المناقشة العلمية لتلك الروايات والتأكد من سندها والنظر الى متنها.

واعتقد انهم كانوا يوردونها من باب (الغريق يتشبث بكل قشة) وإلا فانهم اعرف الناس بضعفها وهزالها.. ولو كـانت فرقة أخـرى تستشـهد بهكـذا روايـات على وجــود أئمة لها ، أو أشــخاص من

---

334 - المصدر نفسه

البشر .. لسخروا منها ، واستهزءوا بعقولها ، واتهموها بمخالفة المنطق والعقل والظاهر.. كما فعل متكلمو الفرقة الاثني عشرية ، في مناقشتهم لفريق من الشيعة الامامية الفطحية ، الذين ادعوا وجود ولد مكتوم للإمام عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق ، وقالوا : ان اسمه محمد وانه المهدي المنتظر ، وزعموا ولادته في السر واختباءه في اليمن.. وذلك اعتمادا على مبدأ ضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب، وعدم جواز انتقالها الى أخوين بعد الحسن والحسين.. وقال الشيعة الاثنا عشرية عن ذلك الفريق من الشيعة الفطحية: انهم اخترعوا وجود شخص وهمي لا وجود له هو :(الإمام المهدي محمد بن عبد الله الأفطح) نتيجة لوصولهم الى طريق مسدود .

ان من يطلع على التراث الشيعي العلمي الضخم في مجال الرواية والدراية ، ويرى اعتناء العلماء، منذ القرون الأولى ، بتقييم الرواة ودراسة الأحاديث وغربلتها وتمييز القوي من الضعيف.. يدرك مدى الأهمية التي يوليها العلماء الشيعة لبناء الأحكام الشرعية على أسس علمية متينة ، وعدم قبولهم ببناء مسائل الدين على الأوهام والفرضيات والإشاعات والأساطير. ولكن المراقب المحايد يصاب بالدهشة لإهمال العلماء طوال التاريخ لدراسة الروايات التاريخية الواردة حول إثبات ولادة ووجود (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) واعتمادهم في ذلك على قاعدة ما أنزل الله بها من سلطان ، تقول:" الضعيف يقوي بعضه بعضا" ، واعتبار مسألة الولادة والوجود أمراً مفروغاً منه مسَلّماً لا يحتاج الى مراجعة أو نقاش.. وهذا ما أدى بهم الى ترديد تلك الروايات بلا تمعن ولا تفكير.. تماما كما كان يفعل غلاة الاخباريين.

ومن المعروف أن الأخباريين الأوائل كانوا يتلقفون كل رواية بلا دراسة ولا تمحيص .. ثم تطوروا فأخذوا يميزون بين الروايات. ثم ولدت الحركة الأصولية التي راحت تقسم الأحاديث الى صحيح وحسن وقوي وضعيف.. إلا ان هذا التطور لم يشمل الروايات التاريخية الواردة حول موضوع (ولادة الإمام الثاني عشر) حيث نرى الشيخ الطوسي الذي ألف (الفهرست) و (الرجال) في علم الرجال ، ينقل تلك الروايات عن رجال يضعفهم في كتبه ، وذلك بسبب الحاجة الى تلك الروايات لبناء نظريات كلامية معينة.

لقد انفق محقق كبير معاصر مثل السيد مرتضى العسكري ، سـنوات طويلة من عمـره ، لكي يثبت في مجلـدين أو ثلاثـة: ان عبد الله بن سـبأ أسـطورة وهمية، اختلقها بعض المـؤرخين لكي يتهم الشـيعة بأخذ نظرية الوصـية في الإمامة من الإسـرائيليين. وبـذل السـيد العسـكري جهـودا مضـنية ودرس عشـرات الكتب التاريخية ، لكي ينفي قصة وجـــود عبد الله بن ســـبأ ودوره في الفكر الشيعي ، ولكنه لم يبذل واحـدا بالمائـة أو بـالألف من تلك الجهود ليبحث حقيقة (وجود الإمـام الثـاني عشـر) أو يـدرس تلك الروايات التي تتحـدث عن ولادتـه.. ولم يتوقف عنـدها في كتـاب من كتبه ، وهو الــذي اكتشف وجــود (مائة وخمســين صــحابي

بعد كل ذلك.. يمكنـني القـول بعـدم وجـود قضـية مهملة أو معرَض عنها في التراث الشيعي ، كقضية (وجـود الإمـام المهـدي وولادته) ولا توجد قضية خارج البحث والاجتهاد مثل تلك القضية.. وعنــدما قمت بدراســتها بالصــدفة ، أو بــالأحرى بتوفيق من الله تعـــالى ، وعرضت نتيجة دراســـتي على العلمـــاء والمجتهـــدين والمفكرين لأكثر من خمسة أعوام ، وجـدت الكثـير منهم يتهـرب من قراءة الدراسة ويمتعض نفسـيا من مجـرد البحث فيها ، كأنها تحاول ان توقضه من الاستغراق في حلم جميل.. وقد تأكدت من وجود حالة نفسية عقائدية تحــول دون ممارسة البحث العلمي أو نقد تلك الروايات التاريخية ..

ان بعض المثقفين من عامة النـاس يتلـذذ بنقد عقائد الفـرق الأخرى ، والاسـتهزاء برجالها الضـعاف الوضـاعين، ورواياتها غـير المعقولة ، ولكنه عندما يواجه قضـية مشـابهة تخص طائفته، فانه يغمض عينيه، ويتـــذرع بالجهل وعـــدم الاختصـــاص، ويـــرفض ان يشــغل عقله قليلا ، ويفضل ان ينــام على ما ورثه من خرافــات وأساطير.

وقبل ان نناقش تلك الروايات "التاريخية" متنا وسنداً.. ينبغي ان نشــير الى ان هــذه الروايــات لم تكن معروفة في فــترة ما يســمى بـــ :(الغيبة الصــغرى) حيث لم ينقلها المؤلفــون الــذين اعتقدوا بوجود الإمام الثـاني عشر، وكتبـوا حـول ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كـالنوبختي في (فـرق الشـيعة) وسعد بن عبد الله الاشعري القمي في (المقالات والفرق) وعلي بن بابويه الصدوق في (الإمامة والتبصرة من الحيرة) ومحمد بن أبى زينب النعماني في :(الغيبة) وحتى الشيخ الكليني الذي حاول ان يجمع أية قصة أو رواية حــول الموضــوع ، وذكر قصة الرجل

الهنـدي (سـعيد بن أبى غـانم) الـذي سـافر من كشـمير بحثا عن الإمــام المهــدي ، ولكنه لم يــذكر كثــيرا من تلك القصص الــتي سجلها من بعده بعشرات السنين، الشيخ محمد بن علي الصدوق في :(إكمال الدين) أو الشـيخ المفيد في :(الإرشـاد) و(الفصـول المختارة) أو الشيخ الطوسي في (الغيبة).

ومن المعروف ان الشيخ الصدوق (الابن) جاء بعد حوالي مائة سنة من وفاة الإمام العسكري .. وان الشيخ الطوسي تـوفي بعد قـرنين من ذلك التـاريخ.. ولكنهما راحا يسـجلان كل ما يسـمعان من حكايات وإشاعات وأسـاطير تتعلق بـولادة (محمد بن الحسن العسـكري) ، ويرسـلان أو ينقلان عن عـدد من الغلاة والضـعاف والمجاهيل والمختلقين .

وكما رأينا فقد كـانت تلك "الأدلة التاريخية" تختلف فيما بينها اختلافا فاحشا وكبيرا بدءا من تحديد هوية أم (محمد بن الحسـن) المفترضة ، ومروراً بتاريخ ولادته ، وانتهاء بـأدق التفاصـيل.. حيث اختلفت في اسم والدته بين الجارية نـــــرجس ، أو سوسن ، أو صقيل ، أو خمط ، أو ريحانة ، أو مليكة، أو الحرة: مـريم بنت زيد العلوية ، وأنها جارية ولدت في بيت بعض أخوات الإمام الهادي .. أو اشتريت من سوق الرقيق في بغداد..

واختلفت تلك الروايـات في تحديد تـاريخ الـولادة في اليـوم والشهر والسنة.. واختلفت تبعا لذلك في تحديد عمـره عند وفـاة أبيه بين سنتين أو ثماني سنوات.

واختلفت في طريقة الحمل في الــرحم أم في الجنب ، وفي الولادة من الفرج أم من الفخذ!

واختلفت الروايات في تحديد لونه بين البياض أو السمرة .

واختلفت في طريقة نمــوه بين الطريقة العادية المتعارفة، والقول بأنه كـان يبـدو عند وفـاة أبيه بهيئة صـبي ، وبين الطريقة اللاطبيعية .. واختلفت في هــذه الطريقة بين النمو الســريع في اليــوم مثل النمو خلال ســنة اعتيادية ، أو النمو في اليــوم مثل النمو في أسـبوع .. والنمو في الأسـبوع مثل النمو خلال شـهر.. والنمو في شهر مثل النمو خلال سنة. وبنـاء على ذلك فانه كـان يبدو قبل وفاة أبيه بهيئة رجل كبـير قد يبلغ سـبعين عامـا.. بحيث

لم تتعـرف عليه عمته حكيمة واسـتغربت من أمر الإمـام الحسن لها بالجلوس بين يديه.

واختلفت تلك الروايات، في أمر التكتم عليه.. فقـالت روايـة: ان حكيمة ودعت الإمام الحسن في أعقاب ولادة ابنه، وانصرفت الى منزلها ، وعنــدما اشــتاقت له بعد ثلاثة أيــام رجعت ففتشت عنه في غرفته فلم تجد له أثرا ولا سمعت له ذكـرا ، فكـرهت ان تســأل ودخلت على أبى محمد فبــدأها بــالقول: "هو يا عمة في كنف الله ، أحــرزه وســتره حــتى يــأذن الله له، فــإذا غيَّب الله شخصي وتوفاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقـاة منهم، وليكن عندك مسـتوراً وعنـدهم مكتوماً ، فـان ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يـراه أحد حـتى يقـدم له جبرائيل فرسه" .

وقالت رواية أخرى: ان حكيمة كانت تشـاهد ابن الحسن كل أربعين يوما ، وإنها لم تزل تراه الى ان اصبح رجلا .

وقالت روايات أخرى : ان الإمام الحسن العسكري أعلن عن ولادة ابنه، وأرسل الى بعض أصـــحابه بكبش ليعقـــوا عنه ، وانه عرضه على مجموعة من أصـــــــــحابه ، وانه كتب الى احمد بن إسحاق القمي بذلك.. وانه أخرج ابنه وأراه إياه عند زيارته له في (سر من رأى) وان عددا من الخدم والأصحاب شاهدوا ، بالصدفة أو بالعمد، ابن الإمــام الحسن ، وهو جــالس في غرفة أو يمشي في الدار .

واختلفت الروايات بين ذكر الخوف من السلطة للقبض عليه، وبين الاطمئنـان التـام الى حد الخـروج للصـلاة على جثمـان أبيه أمام الناس، واستقبال الوفود في دار أبيه.

واختلفت الروايات حـول علم الأصـحاب والخـدم بوجـود ابن للإمام العسكري ، فقال بعضها: بأن الخدم والأصـحاب المقــربين كـانوا يعلمـون بوجـوده وانهم قد شـاهدوه .. وقـال بعضـها: انهم فوجئوا به عند ظهوره للصلاة على جثمـان أبيه وعـدم معرفته إلا بالعلامات العديدة.

واختلفت الروايات حول نضجه العقلي ، فقال بعضها: انه سجد لحظة ولادته وتشـهد بالشـهادتين وصـلى وسـلم على آبائه وحـداً

واحداً وقرأ آيات من القرآن المجيد.. وقـال بعضـها: انه كـان وهو غلام يلعب برمانة ذهبية ويصد أباه عن كتابة ما يريد!..

رواية حكيمة

تقول رواية الصدوق عن حكيمة: ان نرجس لم يكن بها أي أثر للحمل، وإنها لم تكن تعرف ذلك. وقد استغربت عنـدما قـالت لها حكيمة : أنها ستلد تلك الليلة ، وقالت يا مولاتي ما أرى شـيئا من هذا !.. وان حكيمة نفسها استغربت عندما أخبرها الإمـام الحسن بـولادة ابن له في ليلة النصف من شـعبان وتساءلت : من أمـه؟ وعـدما قـال لها :(نـرجس) قـالت: جعلـني الله فـداك ما بها أثـر. وعنـــدما اقـــترب الفجر ولم يظهر أي أثر دخل الشك الى قلب حكيمة .

وتقـول الروايـة: ان حكيمة أقبلت تقـرأ القـرآن على نـرجس، فأجابها الجـنين من بطن أمه ، يقــرأ مثلما تقـرأ ، وسـلم عليها ، مما أثار فزعها. ومع ذلك تقـول الروايـة: ان حكيمة أخـذتها فـترة ولم تشـهد عملية الـولادة ، وفي رواية أخـرى: ان نــرجس غُيّبت عن حكيمة ، فلم ترها ، كأنه ضُرب بينها وبينها حجـاب ، مما أثـار استغرابها ودفعها الى الصراخ واللجوء الى أبى محمد.

ولا تذكر رواية الصدوق ما ذكره الطوسي في إحـدى رواياته من: ان حكيمة وجــــدت على ذراع الوليد مكتوبا :" جــــاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا" الإسـراء 81 ، بـالرغم من تقدم الصدوق على الطوسي بحـوالي مائة عـام ، ولكن الصـدوق ينفرد بذكر الطيور التي حلقت فـوق رأس الوليد ، وقـول الحسن لطير منها : احمله واحفظه ورده الينا في كل أربعين يوما.

ويتفق الاثنان (الصدوق والطوسي) على تكلم الوليد والتشهد بالشهادتين والصـلاة على النـبي والأئمة السـابقين والسـلام على أمه وأبيه ، كما يتفق الاثنــان أيضا: على ان الوليد غــاب بعد ذلك واختفى ، وان عمته لم تجد له أثرا ولا سمعت له ذكرا.

وكل هذه الأمور غريبة لم تعرف عن رسول الله (ص) ولا عن أحد من الأئمة الســـــابقين (ع) .. وهي من مقـــــولات الغلاة وأسـاطيرهم ، ولا علاقة لها بالشـيعة الجعفرية أو الامامية الـذين

جعلوا النص طريقا للتعرف على الإمام الجديد ، ولم يذكروا شيئا من تلك الأمور الخارقة اللاطبيعية.

وقد ذكر الله عز وجل قصة تكلم النبي عيسى (ع) في المهد أمـــام النـــاس بصـــورة إعجازية لكي ينفي عن أمه تهمة الزنا ، ويثبت ولادته بصـورة غـير طبيعية ، وليست هنـاك حاجة لإحـداث المعجزة والأمور الخارقة للعادة مع ولادة (الإمام الثـاني عشـر) . وإذا كان لا بد للمعجزة ان تحدث .. فلا بد ان تحدث أمام النــاس لكي يطلعوا عليها ويؤمنوا برسالتها.. ولا يمكن ان تحدث بصــورة سرية لا يطلع عليها أحد .. فما الفائدة منها؟

لقد كان هناك شك في أساس ولادة ابن للحسن العسكري ، وإذا كـانت هنـاك إمكانية لحـدوث أمر خـارق للعـادة ، فانه كـان يمكن ان يحـدث لإثبـات أمر الـولادة .. وحفظ الوليد من الســوء مثلا.. وهذا ما لم يحدث.

ويلاحظ ان جميع الروايات التي تتحدث عن ولادته سراً وغيبته بين أجنحة الطيـور الـتي هي الملائكة ، لم تشر الى وجـود خـوف من السلطة ، والى انه المهـدي المنتظـر.. ولو كـان قد ولد حقـاً لكان من الأفضل ان يعلن الإمام العسكري عن ولادته بحيث يراه جميع النـاس ويتأكـدوا من وجــوده وخلافته لأبيــه.. وإذا حــاولت الســـلطة العباســـية ان تلقي القبض عليه أو تقتله فانه يختفي بقدرة الله وبصورة إعجازية..

وتقــول الرواية المنســوبة الى حكيمــة: ان الإمــام الحسن العسكري كـان يعلم بصـورة غيبية بجنس الجـنين وانه ذكر .. كما تقـول : انه كـان يعلم غيبيا بما تفكر به أخته حكيمة الـتي شـكت في قوله ، وقال لها : لا تعجلي يا عمة. كما تشير الى علم الإمام الحسن باقتراب اجله وقوله لأخته :"عن قريب تفقدوني" وكـذلك علم الإمـام المهـدي بـالغيب وإجابته على أسـئلة حكيمة قبل ان تبــدأ بها .. وكل هــذه أمــور تخــالف عقيــدة الشــيعة الجعفرية والامامية وتتفق مع نظريـات الغلاة والمنحـرفين عن أهل الـبيت، إذ ان هناك حديث مشهور لدى الشيعة عن أئمتهم : يأمر بضــرب أي حديث يتعارض مع القرآن عرض الجدار .

إذن فان كل هـذه التسـاؤلات والإشـكاليات والمآخذ تضـعف الرواية المنســوبة الى حكيمة ، وتســقطها عن الحجية والوثــوق وتقرب من كونها أسطورة حاكها الغلاة والمتطرفون.

رواية أبى الأديان البصري

وهي رواية انفرد بها الصدوق في :(إكمال الدين) عن رجل مختلق أو موهوم لم يـذكر اسـمه ولا اسم أبيه ولا عشـيرته :(أبو الأديان البصري) وقال انه أحد خدام الإمـام وحامل كتبه ورسـوله الى الأمصــار وجــامع أمواله.. ومع ذلك فلم يعرفه أحد ولم يشر الى وجــوده أي مــؤرخ آخــر. وبــالرغم من المكانة العالية الــتي يعطيها إياه الصدوق، لكي يسوّق كلامه، فان الراوي (أبا الأديان) يعترف في نفس الرواية: بـأن الإمـام العسـكري لم يخـبره بهوية الإمـام من بعـده ، وجهله بوجـود ابن للإمـام ، ويقـول أيضا: بـأن عامة الشـــيعة بما فيهم عقيد والســـمان (عثمـــان بن ســـعيد) والبصري نفسه عزوا جعفر بن علي وهنئوه ، ولم يكونوا يعرفون من هو الإمام بعد العسكري ، وأرادوا ان يصلوا خلف جعفر.

وتعتمد الرواية من بدايتها الى نهايتها على عنصر (علم الإمام بالغيب) حيث يقـول الـراوي في البدايـة: ان الإمـام الحسن قـال لـــه:" امضِ الى المـــدائن ، فانك ســـتغيب خمسة عشر يوما ، وتـدخل الى (سر من رأى) يـوم الخـامس عشر، وتسـمع الواعية في داري ، وتجــــدني على المغتسل". وكل ذلك من علم الغيب الـذي لا يعلمه إلا الله ، حيث يقـول القـرآن الكـريم:" وما تـدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تمـوت" (لقمـان 34).

وتقول الروايـة: ان الإمـام القـادم المجهـول سـوف يطـالب البصري ، دون ان يعرفه من قبل، بجواب كتب الإمـام العسـكري ، كما تقول : بأنه سوف يخـبر بما في الهميـان . وان صـبياً خـرج بعد تكفين العســكري ودفع جعفر وصـــلى على أبيه ، ثم قـــال للبصري: هات جوابات الكتب التي معك ، فدفعها اليه . وفي تلك الأثنــاء جــاء وفد من شــيعة قم والجبــال فســألوا عن الإمـــام العسكري فـأخبروهم بوفاته ، فقـالوا: من نعـزي؟ فأشـار النـاس الى جعفر بن علي ، فسلموا عليه وعزوه وهنئوه..

ولم يوضح البصـري لمـاذا لم يـدلهم هو الى الإمـام الجديـد؟ ولماذا لم يشر قادة الشيعة الذين صلوا ، لتوهم ، خلف الصــبي ، اليه ، إذا كان قد حدث ذلك حقاً و فعلاً ؟.

وعلى أي حال فان الراوي (أبا الأديان البصري) يقول: ان وفد قم لم يعترضـوا على تعـيين جعفر كإمـام بعد أخيه ، ولم يحتجـوا بضـرورة الوراثة العمودية ، وإنما قـالوا بـأن معهم كتباً وأمـوالا، وطلبـــوا من جعفر ان يخـــبر بصـــورة غيبية ممن هي الكتب والأموال.. فقـام جعفر ينفض أثوابه ويقـول: تريـدون منا ان نعلم الغيب؟!.. فخـــرج الخـــادم (؟) وقـــال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير مطلية ، فـدفعوا اليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام .

ولم يقل الصدوق في هـذه الروايـة: ان وفد قم عرفـوا هوية الإمـام أو رأوه أو التقـوا به . ولكنه يقـول في رواية أخـرى: ان الوفد سـار مع الخـادم ودخل على الإمـام القـائم وهو قاعد على سرير، كأنه فلقة قمر عليه ثيـاب خضر ، فسـلم الوفد عليه ، ورد عليهم السلام ، ثم قال: جملة المـال كـذا وكـذا.. حمل فلان كـذا وحمل فلان كذا.. ولم يـزل يصف حـتى وصف الجميع ، ثم وصف رحال الوفد وثيابه وما كان معه من الدواب.

وبالرغم من أن المسألة ليست عسيرة جدا .. حيث يمكن لأي شـخص ان ينـدس بين الوفد ويطلع على حاله، أو يتفق مع رئيس الوفد ويخـبر البقية بالتفاصـيل.. فـان رواية أبى الأديـان البصـري تعتــبر ذلك من علم الغيب ، وانه يشــكل دلالة على إمامة الرجل (أو الصـبي) القاعد على السـرير ، وإمامته ، دون ان تقـول كيف تعـــرف الوفد على هوية الرجل ، وهل قـــال لهم انه ابن الإمـــام العسكري ؟ أم لا ؟.

وكما هو واضح.. فان هذه الرواية لا تـذكر شـيئا عن الخـوف والإرهاب المحيط بالشيعة والإمـام الجديد ، بل تقـول ان الخليفة العباسي المعتمد، وقف الى جــانب الوفد في خلافهم مع جعفر، وانه أرسل لهم حرسا يحمـــــونهم في الطريق. وتنسى الرواية التي تقول : ان السلطات العباسية كبست دار الإمـام العسـكري وفتشته بحثا عن وجود ولد له.

وإذا كـان الإمـام فعلا خائفا ومتكتما ومسـتورا فلمـاذا يخـرج للصلاة على أبيه؟ ولماذا يجلس في بيته في سـامراء ، ويسـتقبل الوفود على مقربة من عيون السلطة؟

هذا وان المعـروف والثـابت تاريخيا ان أبا عيسى المتوكل هو الذي صلى على جثمان الإمام العسكري وشيعته عاصـمة الخلافة

(سّر من رأى) التي أغلقت أبوابها عن بكرة أبيها وضـجت بالبكـاء والعويل .

ويبدو ان هذه الحكاية قد نشأت في قم في مرحلة متقدمة ، لإثبــات وجــود خلف للإمــام العســكري .. قبل ان تتطــور وتنشأ نظرية مهدوية ذلك الخلـــف.. وذلك لأن مســـألة إثبـــات الخلف تختلف وتسبق زمنيا مسـألة إثبـات صـفة المهدوية له ، وقد كـان النـاس مشـغولين في البداية بإثبـات المسـألة الأولى ، ولم تنشأ المسألة الثانية (المهدوية) إلا في وقت متأخر بعد سـنين طويلة ، انطلاقا من حالة الغيبة وعــدم الوجــدان للإمــام ، فــاعتبر البعض ذلك علامة من علامـــات المهـــدي وقـــال : إذن فانه المهـــدي المنتظر.

ومن هنا فان واضعي الحكاية لم يأخذوا في حسبانهم الخوف من السلطات وتفتيش الشرطة عنه ، فتحدثوا عن خروج الصــبي للصلاة على أبيه ، واستقبال الوفود في داره.

وقد ذكرنا الى جانب تلك الرواية، روايتين أخريين، هما رواية إسماعيل بن علي النوبختي، الذي يقول: انه زار الإمام العسكري قبيل ساعة من وفاته ، فطلب الإمام من خادمه (عقيــد) ان يأتيه بابنه ، وانه جـاء به اليه، فقـال لـه:" أبشر يا بـني فـأنت صـاحب الزمــان"... وروايــة: المجموعة من الأصــحاب الــذين قــالوا: ان الإمام العسكري عرض عليهم ابنه وقـال لهم:" هـذا إمـامكم من بعدي وخليفتي عليكم.. أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا ".

والرواية الأولى تتناقض مع رواية أبى الأديان البصـري، الـذي يقول فيها: ان (عقيـد) كـان يجهل وجـود ولد للإمـام العسـكري ، ولذلك طلب من أخيه جعفر ان يصــلي عليه ، بينما تقــول الرواية الأولى: ان (عقيــد) جــاء بالصــبي لأبيه أمــام إســماعيل بن علي النوبختي.

ومن الجــدير بالــذكر ان النوبخــتي لا يشــير بنفسه الى هــذه القصة ويقول: انه عرف بوجود ابن للحسن عن طريق الاستدلال النظري.[335]

---

335 - كما ينقل عنه الصــدوق في ، إكمــال الــدين، ص 92 عن كتــاب النوبختي:(التنبيه).

أما الرواية الثانية فتتناقض أيضا مع رواية أبى الأديان البصري التي تنفي معرفة كبار الأصحاب بوجود ابن للحسن العسكري ، بما فيهم السمان (عثمان بن سعيد العمري) و(حاجز الوشاء) الذي تساءل من جعفر : من الصبي لنقيم عليه الحجة؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا اعرفه!

ومن المعروف .. ان السمان العمري وحاجز الوشاء ادعيا (النيابة الخاصة والوكالة عن الحجة ابن الحسن) بعد ذلك ، فمتى رأوه؟ ومتى اخذوا الوكالة منه؟

وهناك نقطة أخرى: هي ان الرواية الثانية تقول: ان الإمام العسكري قال لأصحابه بعد ان عرض عليهم ابنه:" أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا" .. فكيف ظهر بعد ذلك وصلى على جثمان أبيه واستقبل الوفود؟

وكل هذه الروايات تتناقض مع الرواية الأولى المروية عن حكيمة، والتي يقول فيها الإمام العسكري: إنها لن تراه بعد يوم ولادته ، حيث تعود كل رواية فتنقض الرواية السابقة.

وهذا ما يدل على ان الفريق الذي اخترع وجود ولد للإمام العسكري ، خلافا للظاهر والحقيقة.. وبناء على مقولات فلسفية واهية، كعدم جواز انتقال الإمامة الى أخوين بعد الحسن والحسين وضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.. ان هذا الفريق راح يختلق القصص والحكايات والأساطير عن مولد ابن الحسن ، واللقاء به في حياة أبيه ومشاهدته عند وفاته.

ولما كانت الروايات مختلقة ، ولا تعبر عن الحقيقة ، ومصنوعة من قبل رجال مختلفين، فقد جاءت متناقضة ومختلفة في أدق التفاصيل ، وتعبر كل واحدة منها عن أفكار واضعها النفسية الخاصة ، كما جاءت محفوفة بالمعاجز والأمور الخارقة للعادة ، ومنطوية على دعوى علم الأئمة بالغيب ، وهذه دعوى تناقض القرآن الكريم الذي يصرح:" قل لا يعلم مَن في السماوات والأرض الغيب إلا الله" النمل 65 ، ويقول:" عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول" الجن 27 .. وتحاول تفسير ظاهرة الغيبة المحيرة والمناقضة لنظرية الإمامة الإلهية واللطف الإلهي .

ان الرواية التاريخية الظاهرية تقــول: ان الإمــام الحسن العســكري لم يشر الى وجــود ولد له ، وعنــدما أحسّ بالوفــاة اســـتدعى القاضي ابن أبى الشـــوارب ، وأوصى أمامه بأمواله وممتلكاته الى أمه (حــديث) ، وقد ادعت ، بعد وفاتــه، جارية له اســمها (نــرجس) بأنها حامل منه ، أملا في عتقها ، لأنها كــانت ستصـبح (أم ولـد) وتعتق من نصـيب ابنها .. وربما كـانت الـدورة الشـهرية قد تـأخرت عليها فظنت نفسـها أنها حامـل.. وقد أرجأ القاضي قسـمة التركة واهتم بالجارية ، ونقلها الى نسـاء الخليفة المعتمد ، وأمر باستبرائها ، أي التحقق من ادعائها الحمل.. ثم لم يتبين عليها أي شيء .

وكان بعض الشيعة الامامية الذين لم يقولوا بإمامة جعفر بن علي ، قد أصـيبوا بأزمة فكرية وحـيرة، فتشـبث بعضـهم بــ : " قشة نرجس" ، وقال: إنها ولدت بعد ذلك.. وقال بعضهم: إنها لم تلد ولم نـــرَ ذلك .. ولكنها ســـوف تلد عنـــدما يـــأذن الله في المســتقبل ، وان الجــنين بقى في بطنها مــدة طويلة بصــورة إعجازية.. وقال بعض آخر: إنها ادعت الحمل للتغطية على ولـدها الذي ولدته من قبل.. وقال آخرون أقوالاً أخرى مشابهة .

وراح الذين ادعوا وجود الولد من قبل ، ينسـجون الإشـاعات والأساطير، بصورة سرية خافتة، ليضلوا بها البسـطاء ويسـتفيدوا من ورائها الأموال.. ولم يصدق العلمـاء والمحققـون الأوائل بتلك الإشـاعات.. ثم جـاء الشـيخ الصـدوق بعد مائة عـام ، والشـيخ الطوسي بعد مائتي عام ، ليسجلوا تلك القصص والأساطير، دون ان يحققوا بمصادرها وإسـنادها ، ودون ان يعتمـدوا عليها كثـيرا.. وكـانوا يشـعرون بضـعفها وهزالها، فقـالوا في البداية : إننا نعتمد على الدليل العقلي (الفلسفي) لإثبات وجود (ابن الحسن) ونـأتي بتلك القصص من باب المعاضدة والتأييد..

ثم جـاء من بعـدهم من المـؤرخين (الاخبـاريين) فنقلـوا تلك القصص الأســـطورية كأنها حقـــائق تاريخية لا تقبل المناقشة والحوار.

ومع ان الله سبحانه وتعـالى يطالبنا بالأخذ بالرواية الظاهرية النافية لوجــود ولد للإمــام الحسن العســكري ، ولا يحاســبنا ولا يســألنا بالأخذ بالرواية الســرية الباطنية المتناقضة والمحفوفة بالخرافات والأساطير ..

وإننا لسنا بعد ذلك ، وبعد ما تبين ما فيها من ضـعف كبـير، بحاجة الى دراسة سـندها ومعرفة الـرواة النـاقلين لهـا.. فإننا بـالرغم من ذلك سـوف نلقي نظـرة على سـندها، لننظر من أين جـاء بها الأموي المؤرخـون ، ولـنزداد معرفة ويقينا بضـعف هـذه الروايات الـتي لعبت دورا كبـيرا في التـاريخ الإسـلامي وفي بنـاء الفكر السياسي الشيعي عبر التاريخ.

المطلب الثاني: **تقييم سند الروايات التاريخية**

قبل ان ندخل في دراسة سند تلك الروايات التاريخية ، لا بد ان نشير الى ان بعض العلماء الذين كتبوا حول (الإمـام المهـدي) أهملوا تلك الروايات ولم يعتمدوا عليها ، كما فعل الشهيد السـيد محمد بـاقر الصـدر في كتابه (بحث حـول المهـدي) ولكنه اعتمد على دعوى (النواب الأربعة) الـذين ادعـوا النيابة الخاصة والوكالة عن (الإمام المهدي) واستبعد ان يكذب هؤلاء في دعـواهم اللقـاء بالإمام ، وبـنى، بنـاء على ذلك ، على صـحة وجـود وولادة الإمـام المهـدي ، وراح يفسر بعد ذلك ، فلسـفة الغيبة، ويثبت إمكانية العمر الطويل.

وهناك من يعتمد على المشايخ الكبار الذين رووا تلك الروايات ، كالشيخ الكليني والصدوق والطوسي والمفيد، ويسـتبعد كـذبهم أو اعتمادهم على رواة ضعاف وروايات ضعيفة.

وبالرغم من وجـود عمليـات تزوير وتلاعب في الكتب القديمة والحديثة ، فلم أرَ من يتوقف لكي يـدرس تلك الكتب ويتأكد من صحتها..

وعموما اعتقد : ان من الضروري في البحث العلمي التأكد :

أولا: من صحة نسـبة الكتب التاريخية المعروفة كـ: (الغيبـة) و(إكمال الدين) و(الإرشـاد) و(الفصـول المختـارة) الى أصـحابها، والتأكد من عدم إضافة أو نقصان أو تحوير أي شيء منها .. وهذا أمر عسـير غـير ممكن.. حيث لا توجد في الـتراث الشـيعي من الكتب (الصحيحة) ، أي ما صح نسـبتها الى مؤلفيها ، سـوى كتب الحـديث الأربعة: (الكـافي، ومن لا يحضـره الفقيه، والتهـذيب، والاستبصار) التي رواها العلماء واحدا عن واحد.

ثم لا بد ثانيا: من دراسة مؤلفيها ومدى دقتهم وضبطهم . وهذا أمر ممكن وليس بعسير.

ثم لا بد من دراسة سلسلة الرواة الذين ينقلون عنهم ، والتأكد من وجودهم وصدقهم وضبطهم.. فان بعض الرواة لا وجود لهم ، أي انهم أشـخاص وهميـون مختلقـون ، وبعضـهم غلاة كـذابون وضـاعون ، وذلك حسـبما يقـول علمـاء الرجـال الشـيعة الامامية الاثنا عشـرية ، كالطوسي والنجاشي والكشي وابن الغضـائري وغيرهم.

وهناك بعض الرواة الذين اجمع علماء الرجال (الاماميون الاثنا عشـريون) على وثـاقتهم وصـدقهم والأخذ عنهم.. ولكن بقية الفـرق الامامية والشـيعية والإسـلامية لا تعـترف بـذلك، وتشك بصـدقهم ، وذلك كـالنواب الأربعة، وغـيرهم ممن ادعى رؤية (الإمام المهدي) واللقاء به واخذ الوكالة عنه.

وان أية دراسة لسـند الروايـات التاريخية، الـتي تثبت ولادة ووجود (الإمام المهدي) ، ينبغي ان تدرس الظـروف الموضـوعية المحيطة بهـؤلاء (النـواب) ، وتعيد النظر في وثـاقتهم وصـدقهم.. كما أعـاد الشـيعة النظر في كثـير من أصـحاب الإمـام الكـاظم ، الـذين وقفـوا عليه وقـالوا بغيبته ومهدويته ، رغم وثـاقتهم وصدقهم.. وتوقفـوا على الأقل في روايـاتهم الـتي يتحـدثون فيها عن استمرار حياة الإمام الكاظم.. بعد ان اتهموهم بجر النـار الى قرصـهم ، والاسـتفادة ماديا من دعـوى مهدوية الإمـام الكـاظم وغيبته واللقاء به.

وقد اعتـاد المؤرخـون والمؤلفـون عن (الإمـام المهـدي) ان يسلّموا بوثاقة (النواب الأربعة) ويصدقوا بروايـاتهم عن مشـاهدة (الإمام المهدي) واستلام (التواقيع) منه .. وهذا نـوع من الانحيـاز المسـبق والتسـليم الأعمى والتصـديق السـاذج ، لرجـال متهمين بـاختلاق القصة من أساسـها ، واسـتغلالها لتحقيق مكاسب مادية شخصية.

ولقد كـان الشك موجـودا في حيـاتهم.. حيث كـان الشـيعة يشـكون بصـدق دعـواهم في (النيابـة) ويتسـاءلون عن مصـير الأموال التي يجبونها باسم (الإمام المهـدي) ، وكـان بعض أدعيـاء النيابة يكذّب بعضا ، ويتهم كل فريق منهم الفريقَ الآخر بالـدجل والشعوذة.

ولا يوجد ما يثبت صحة دعوى (النواب الأربعـة) من بين اكـثر من عشرين شخصا كان يدعي (النيابة الخاصـة) في تلك الأيـام ، سـوى مجموعة إشـاعات عن قيـام النـواب بالمعـاجز وعلمهم بـالغيب ، وهـذه أمـور ذكرها المؤرخـون (الكليـني والصـدوق والطوسي والمفيـد) في كتبهم وصـدقوا حـدوثها بالنسـبة لبعض (النواب) ورفضوا تصديقها بالنسبة الى البعض الآخر.

وإذا رفضنا قبول حكايات المعاجز والعلم بالغيب ، التي ادعاها (النـواب الأربعـة) أو روّجها عنهم أنصـارهم.. فلا يبقى لـدينا ما نستدل به على صدقهم وتمييزهم عن سائر المـدعين الكـذابين ، لأن الجميع متهم بجر النار الى قرصه .

ومن هنا سوف ندرس سلسـلة رواة القصص التاريخية الـتي تتحـدث عن ولادة ووجـود ومشـاهدة (الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العسكري) دراسة محايدة ، ونعتمد أساساً على تضـعيف علماء الرجال الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية .. وإذا كـان لـدينا رأي خاص حول رجل معين فسوف نقدم أدلتنا الخاصة حوله.

رواية حكيمة

ينقل الصـدوق قصة ولادة (صـاحب الزمـان) عن محمد بن الحسن بن الوليـد، قـال: حـدثنا محمد بن يحـيى العطـار ، قـال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله ، قال: حدثني موسى بن محمد القاسم ، قال : حدثتني حكيمة...[336]

والحسين بن رزق الله ، شخص مجهول ، أو مختلق لا وجود له في تراجم الرجال ، أما موسى بن محمد فهو مهمل .

وفي بعض النسخ يوجد (الحسين بن عبيد الله) بـدلا من (أبو عبد الله الحسين) ، وهو من يطعن فيه النجاشي ويتهمه بالغلو.

وفي رواية أخرى ، ينقل الصدوق القصة عن الحسين بن احمد بن إدريس ، قال: حـدثنا أبى ، قـال: حـدثنا محمد بن إسـماعيل ، قال: حـدثني محمد بن إبـراهيم الكـوفي ، قـال: حـدثنا محمد بن عبد الله الطهوي ، عن حكيمة...

وتختلف النسخ الموجودة من (إكمال الدين) في اسم الطهوي ، ففي بعضـها: الظهـري ، وفي بعضـها الزهـري ، وفي بعضـها:

[336] - الصدوق ، إكمال الدين، ص 424

المطهري ، وفي بعضها: الطهـري.. ولا يوجد أي ذكر لهـذا الرجل في تـراجم الرجـال ، مما يحتمل اختلاقه من قبل بعض الـرواة ، وعلى أي حال .. فهو مجهول.

أما الشيخ الطوسي فينقل القصة في (الغيبة) عن عمة الإمام العسكري ، ويسميها (خديجة) بدلا من (حكيمة) .[337]

وينقل القصة مرة أخرى ، عن ابن أبى جيد ، عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الصـــفار محمد بن الحسن القمي، عن أبى عبد الله المطهري عن حكيمة،التي تـذكر ان اسم والـدة ابن الحسن (سوسن) وليس (نرجس) كما في رواية الصدوق.

وينقل القصة أيضا برواية ثالثة، عن ابن جيد ، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحـــيى العطـــار، عن محمد بن حمويه الـــرازي ، عن الحســـين بن رزق الله ، عن موسى بن محمد..

وفي رواية رابعة ، ينقلها الطوسي عن احمد بن علي الرازي ، عن محمد بن علي ، عن علي بن سـميع بن بنـان ، عن محمد بن علي بن أبى الـداري ، عن احمد بن محمد، عن احمد بن عبد الله ، عن احمد روح الاهـوازي ، عن محمد بن إبـراهيم ، عن حكيمة ، بمثل معنى الحديث الأول ، إلا انه قال: قـالت بعث اليّ أبو محمد ، ليلة النصف من رمضان ، وليس من شعبان.

وفي رواية خامسة ، ينقلها الطوسي عن احمد بن علي الـــرازي ، عن محمد بن علي ، عن حنظلة بن زكريا ، قـــال : حدثني الثقة عن محمد بن بلال عن حكيمة..

وفي رواية سادسة ، ينقلها الطوسي عن جماعة من الشيوخ ، عن حكيمة.

وفي هـذه الرواية الأخـيرة ، لا يـذكر الطوسي اسم أحد من الشيوخ الذين يرسلون الرواية الى حكيمة من دون ذكر أي سـند . وهذا ما يسقطها عن الحجية والاعتبار.

وفي الرواية التي قبلها لا يقول حمزة بن زكريا (الذي يضعفه النجاشـي) من هو (الثقـة) الـذي حدثـه؟.. أما محمد بن علي بن بلال ، فهو أحد أدعياء الوكالة عن المهدي ، وقد اختلف مع محمد

---

[337] - الطوسي ، الغيبة ، ص 138 - 146

بن عثمان العمـري . وأما احمد بن علي الـرازي ، فـان الطوسي نفسه يضـعفه في كتب الرجـال ، وكـذلك يضـعفه النجاشي وابن الغضائري ، ويتهموه بالغلو.

ومن هنا يتبين حال الرواية الرابعة ، التي ينقلها الطوسي عن احمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي) الـذي ينقلها عن مجهـول هو (احمد الاهوازي) .

أما الرواية الثالثة .. ففيها (محمد بن حمويه الـــرازي) وهو مجهول أيضا ، بالإضـافة الى (الحسـين بن رزق اللـه) المجهـول كذلك .

وفي الرواية الثانية يتبدل اسم (محمد بن عبد الله الطهـوي) الذي ذكره الصدوق الى (أبى عبد الله المطهري) .. وهو مجهـول في كلا الحالين .

أما الرواية الأولى فتقول عمة الإمام فيها : أنها لم تعاين مولد ابن الحسن ، وإنما سمعت بذلك خـبرا كتب به أبو محمد الى أمه في المدينة.

إذاً فـان رواية حكيمة عن مولد (ابن الحســن) يرويها المتـأخرون عن غلاة عن ضـــــــعاف عن مجاهيل عن مختلقين.. ولا يمكن الاعتماد عليها مطلقا.

رجل من أهل فارس

ينقل الكليني والصدوق والطوسي والصـدر ، قصة (رجل من أهل فـــارس) ذهب الى (ســّر من رأى) ولـــزم بـــاب أبى محمد الحسن العســكري يعمل مع الخــدم.. وشــاهد يوما غلاما ابيض ، فقال له الإمام الحسن :" هذا صاحبكم ".[338]

وهذه رواية ضعيفة جدا ، لا حاجة للتوقف عندها ، حيث لا تذكر اسم الـــراوي وتكتفي بـــالقول : انه (رجل من أهل فـــارس) ! .. وهذا أسلوب غير مقبول في الحديث مطلقا.

يعقوب بن منقوش

---

338 - الكليني ،الكافي، ج1 ، ص 329 ، والصدوق ، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي ، الغيبة، ص 140 ، والصدر، الغيبة، ص 285

وأما رواية يعقوب بن منقوش ، التي يقول فيها: انه سأل الإمام العسكري يوما : من صاحب هذا إعلان؟ فقال له: ارفع سترا مسبلا على باب بيت ، فخرج منه غلام خماسي فقال:" هذا صاحبكم". والتي ينقلها الصدوق عن أبى طالب المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي ، عن جعفر بن محمد بن مسعود ، عن أبيه محمد بن مسعود العياشي ، عن آدم البلخي ، عن علي بن الحسن بن هارون الدقاق ، عن جعفر بن محمد بن عبد الله بن القاسم ، عن يعقوب بن منقوش .. فهذه رواية ضعيفة جدا ..

أولا: لعدم وجود شخص باسم المظفر السمرقندي في تراجم الرجال.

وثانيا: لأن العياشي يروي عن الضعفاء كثيرا ، كما يقول النجاشي ، وهو يقول بتحريف القرآن في تفسيره بصراحة.

وثالثا: لقول آدم البلخي بالتفويض ، وهو من الغلاة الذين كانوا يقولون بأن الله خلق محمدا وفوّض اليه خلق الدنيا ، وهو الخلاق لما فيها ، ثم فوّض إعلان الى علي (راجع رجال النجاشي)

ورابعا: لإهمال الدقاق واختلاف اسم والده بين الحسن والحسين.

وخامسا: لمجهولية جعفر بن محمد بن عبد الله.

وسادسا لإهمال يعقوب بن منقوش ، واضطراب اسم والده بين منقوش ومنفوش ومنفوس .

عثمان بن سعيد العمري

أما الرواية التي ينقلها الصدوق في :(إكمال الدين) (6) والطوسي في (الغيبة) (7) عن جماعة فيهم عثمان بن سعيد العمري ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أولئك ، وقول الإمام لهم :" هذا إمامكم من بعدي".[339].. فان الصدوق والطوسي يرويانها عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، وهو كذاب شهير وضّاع للأحاديث ، يقول عنه ابن الغضائري:" كذاب متروك الحديث جملة ، وكان في مذهبه ارتفاع (غلو) ويروي عن الضعفاء والمجاهيل ، وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه.. روى في مولد القائم أعاجيب". ويقول عنه النجاشي:" كان ضعيفا في الحديث ،

---

339 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي ، الغيبة، ص 217

وقال احمد بن الحسـين : كـان يضع الحـديث وضـعاً، ويـروي عن المجاهيل ، وسمعت من قال: كان أيضا فاسد المذهب والرواية ، ولا ادري كيف روى عنه شـــيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همـــام وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الرازي".

أما رواية (نسـيم) و(طريف أبو نصـر) الخـادمين عند الإمـام العسكري ، فينقلهما الصـدوق عن المظفر السـمرقندي (المهمل) عن العياشي (الضعيف) عن آدم البلخي (الغالي المفوض) .

وأما رواية إسماعيل النوبختي ، التي يرويها الطوسي عن احمد بن علي الرازي ، فهي ضعيفة جدا ، لأن الطوسي نفسه لا يوثّــق الرازي ويتهمه بالضعف والغلو ، إضافة الى اتهـام ابن الغضـائري والنجاشي له بذلك .

ويـروي الطوسي رواية أخـرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفـــزاري ، وعن احمد بن علي الـــرازي عن كامل بن إبـــراهيم المـدني، الـذي يقـول : انه دخل على الإمـام العسـكري فجـاءت الـريح وكشـفت سـترا مـرخى على بـاب ، فشـاهد فـتى وراءه ، فعرفه الفتى وناداه باسمه ، ثم رجع الستر الى حاله فلم يستطع كشفه ، فإنها واضـحة الضـعف بعد روايتها عن الفـزاري والـرازي الغاليين الضعيفين.

أبو الأديان البصري

وأما رواية (أبي الأديان البصري) التي ينفرد بنقلها الصدوق ، ويرســلها دون أي ســند ، حيث يقــول (وحــدث أبو الأديــان ...) بـالرغم من ان بينهما حـوالي مائة عـام .. ولا يعـرف أحد شخصا بهذا الاسم مما يؤكد اختلاقه من قبل بعض الغلاة .

وأما تكملة القصة ، وهي مجيء وفد قم والجبال الى (سر من رأى) ، الــتي ينقلها الصــدوق.. ففي ســندها (احمد بن الحســين الآبي العروضـــــي) و (أبى) الحســــين (ابن) زيد بن عبد الله البغدادي، عن سنان الموصلي عن أبيه.. فكلهم مجاهيل لا وجــود لــذكرهم في تــراجم الرجــال ، بالإضــافة الى اضــطراب اسم البغدادي.

سعد بن عبد الله القمي

وأما رواية سعد بن عبد الله القمي ، التي يقول فيها انه دخل مع احمد بن إسحاق ، على الإمام العسكري ، فرأى على فخذه غلاما وهو يلعب برمانة ذهبية ، والتي ينقلها الصدوق عن النوفلي الكرماني ، عن احمد بن عيسى الوشاء البغدادي ، عن احمد بن طاهر القمي .. فيوجد في سندها أربعة من المهملين أو المجهولين ، وأما الراوي الخامس (الشيباني) فهو من الضعاف والغلاة المفوضة ، كما يقول الكشي وابن الغضائري والطوسي والنجاشي .

وقد سلب العلامة الحلي في (الخلاصة) الثقة من سعد بن عبد الله القمي ، على أثرها . وقال الشهيد الثاني : "ان إمارات الوضع عليها لائحة" ، وذلك لما تتضمن من لعب الغلام (المهدي) بالرمانة الذهبية!

إذن فان الضعف الكبير في سند كل رواية يسقطها جميعا عن الحجية والوثوق .. وإذا ما جمعنا الضعف في السند الى الضعف في المتن .. والى تناقض الروايات مع نفسها ، وتناقضها مع الرواية الظاهرية .. فإنها تصبح مجرد إشاعات وهمية أسطورية ، لا تثبت مولد إنسان عادي .. فكيف يمكن ان نعتمد عليها في إثبات مولد أمام من الأئمة وبناء عقيدة دينية على أساس ذلك؟.

وأما خبر محاولة القبض على المهدي الذي رواه الطوسي والمجلسي والصدر ، فانه خبر مرسل الى (رشيق) الشرطي المجهول ، والمشكوك بعدالته ، وهو ضعيف لعدم التصريح بهوية ذلك الرجل الذي كان يصلي على الحصير ، واحتواء الرواية أمورا غريبة منها: بقاء المهدي في بيت أبيه وفي سامراء طوال فترة الغيبة ، وهذا أمر بعيد جدا ، وقد كان بإمكانه ان يسيح في الأرض ويختبئ في أماكن أخرى . ومنها : احتواء الرواية على معاجز غيبية لا ضرورة لها ، وهي تنسجم مع روايات الغلاة وأساطيرهم .

هذا وقد كان المعتضد العباسي يميل الى التشيع ، وقد عزم على لعن معاوية على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس حول ذلك ، كما يقول ابن الأثير.[340] مما يبعد صحة الرواية المرسلة التي تتحدث عن محاولته اعتقال (الإمام المهدي) ، أو يرجح اختلاقه لقصة اختفاء المهدي في السرداب .

---

340 - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 6 ، ص 85

المطلب الثالث: **التحقيق في شهادة (النواب الأربعة)**

ان الرواية التاريخية الظاهرية للأحداث بعد وفاة الإمام الحسن العسكري تقول : ان الإمام لم يخلف ولدا لا ذكرا ولا أنـثى ، وانه أوصى بأمواله لأمه : (حـديث) ، ولـذلك فقد ادعى أخـوه جعفر الإمامة وتبعه قوم من الشـيعة ، أما رواية (النـواب) فتقـول : انه كان ثمة ولد مخفي مستور للإمـام العسـكري ، وقد ادعـوا النيابة عنه والوكالة له . وان تصديقهم يجرّ الى التصديق بوجـود (الحجة بن الحسـن) ولكن التشـكيك بقـولهم لا يثبت شـيئا من الرواية السرية بوجود ولد للإمام العسـكري ، فهل كـانوا صـادقين حقا ؟ وهل اجمع الشـيعة على وثـاقتهم؟ وكيف صـدقوهم ؟ وما هـو الدليل على صحة كلامهم ؟ .. وهل هنـاك ما يـدعو الى التشـكيك بهم ، والريب في دعواهم النيابة عن (الإمام المهدي) والشك في وجوده؟

قبل ان نقيّم تلك الروايات التي وردت بمدحهم وتوثيقهم ، لا بد ان نشير الى ان ظاهرة ادعاء النيابة عن (الإمام المهدي) هذه لم تكن أول ظـاهرة في تـاريخ الشـيعة ، حيث سـبقتها وسـبقت هـؤلاء (النـواب الأربعة) ظـواهر أخـرى ادعى فيها كثـير من الأشخاص النيابة والوكالة عن الأئمة السـابقين الـذين ادعيت لهم المهدوية ، كالإمام موسى الكاظم ، الذي ادعى كثير من أصـحابه اسـتمرار حياته وغيبته ومهدويته ، وكـان منهم محمد بن بشـير، الذي ادعى النيابة عنه ، ثم ورّث النيابة الى أبنائه وأحفاده .

وقد ادعى النيابة عن (الإمـام محمد بن الحسن العسـكري) بضـعة وعشـرون شخصا ، كـان منهم الشـريعي والنمـيري والعبرتائي والحلاج وغيرهم ، و ذلك لأن دعـوى النيابة كـانت تجر مصـالح مادية ومكانة اجتماعية سياسـية للمـدعي ، خاصة وان المدعي كـان يهمس بها في السر وينهى عن التحقيق في دعـواه ، ويسـتغل علاقاته السـابقة بالإمـام فيـدعي اسـتمرار حياته أو وجـوده ، والنيابة عنه . وكـانت دعـواه تنطلي على البسـطاء ويرفضـها الأذكيـاء المحققـون الواعـون . وقد رفض الشـيعة الامامية دعوى اكثر من عشرين مدع للنيابة عن (الإمـام المهـدي ابن الحسن العسكري) واتهموهم بالكذب والـتزوير ، كما شـككوا بصحة دعوى الأموي (النواب الأربعة) واختلفوا حولهم ، و لم يكن في الروايـات الـتي أوردها المؤرخـون ، دليلا علميا قويا على صدقهم وصحة دعاواهم، وهذا ما يجعل هؤلاء قسما من المدعين الكاذبين المتاجرين بقضية (الإمام المهدي) .

لقد اعتمد الشيخ الطوسي في توثيق عثمان بن سعيد العمري على عدة روايات ، وكان بعضها ، كرواية احمد بن إسحاق القمي ، ينص على توثيقه من قبل الإمام الهادي والإمام العسكري ، في المحيا والممـات ، وانه الوكيل والثقة المـأمون على مـال الله . وليس فيها ما ينص على نيابة العمـري عن الإمـام (المهـدي). ولكن بعض الروايـات كـان ينص بصـراحة على أصـيب الإمـام العسكري خلافة العمري للإمام المهدي ، إلا ان سند هـذه الرواية ضـعيف جـدا وذلك لاشـتماله على (جعفر بن محمد بن مالك الفزاري) الذي يقول عنه النجاشي وابن الغضـائري : " انه كـذاب مـتروك الحـديث وكـان في مذهبه ارتفـاع (غلـو) ويـروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضـعفاء مجتمعة فيه ، وقد روى في مولد القائم أعاجيب ، وكـان يضع الحـديث وضـعا ، وانه كـان فاسد المذهب والرواية" .

أما الرواية السابقة الـتي تتحـدث عن وثاقة العمـري وأمانته ووكالته فإنها مجهولة ، ويوجد في سندها الغالي (الخصيبي) وهي تنطوي على دعوى علم الإمام العسكري بـالغيب ، ومعرفته بوفد اليمن قبل ان يراهم.[341] وهـذه الـدعوى من مفـاهيم الغلاة . وان الرواية الأولى تقول: ان العسـكري أخـبر باسـتقامة العمـري في المسـتقبل بعد وفاته ، وهـذا ما لا يعلمه إلا الله ، وهو من علم الغيب أيضا.

ومن هنا ، وبعد سقوط هذه الروايات لضعفها متنا وسندا ، فانا نكاد نحصل على نتيجة واحدة ، هي: ان العمري الـذي كـان وكيلا للإمـامين الهـادي والعسـكري في قبض الأمـوال ، قد استصـحب الوكالة وادعى وجود (ولد) للإمام العسكري ، ليدعي الوكالة له ، دون ان يقدم دليلا واضـحا وأكيـدا على ما يقـول . ولـذلك لا يؤكد المؤرخـون بصـراحة على توكيل (المهـدي) له ، وهـذا الطبرسي الذي كان حريصا على تـدوين كل ما وصل إليه لا يقـول في كتابه (الاحتجاج) اكـثر من : (ان العمـري قـام بـأمر صـاحب الزمـان ، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه) .[342]

ولم يذكر المؤرخون الشيعة أية (معجزة) له تثبت دعواه في النيابة ، بالرغم من قول السيد عبد الله شبر في :(حق اليقين):" ان الشيعة لم تقبل قـول النـواب إلا بعد ظهـور آية معجـزة تظهر

---

341 - الطوسي، الغيبة، ص 215 - 216

342 - عن المجلسي، بحار الأنوار، ج 51 ، 362

على يد كل واحد منهم ، من قبل صاحب الأمر ، تدل على صــدق مقالتهم وصحة نيابتهم" . [343]

أما (النائب الثاني : محمد بن عثمـان بن سـعيد العمـري) فلم يذكر المؤرخون الشيعة أي نص مباشر عليه من (المهدي) بتعيينه نائبا عنه ، وقـال الطوسـي: "انه قـام مقـام أبيه بنص أبى محمد (الحسن العسكري) عليه ونص أبيه عثمان بأمر القائم" .[344]

وذكر الطوسي رواية عن عبد الله بن جعفر الحميري القمي ، انه قال:" ان المهـدي قد أرسل الى العمـري (توقيعـا) يعزيه فيه بوفـاة والـده عثمـان بن سـعيد ، ويحمد الله على قيامه مقامه، ويـدعو له بـالتوفيق . وان الكتب أتتنا بالخط الـذي كنا نكـاتب به بإقامة أبى جعفر مقام أبيه" ، كما نقل الطوسي رواية أخرى عن محمد بن إبـراهيم بن مهزيـارالاهوازي ، وأخـرى عن إسـحاق بن يعقوب ، عن الإمام المهـدي ، يشـهد بوثاقته ويترضى عليـه. وكل هــذه روايــات تنقل بواســطة العمــري نفسه ، وهو ما يضــعف الرواية.

ولا يوجد أي طريق لإثبات دعوى ان العمري عثمان بن سعيد ، قد نص على ابنه محمد بـأمر القـائم ، ويبـدو انه تخمين من قبل الطوسي ، كما لا يوجد في الحقيقة أي دليل لإثبــــات النص من الأب على الابن سوى الوراثة والادعاء.

ان المشــكلة الكــبرى تكمن في صــعوبة التأكد من صــحة (التواقيع) التي كان يخرجها العمري وينسبها الى (الإمام المهدي) وخاصة التوقيع الــــذي رواه الحمـــيري القمي ، حيث لم يـــذكر طريقه الى (الإمام الغائب) مما يحتمل قويا ان يكون العمري قد كتبه بيده ، ونسبه الى (المهـدي) خاصة وانه يكيل المـدح والثنـاء لنفسه فيه ، مما يلقي بظلال الشبهة عليه لو كان الإمام ظاهرا ، فكيف وهو غائب؟ ولا يوجد أي راوٍ للتوقيع سوى العمري نفسه ، ولم يقل الحمــيري كيف ســارع الى تصــديق التوقيع مع وجــود الجـدل في ذلك الزمـان بين الشـيعة حـول صـدق العمـري في دعوى النيابة ؟ مع احتمال اختلاق الحمـيري القمي نفسه للتوقيع ونسبته الى (المهدي).

---

343 - شبر ، حق اليقين، ص 224

344 - الطوسي، الغيبة، ص 218

وأما رواية محمد بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي ، فهي ضعيفة لأنه يعـترف بأنه كـان يشك في وجـود المهـدي في البداية ، وقد ادعى الوكالة بعد ذلك في أعقـــاب لقائه بـــالعمري في بغـــداد ، وبالتالي فانه مشكوك في أمره ، ولا يقول هنا كيف خـرج التوقيع اليه مباشرة أو عبر العمري ؟ فان كان يدعي انه وصـله مباشـرة ، فكيف؟ وهل رأى المهـدي بنفسه ؟ وهو لا يـدعي ذلك ؟ أم عن طريق العمري ؟ وهذا ما يثير الشك أيضا .

وأما الرواية الثالثة (رواية اسحق بن يعقوب) التي تصرح بأنها واردة عن طريق العمـري ، فإنها ضـعيفة لوجـود الشك بـاختلاق العمـــري لها ، ولمجهولية وضـعف إسـحاق بن يعقـوب ، وعــدم تصـريحه بكيفية التعـرف على خط المهـدي ، علما بـأن الطوسي يقـول: ان الخطـوط الـتي كـانت تخـرج بها التوقيعـات هي نفس الخطوط التي كانت تخرج في زمان العسكري .[345]

وأخيرا فان حكاية رؤية محمد بن عثمان العمري للمهدي في الحج ، هي دعـوى مجـردة عن الـدليل، وهو لم يقل كيف تعـرف على المهدي الذي لم يره من قبل ؟ وربما كـان قد اشـتبه به مع رجل آخر .

ومن هنا فقد توقف احمد بن هلال العبرتائي (شيخ الشيعة في بغداد) ، الذي نقل الفزاري عنه انه شهد مجلس عرض العسكري للمهـدي وتعـيين العمـري خليفة له ، وشـكك في صـحة دعـوى العمـــري الابن في النيابة الخاصة عن المهـــدي ، وأنكر ان يكـــون سمع الإمـام العسـكري ينص عليه بالوكالة ، ورفض الاعـتراف به بوكالته عن (صاحب الزمان) .[346]

وكان العبرتائي قد لعب دورا كبيرا في دعم دعوى عثمان بن سعيد العمري بالنيابة ، وكان يأمل ان يوصي اليه من بعده ، فلما أوصى الى ابنه محمد ، رفض ذلك وادعى هو النيابة لنفسه ، مما يكشف عن التواطؤ والمصلحية في دعاوى (النيابة الخاصة) .

ونتيجة لغياب النصوص الصحيحة والمؤكدة على نيابة محمد بن عثمان العمـري ، فقد شك الشـيعة في دعـواه ، وروى المجلسي

---

345 - الطوسي، الغيبة، ص 217

346 - الخوئي ، معجم الرجال، ج2 ، ص251 ، والطبرسي، خاتمة المستدرك، ص 556 ، والنجاشي، الرجال

في (بحار الأنوار) : ان الشيعة كانوا في حيرة، ولم يكونوا يثقــون بـــدعاوى النيابة الكثــيرة ، وقــال ان أبا العبــاس احمد الســراج الدينوري سأل العمري عن الدليل الذي يؤكد صحة ادعــاءه ، وانه لم يؤمن به إلا بعد ان اخبره شخص بالغيب وقدم له (معجزة) .

وقد اشــتهر عند الشــيعة تلك الأيــام حــديث عن أهل الــبيت يقــول:" خــدامنا وقوّامنا شــرار خلق الله". مما دفعهم للتشــكيك بصــحة دعــاوى النيابة الخاصة ، وقد أكد الشــيخ الطوسي صــحة ذلك الحــديث، ولكنه قــال:" انه ليس على عمومه ، وإنما قــالوا، لأن فيهم من غيّر وبدّل وخان ". [347]

وقد ندم بعض الشيعة على إعطاء الأموال الى العمري ، كما شكوا بوجود المهدي والتواقيع التي كان يخرجها العمري وينســبها اليه ، وكان منهم قسم من أهل البيت . وهذا ما دفع العمري الى ان يصــدر كتابا على لســان المهــدي ينــدد بالشــاكين والمنكــرين لوجــود المهــدي . كما شك قسم آخر بصــحة وكالة النوبخــتي ، وتســاءل عن مصــرف الأمــوال الــتي كــان يقبضــها باسم الإمــام المهدي ، وقال : ان هذه الأموال تخرج في غير حقوقها. ويقــول الصدوق والطوسي : ان النوبختي اســتطاع ان يقنعهم عن طريق المعاجز والإخبار بالغيب ، كتحديد وفاة بعض الأشــخاص مســبقا ، والتقاطه لدراهم من صرة شخص على مسافة بعيدة.[348]

وفي الحقيقة ان المؤرخين الشيعة يذكرون قصصاً كثيرة عن شك النــاس بالمــدعين للنيابة وتكــذيب بعضــهم للبعض الآخر ، و لكن عامة الاثــني عشــرية يمــيزون الأموي (النــواب الأربعة) عن بقية المدعين المــذمومين ، بقــدرة الأموي على اجــتراح المعــاجز وعلمهم بــالغيب . وقد ذكر الكليــني والمفيد والطوسي عشــرات القصص الــتي تتحــدث عن قيــام النــواب الأربعة بفعل المعــاجز الخارقة للعادة ، وإخبــارهم بالمغيبــات . ونقل الطوسي عن (هبة الله) حفيد العمري:"ان معجــزات الإمــام ظهــرت على يديه وانه كـــان يخـــبر عن الغيب" . [349] وذكر الطوسي خـــبرا عن علي بن احمد الدلال : ان العمري اخبره بساعة وفاته من يوم كذا وشــهر كذا وسنة كــذا ، فمــات في اليــوم الــذي ذكــره من الشــهر الــذي

---

[347] - الطوسي، الغيبة، ص 244

[348] - الصدوق، إكمال الدين، ص 516 – 519 والطوسي، الغيبة، ص 192

[349] - الطوسي، الغيبة، ص 236

ذكره من السنة الـتي ذكرها ، وكـان ذلك في آخر جمـادى الأولى من سنة 305 هـ. [350]

ولكن هذا القول كان يخالف مبادئ التشيع وأحاديث أهل البيت (ع) الــذين كــانوا ينفــون علمهم بــالغيب أو اســتخدام الطريقة الإعجازية الغيبية لإثبات إمامتهم. يقول الشيخ الصـدوق :" الإمـام لا يعلم الغيب ، وإنما هو عبد صــالح يعلم الكتــاب والســنة ، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عنــدنا ، وان الغيب لا يعلمه إلا الله وما ادعــاه لبشر إلا مشــرك كــافر" [351].

وقد قال الإمام الصـادق :" يا عجبا لأقـوام يزعمـون أنا نعلم الغيب!.. والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهـربت مـني فما علمت في أي بيوت الدار هي" . [352]

وجاء أبو بصير ذات مرة الى الإمام الصادق وقال له :" انهم يقولــون... انك تعلم قطر المطر وعــدد النجــوم وورق الشــجر ووزن ما في البحر وعدد التراب ، فقال : سبحان الله!.. ســبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله ".[353]

وسأل يحيى بن عبد الله الإمام موسى الكاظم فقال:" جعلت فـداك انهم يزعمـون انك تعلم الغيب؟ فقـال: سـبحان اللـه! ضع يــدك على رأسي ، فوالله ما بقيت شــعرة فيه وفي جســدي إلا قامت . لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله" .[354]

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي ، يقول فيها الإمام :" قد آذانا جهلاء الشــيعة وحمقــاؤهم ومن دينه جنــاح البعوضة ارجح منـــه... إني بـــريء الى الله والى رســـوله ممن يقـــول انا نعلم الغيب" . [355]

إذن فلا يمكننا ان نصـدق بـدعوى الأموي النـواب بالنيابة عن الإمام المهدي ، ونعتـبر قـولهم دليلا على وجـود الإمـام ، اسـتنادا الى دعاوى المعاجز أو العلم بالغيب ، ولا يمكننا ان نميز دعـواهم

---

350 - المصدر نفسه ، ص 221

351 - الصدوق، إكمال الدين، ص 106 و109 و116

352 - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 3 ، ص 748

353 - المصدر نفسه، ص 772

354 - المصدر نفسه، ص 767 والمفيد، الآمال، ص 23

355 - الحر العاملي، إثبات الهداة، ص 764

عن دعوى أدعياء النيابة الكاذبين الذين كانوا يتجاوزون الأربعة والعشرين .

وإذا كنا نتهم أدعياء النيابة الكاذبين بجر النار الى قرصهم ، وبالحرص على الأموال والارتباط بالسلطة العباسية القائمة فأجابه ، فان التهمة تتوجه أيضا الى الأموي (النواب الأربعة) الذين لم يكونوا بعيدين عنها .

يقول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلا عن الحسين بن روح النوبختي في بني بسطام ، ثم انشق عنه وادعى النيابة لنفسه :" ما دخلنا مع أبى القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر، إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف ".[356]

وإذا لم نستطع إثبات دعاوى (النواب الأربعة) وشككنا في صحة أقوالهم ، فكيف نستطيع إثبات "وجود" (الإمام محمد بن الحسن العسكري) ، بناء على شهادتهم باللقاء به و الوكالة عنه ؟

وإضافة الى هذا الشك ، هناك دليل آخر على كذب أدعياء النيابة ، وهو عدم قيامهم بأي دور ثقافي أو فكري أو سياسي لخدمة الشيعة والمسلمين ، ما عدا جباية الأموال والادعاء بتسليمها الى (الإمام المهدي) .

وكان المفترض بالنواب الذين يدعون وجود صلة خاصة بينهم وبين (الإمام المهدي) ان يحلوا مشاكل الطائفة ، وينقلوا توجيهات الإمام الى الأمة ، ولكنا نرى (النائب الثالث) : الحسين بن روح النوبختي ، مثلا ، يلجأ الى علماء قم ليحلوا له مشكلة الشلمغاني الذي انشق عنه ، ويرسل كتابه (التأديب) الى قم ، ليبين علماؤها له الصحيح والسقيم ، كما يقول الشيخ الطوسي في (الغيبة). [357]

ان في ذلك دلالة على عدم وجود أي اتصال بينه وبين (المهدي) وإلا لكان عرض الكتاب عليه وسأله عن صحته .

ومما يعزز الشك في عدم وجود (المهدي محمد بن الحسن العسكري) هو عدم قيام أدعياء النيابة بملأ الفراغ الفقهي

[356] - الطوسي، الغيبة، ص 241
[357] - المصدر نفسه، ص 240

وتوضيح كثير من الأمور الغامضة التي كان يجب عليهم تبيانها في تلك المرحلة، ومن المعروف ان الكليني قد ألف كتابه (الكافي) في أيام النوبختي ، وقد ملأه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تتحدث عن تحريف القرآن وأمور أخرى باطلة ، ولكن النوبختي أو السمري لم يعلقا على الموضوع ولم يصححا أي شيء من الكتاب ، مما تسبب في أذية الشيعة عبر التاريخ و أوقعهم في مشكلة التعرف على الأحاديث الصحيحة من الكاذبة .

ولقد أبدع السيد المرتضى نظرية (اللطف) التي يقول فيها : ان الإمام المهدي يجب ان يتدخل ليصحح اجتهادات الفقهاء في عصر الغيبة ويخرب إجماعهم على الباطل ، وبناء على ذلك كان الأجدر والأولى والأيسر ان يصحح (الإمام المهدي) ، لو كان موجودا ، كتاب الكليني ، أو يترك وراءه في (عصر الغيبة الكبرى) كتابا جامعا يرجع اليه الشيعة . وهذا ما لم يحصل ، ولم يقدم أدعياء النيابة أي شيء يذكر في هذا المجال ، وهذا ما يدفعنا للشك في صدقهم ، وفي دعواهم بوجود (أمام غائب) من ورائهم.

ولذا تعجب الشيخ حسن الفريد (زميل الإمام الخميني) في كتابه :(رسالة في الخمس) واستغرب بحيرة، وتساءل عن السر وراء عدم سؤال الكليني من (صاحب الزمان) عبر وكيله النوبختي عن حكم مسألة الخمس في (عصر الغيبة) . [358]

المطلب الرابع: **التحقيق في رسائل (المهدي)**

اتخذ المؤيدون لنظرية وجود (الإمام المهدي) الرسائل ، التي قالوا انه قد بعث بها الى عدد من الناس ، دليلا إضافياً على صحة نظريتهم بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري). ولكننا بعد دراسة هذه الروايات والتحقيق في سندها نكتشف ضعفها بدرجة كبيرة ، وإنها ليست إلا إشاعات روّجها أدعياء الوكالة. فان رواية الطوسي الأولى يرويها عن جماعة لم يسمهم ، عن أبى محمد التلعكبري ، عن احمد بن علي الرازي ، الذي يقول عنه علماء الرجال الشيعة : انه ضعيف غالي ، بالإضافة الى ان احمد بن إسحاق القمي لم يذكر كيفية مراسلة (صاحب الزمان) ومن هو الذي أوصل اليه الجواب ، مما يحتمل اختلاقه للرسالة بنفسه .

[358] - الفريد، رسالة في الخمس، ص 87

أما الرسالة الثانية فان الطوسي ينقلها أيضا عن احمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي) عن عدد من المجهولين ، بالإضـافة الى أنها تتضمن أمرا غير معقول هو الاحتكام الى شخص غير معروف متنازع في وجوده ليثبت هو وجوده ! مع احتمـال صـدور الجـواب من أحد أدعيــاء النيابــة. علما بــأن الشك بوجــود (ابن الحســن) يقتضي الشك بصـــدق النـــواب ، فكيف يمكن العـــودة الى واحد منهم والوثوق به قبل التأكد من صدقه ، والتصديق بما يقدمه من أوراق يدعي أنها صادرة عن المهدي؟

أما رواية الصـدوق المعروفة بـــ: (التوقيـع) فهي ضـعيفة لمجهولية وضـعف إسـحاق بن يعقــوب ، وعــدم ذكر الســابقين كالكليني لها ، ولتضمن الرواية عدة أمور غير صحيحة هي :

أولاً: مدح الناقل للرسالة وهو (النائب الثاني محمد بن عثمان العمري) لنفسه وأبيه ، وهو ما يقـوي احتمـال ان تكـون الرسـالة من وضعه.

ثانيا: إباحة الخمس في عصر الغيبة إلى وقت الظهور ، وهذا ما يخـالف اسـتمرارية أحكـام الإسـلام في كل حين ، وقد عــدل علماء الشيعة مـؤخرا عن الأخذ بهـذه الإباحة لمنافاتها مع مبـادئ الإسلام.

ثالثا: المطالبة بـالكف عن السـؤال عن علة الغيبة ، مع ان فلسفة الغيبة من الأمور الدينية الضرورية الـتي لا بد من معرفتها على طريق الإيمــــان بالمهـــــدي. ومن هنا تصــــبح تلك الرواية (الرسالة) ضعيفة جدا وغير قابلة للاعتماد.

وكذلك حال رواية الصدوق الثانية عن العمري ، التي ينقلها عن أبي عبد الله جعفر، الذي يقول انه وجدها مثبتة عن سعد بن عبد الله ، أي انه لم يروها مباشــرة ، وإنما وجــدها في كتــاب ، ومن المعـروف في علم الرواية : ان الوجـدان في الكتب من اضـعف أنواع الرواية ، وإضافة الى ذلك لا يذكر سعد كيف انه حصل على الرسالة؟ ومن اخبره بهـا؟ وهو لا يرويها عن العمـرين اللـذين لا يصـرحان بها ، وإنما يـذكرها عن شـخص لم يحـدد اسـمه ، ولكن يفترض انه (المهدي) . وإذا صـحت الرواية عن العمـرين فإنها قد تكـــون من تأليفهما، دعما لنظريتهما القائلة بوجـــود المهـــدي ، وتعزيز ادعائهما بالنيابة عنه ، ومن هنا فلا حجة فيها.

أما رسائل الشيخ المفيد ، التي يذكرها الطبرسي وابن شهر آشوب في كتبهما ، فان المفيد نفسه لم يذكرها في أحد من كتبه ، ولو صحت نسبتها اليه فهي لا تحمل في طياتها أي دليل ، وذلك لأن المفيد يقول: انه استلمها من رجل أعرابي لا يعرفه ، والرسالة بخط رجل غير المهدي يقول إنها من إملاء المهدي عليه ، وقد رفض المفيد ان يعرض الرسائل ، التي أوصلها الأعرابي اليه ، على أحد من أصحابه، وقال ان ذلك بأمر المهدي ، ولم يبرز الى الناس سوى رسائل بخط يده قال ان المهدي قد طلب منه ان يفعل ذلك .

فإذا صح ذلك.. فنحن في الحقيقة أمام رسائل بخط الشيخ المفيد نفسه، يقول إنها نسخ عن رسائل سلمها اليه أعرابي مجهول لا يعرفه المفيد ، يقول ذلك الأعرابي إنها من رجل لا يعرفه كتب تلك الرسائل ، يقول ذلك الرجل المجهول: ان الإمام المهدي قد أملاها عليه .

أي اننا أمام خبر آحاد يرويه المفيد عن رجل مجهول عن رجل مجهول عن المهدي .

وهذا ما يثير عددا من الاحتمالات ، منها: الجعل من قبل المفيد ، خاصة وإنها تحمل تزكية ومدحا فائقا له ، ويقدم المهدي اسم المفيد في بعضها على اسمه . ومنها : الجعل من قبل ذلك الأعرابي ، أو الجعل من قبل ذلك الرجل المجهول ، أو الجعل من قبل رجل ثالث كذب على الكاتب وقال انه المهدي. وهكذا رواية في منطق علم الدراية غير قابلة للالتفات أو التوقف عندها قليلا أو كثيرا .

مشكلة التعرف على الخط

وأود هنا، ان الفت نظر القارئ الكريم الى نقطة مهمة ، وهي موضوع : خط الإمام المهدي ، في رسائله تلك ، وتواقيعه الكثيرة المنسوبة اليه. فان الإنسان المؤمن بالمهدي ، وخاصة اليوم ، يتوق الى رؤية خط الإمام ، إذ لم يحظَ برؤية شخصه ، ويتمنى ان يكون التاريخ قد احتفظ ولو بنسخة واحدة من تلك الرسائل والتواقيع ، ويرجو ان يكون الشيعة في تلك الأيام قد أدركوا هذه الأهمية ، وحافظوا على رسائل الإمام في خزاناتهم

التاريخية ، فإنها تشــكل أهم مــادة لدراسة تلك المرحلة والتأكد من حقيقة (الإمام المهدي) والظروف التي أدت به الى الغيبة .

ومن هذا المنطلق حاولت ان استقصي آثار خطوط (الإمـام المهدي) في رسائله ، وابحث عن أية نسخة من رسـائله ، وأتـابع (تواقيعـــه) . وكنت احسب في البداية ، أو افـــترض ان يكـــون الشيعة في تلك الأيام أو بالأخص (النـواب الأربعة) أو الفقهـاء أو المحــدثون ، قد اهتمــوا بالمحافظة عليها والعناية بهــا، فلم أجد لذلك أثرا ، ووجدت غموضاً مريباً يلف هـذا الموضـوع ، ووجـدت في (التوقيع) الـذي يرويه الطبرسي في (الاحتجـاج) عن اسـحق بن يعقــوب عن العمــري ، نصا يقــول :" .. ولا تظهر على خطنا الذي سـطرناه أحـدا". وهو يكشف عن خلاف ما كـان متوقعا من الاهتمام بـالتعرف على الخط والمحافظة على رسـائل المهـدي ، وعــدم وجــود خط معين ومعــروف للمهـدي، يمكن الرجــوع اليه ومقارنة بقية الرسائل به للتأكد من صـحتها . كما وجـدت الشـيخ الطوسي يتحدث عن (خط المهدي) بصورة مريبة ، حيث يقول: (قــال أبو نصر هبة اللــه:" وجــدت بخط أبي غــالب الــرازي: ان العمري كان يتولى هـذا الأمر (النيابـة) نحـوا من خمسـين سـنة ، يحمل الناس اليه أمـوالهم ويخـرج اليهم التوقيعـات بالخط الـذي كان يخرج في حياة الحسن (ع) بالمهمات في أمر الدين والدنيا ، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة" .[359]

ولم يقل لماذا كان العمري يفعل ذلك ؟ ولماذا لم يكن يخرج التواقيع بخط المهـــدي؟ ومن المعـــروف ان التعـــرف على خط الإمــام الحسن بذاته كــان مشــكلة في حياته ، إذ كــان يلجأ بعض أدعياء النيابة عنه، من الغلاة ، الى تزوير خطه ، وقد وقع الشيعة بســبب ذلك في مشــكلة التعــرف على خط الإمــام العســكري والتأكد من خطه ، في حياته ، فكيف يمكن التعـــــرف على خط (الإمــام المهــدي) الــذي لم يــره أحد ولم يُــرَ خطه ولم يُتأكد من وجوده؟ ولا يملك عامة الناس وسيلة للتحقق منه ؟

ومع وجود هذه الاشكالية الكبيرة ، فان العمري لم يكن يسلم الخطـــــوط والتواقيع الى أحد ، بل كـــــان يبرزها لهم فقط أو يستنســـخها بخطــــه. وقد لجا الشـــيخ المفيد - حسب الرواية المزعومة - الى هذه الطريقة أيضا ، فقدم نسـخا بخط يـده قـال

---

[359] - الطوسي، الغيبة، ص 223

إنها منقولة عن رسائل من المهـدي لم تكن مكتوبة أساسا بخطه ، وإنما كانت إملاء منه على كاتب مجهول .

ولو كنا قد حصلنا على نسخ من خط (الإمام المهـدي) لكـان باستطاعتنا المقارنة بينها والتأكد من حقيقة نسبتها اليه أو التمييز بين الصحيح والمزور منها ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

و لذلك يمكننا اتخاذ (سرية الخط ، أو الحـرص على إخفائه) دليلا إضافيا على عدم وجود (محمد بن الحسن العسـكري) الـذي ان كان موجودا فعلاً وكان مختفيا وغائبا لأسباب أمنية ، لكان لجأ بصورة قاطعة الى إثبات شخصـيته عند الشـيعة ، وقيـادتهم عـبر الرسائل الموقعة الـتي لا تقبل الشك والنقـاش ، ويمكن معرفتها وتمييزها بواسطة التعـرف على الخط ، والمقارنة بينها ، كواحـدة من الوسائل العديدة التي يثبت بها نفسه .

ويمكن أن نضيف الى هذه الأسئلة، سؤالاً جديدا، وهو لماذا لا يســتخدم الإمــام المهــدي الغــائب وســائل الاتصــال الحديثة والمضـمونة ، أو وسـائل الإعلام الفضـائية ، لإيصـال رسـائله الى الشـيعة، مع المحافظة على أمنه وسـلامته؟ كما اسـتخدم بعض السياسيين المطلوبين أجهزة الإنترنت والقنوات الفضائية لإيصال صوتهم وتوجيهاتهم الى أتباعهم والعالم.

المبحث الخامس

ما هي حقيقة حكايات المعاجز ؟

من الملاحظ ان معظم تلك (المعاجز) التي يدعيها القـائلون بوجود (المهدي محمد بن الحسن العسكري) و التي ينقل أكثرها الطوسي ، يدور حول محـور (علم النـواب الأربعة بـالغيب) وهي تحـاول إثبـات صـحة دعـاوى النـواب بالوكالة والنيابة عن (الإمـام المهدي) وبالتالي (صحة وجوده).

وقد لجأ (النواب الأربعة) وغيرهم من أدعياء النيابة ، الذين تجاوز عددهم العشرين ، الى سلاح (المعاجز) بعد ان أعيتهم الحيلة لإثبات دعاواهم في النيابة ، في غياب النصوص والأدلة العلمية على ولادة (الإمام) أو صحة نيابتهم عنه ، كما لجأ الى ذلك ، من قبل ، محمد بن بشير الذي ادعى الوكالة عن الإمام موسى الكاظم ، بعدما ادعى الواقفية هروبه من السجن وغيبته ومهدويته ، لإثبات دعاواهم الواهية في النيابة عنه .

وإذا القينا ، كمثال ، نظرة على قصة (الوكيل) : محمد بن إبراهيم الاهوازي ، الذي يعترف بأنه كان يشك بوجود (محمد بن الحسن العسكري) في البداية ، وانه حمل الأموال التي كانت لدى أبيه، الى بغداد ، واستأجر داراً على شاطئ دجلة، وفكر بصرف الأموال على ملذاته وشهواته. ثم تحوّله الى ادعاء (الوكالة) التي تدر عليه ربحا مستمرا حتى آخر يوم من حياته ، وذلك بتأليف قصة الاتصال الغيبي مع العمري .. إذا القينا نظرة على هذه القصة ، فاننا سنكتشف العلاقة بين ادعاء (المعاجز) للإمام المهدي وادعاء (النيابة عنه).

ولسنا بحاجة ماسّة لمناقشة " دليل المعجزة أو العلم بالغيب " . فان هذا الأمر لم يثبت لأحد من الأئمة الأحد عشر السابقين من آل البيت (ع) ولم يكن رسول الله (ص) الذي كانت له قابلية الاطلاع من الله على علم الغيب ، لم يكن ليدعيه أو يمارسه بمثل ما كان يدعيه (النواب) ويشيعون عن أنفسهم معرفته. وقد اعتمد الرسول الأكرم على العقل و(معجزة القرآن) الخالدة ، وقال للمشركين الذين طالبوه بإتيان المعاجز والآيات الخارقة ، كتفجير الينابيع من الأرض ، وإسقاط السماء كسفاً ، والرقي في السماء، وإنزال الكتب منها ، قال لهم:" سبحان الله !.. هل كنت إلا بشرا رسولا؟" (الإسراء 93) وقال :" إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين" (العنكبوت 50) وقال الله عز وجل: " وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون" (الإسراء 59). فإذا لم يكن الرسول الأعظم (ص) يستخدم المعاجز والآيات لإثبات رسالته ، فكيف استطاع (النواب الأربعة) استخدامها لإثبات نيابتهم؟ ومن الذي يؤكد حصول ذلك ؟ علماً بأن الطوسي الذي يذكر معظم تلك (المعاجز) الوهمية قد جاء بعد عصر النواب بمائة عام أو اكثر . وقد اعتمد على تلك الروايات وهي أخبار آحاد متهافتة جدا، صادرة عن الغلاة والمشبوهين وذوي المصالح المادية في وضعها ، ولا توجد رواية واحدة منها يمكن

الاعتمـاد عليها بعد تنقيح السـند، وهي تشـتمل على عـدة نقـاط غامضة ، فـتروى عن المجاهيل أو عن أشـخاص بـدون أسـماء ، وتعتمد على الادعاء الفارغ بلا دليل.

وان من السـهل جـدا وصف تلك (المعـاجز) المـدعاة ، بــ :" الكـذب والاختلاق ، أو السـحر والشـعوذة والمخـاريق". وهو ما يسـقطها عن الحجية ، وعن ان تكـون (معـاجز) خارقة للعـادة وحاسمة للجدال . وكان الشيخ الصدوق قد برر عدم لجوء الإمـام أمـير المؤمـنين (ع) الى سـلاح (المعـاجز) لإثبـات حقه بالخلافة ، بسبب احتمال تفسير الآخرين لها بالسحر والشعوذة والمخـاريق.[360] كما رفض والـــده علي بن بابويه الصـــدوق ، ادعـــاء الحلاج بالنيابة عن الإمـام المهـدي ، ومعرفته للغيب ، وأمر بإخراجه من دكانه ركلاً بالأرجل !.[361]

ان (المعاجز الغيبية) متعارضة مع القرآن الكريم الـذي ينفي علم الغيب عن أي بشر، ويقـــول:" عـــالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول" الجن 26 – 27 ، ويقول:" قل لا يعلم من في الســـــماوات والأرض الغيب إلا الله" النمل 65 ، ويقول:" وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض تمـوت" لقمـان 43 . ومن هنا فلم يشر السـيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) في (بحث حـول المهـدي ، ص 36) الى مسـألة معـاجز النـواب الأربعة ، كـدليل على صـحة نيـابتهم ، وادعائهم في وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري).

المبحث السادس

تهافت دعوى الإجماع

وقبل ان ندرس دعوى وجود الإجماع على وجود (الإمام محمد بن الحسن العســكري) يجـــدر بنا ان نتحـــدث قليلا عن حجية الإجماع عند الشيعة الامامية الاثني عشرية ، إذ من المعـروف ان

---

[360] - الصدوق، إكمال الدين، ص 109
[361] - المصدر نفسه

الإجماع لا يعتبر لديهم دليلا مستقلا ، إلا إذا كان كاشفا عن رأي المعصوم ، ولم يكن يستند الى دليل قرآني أو روائي أو عقلي ، فإذا كان يستند الى آية من القرآن الكريم ، فيمكن ان نراجع الآية وننظر في الأمر، وقد يختلف اجتهادنا عن اجتهاد العلماء السابقين ، الذين اجمعوا على ضوء فهمهم الخاص لها ، فلا يصبح اجتهادهم ، أو الإجماع الذي بنوه على أساس ذلك الاجتهاد ، حجة علينا ، لأن الحجة في القرآن ، وهو ، مثلا ، لا يدل عندنا على المطلوب.

وكذلك الأمر بالنسبة الى الأحاديث ، وحكم العقل .

الحالة الوحيدة التي قد يصبح الإجماع فيها دليلا شرعيا وحجة عند الشيعة ، هي فيما إذا كان الإجماع موجودا في مسألة معينة ، ولم نكن نعرف مستند الإجماع ، فنحتمل انه مبني على حديث لم يصلنا ، وبالتالي نقطع على انه معبِّر عن رأي المعصوم. وهذا النوع من الإجماع لا يمكن ان يحصل، ولم يحصل لدى الشيعة، إلا في الأجيال الأولى القريبة من عهد الأئمة ، وهو ما يعبر عنه بإجماع المتقدمين ، فإذا لم يكن في مسألة إجماع عند المتقدمين ، وحصل فيها بعد ذلك إجماع بين المتأخرين، فانه ليس بحجة ، لأنه لا يعبر عن رأي المعصوم .. ولأن الإجماع بذاته غير حجة.

هذا هو حكم الإجماع ، وطبيعته.

والإجماع حول مسألة " وجود ابن الحسن" ليست من نوع الإجماع الوارد في بعض المسائل الفقهية الجزئية ، بل هو ، حسب الفرض ، مبني على الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية ، وليس معبرا عن رأي أو قول غير واصل الينا من الأئمة.

ثم ان الإجماع الذي يدعيه الاشعري القمي أو النوبختي أو الصدوق، غير حاصل أساسا في موضوع وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) .. إذ لم يختلف الشيعة الامامية سابقاً في مسألة كما اختلفوا في موضوع (الخلف) حيث انقسموا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري ، الى أربع عشرة فرقة ، فقال بعضهم بمهدوية الحسن بن علي ، وقال بعضهم بمهدوية أخيه محمد ، وقال بعضهم بإمامة ومهدوية أخيه الآخر جعفر ، وقال بعضهم بانقطاع الإمامة ، ولم يقل بوجود وولادة وإمامة ومهدوية (محمد بن الحسن) إلا فرقة واحدة من تلك الفرق الأربعة عشر.

وقد اختلفت هذه الفرقة أيضا فيما بينها على أقسام ، وذلك حول اسم وهوية المهدي !

وقد فصل النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) والاشعري القمي في كتابه (المقـالات والفـرق) والمفيد في :(الفصـول المختـارة من العيون والمحاسن) والطوسي في (الغيبة) أخبـار تلك الفـرق الـتي أوصـلها بعضـهم الى عشـرين فرقـة. وقد استعرضـنا خلال صــفحات هــذا الكتــاب كثــيرا من تفاصــيل تلك الفــرق وآرائها المختلفة ، وقد نقل الصـدوق والطوسي أخبـار تشـاجر الشـيعة واحتكامهم الى العمري حول وجود الخلف للإمام الحسن؟

كل ذلك يدل على عدم وجود الإجماع في هذه المسألة عند الشـيعة الأوائل ، بل يوجد النص المضـاد من الإمـام العسـكري ، الذي أوصى الى أمه ، باتفاق جميع الشيعة ، ولم يــوصِ الى أحد غيرها ، وإذا كـان له ولد ، حـتى في الـرحم ، لكـان أوصى اليه ، وهذا ما لم يحدث .

من هنا يمكننا القول ، إذا استثنينا شـرذمة قليلة ، ان إجمـاع الشـيعة في القـرن الثـالث والقـرن الرابع كـان قائما على عـدم الإيمــان بوجــود (محمد بن الحسن العســكري) ، وقد ذكر ذلك عامة مؤرخي الشيعة كالنوبختي والاشـعري والكليـني والنعمـاني والصــدوق والمفيد والطوسي ، الــذين أطلقــوا على ذلك العصر اسم : "عصر الحيرة".

الفصل الثالث

كيف نشأت نظرية المهدي الثاني عشر؟

الجزء الثاني

الفصل الثالث

كيف نشأت فرضية

المهدي الإمام الثاني عشر؟

المبحث الأول

تناقض (الغيبة) مع فلسفة الإمامة

لكي نفهم موضـوع (الغيبـة) على حقيقته، لا بد أن نفهم أولا نظرية (الإمامة الإلهية) كما كان يقـول بها المتكلمـون الامـاميون الأوائل الذين أسسـوا لها . تقـول نظرية (الإمامـة) : إن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام (أي من حكومة ودولة) وان الإمام ، (أي الـرئيس أو الخليفة أو القائد الأعلى) ، يجب أن يكـون معصـوما ومعينا من قبل الله ، وان الشورى باطلة ولا يجوز انتخاب الإمـام من قبل الأمة ، وتقـــول النظرية الموســوية (المتفرعة عن الامامية و الموازية للفطحية) : إن الإمامة تتسلسل بشــــكل وراثي عمودي في ذرية علي والحسين الى يوم القيامة .

ومن هنا فقد افترض المتكلمون الاماميون وجود وولادة (ابن) للإمام الحسن العسكري ، بالرغم من عـدم وجـود أدلة تاريخية كافية ، ورفض بعضـهم الإيمـان بإمامة جعفر بن علي الهـادي ، لعدم جواز الجمع بين أخوين بعد الحسن والحسين، وقالوا : لا بد أن يكون قد ولد الإمام الحجة بن الحسن العسكري ، وان أباه قد أخفاه عن أعين الناس .

ولكن السؤال الكبير الذي فرض نفسه هو: إذا كـانت الإمامة محصورة في هذا الشخص ، ولا تجوز لغـيره من النـاس العـاديين غير المعصومين وغير المعينين من قبل الله تعالى ، فلمـاذا يغيب ويختفي ولا يظهر ليقـود الشـيعة والمسـلمين، ويؤسس الحكومة الإسلامية التي لا بد منهـا؟ ما دام ان الأرض لا يجـوز ان تخلو من إمام ، والإمام الغـائب لا يمكن ان يمـارس إمامته وقيادته للنـاس ؟. وما هو السر في الغيبة ؟ والى مــــتى يغيب؟ وما هو واجب الشيعة في حالة الغيبة؟

لقد كـانت النتيجة الطبيعية واللازمة لـذلك الفكر هـو مبـدأ (الانتظـار) وتحـريم النشـاط السياسي في (عصر الغيبـة) وهـو المبدأ الذي سـاد قرونا طويلة من الـزمن ، ولا يـزال بعض آثـاره مستمراً، بالرغم من القـول بنظرية (النيابة العامة وولاية الفقيـه) حيث انتهت نظرية المتكلمين المثالية الى غيبة الشــــيعة عن الحياة وافتقادهم للإمامة ، لعدم ظهور (الإمـام المعصـوم). وهـذا

ما شـكل تناقضا صـارخا مع فلسـفة الإمامة الـتي تقـول بوجـوب الإمام في الأرض، ووجوب كونه معصوما، ووجـوب تعـيين الله له في كل زمان ومكان ، من اجل تطبيق الشريعة الإسلامية وقيادة المسلمين والإفتاء لهم وحل مشاكلهم التشريعية .

وكـان الشـيعة الامامية (الموسـوية) قد خاضـوا تجربة مرّة مماثلة مع (الحركة الواقفيـــة) الـــتي ادعت غيبة الإمـــام موسى الكــاظم ، ووقفــوا منها موقفا رافضا ، وذلك لتنــاقض الغيبة مع فلسفة الإمامة ، حيث قال لهم الإمــام علي بن موسى الرضا : " سبحان الله !.. يموت رسـول الله ولا يمـوت موسى !.. قد والله مضى كما مضى رسول الله" .[362] واتهم الواقفية الذين زعموا ان أباه لم يمت ، بالكذب والكفر بما انــزل الله عز وجل على محمد (ص) وقـال :" لو كـان الله يمد في أجل أحد من بـني آدم لحاجة الخلق إليه ، لمدّ الله في أجل رسول الله (ص)" .[363]

واخذ الإمـام الرضا ينـاقش (الواقفية) في معـنى "الإمـام" وفائدة قولهم بالإمامة ، إذا كانوا يعلقون التزامهم بإمـام غـائب لا وجــود له في الحيــاة ، وينبههم الى ضــرورة التفاعل مع الإمــام الحي الظـاهر ، وينقل عن آبائه قــولهم :" ان الحجة لا تقــوم لله على خلقه إلا بإمام حيّ يُعرف . ومن مات بغـير إمـام مـات ميتة جاهلية.. إمام حي يعرفـه. وقد قـال رسـول الله (ص): من مـات وليس له إمـام يسـمع له ويطيع مـات ميتة جاهليـة. ومن مـات وليس عليه إمـام حيّ ظـاهر مـات ميتة جاهلية .. إمـام حيّ" .[364] مما يكشف عن رفض الإمام الرضا لنظرية الغيبة في أيام الإمـام ، وذلك لســقوط الحجة عن النـــاس في حالة الغيبة ، وضـــرورة حضــور الإمــام بينهم ومعــرفتهم له ، والاســتماع إليه وطاعته ، والتفاعل معه ، إذا كان يجب على الله ان يبعث إماما من قبله.

إذاً فإن الغيبة تشكل تناقضا صارخا مع (ضرورة وجود الإمام) الذي يفترض ان يتصدى لقيادة المسلمين ، ولا يجـوز له ان يغيب عن الســاحة . فـــإذا قلنا مثلا ان الدولة يجب ان تعين ضـــابطا للمرور في التقاطع الفلاني ، ورأيناه غائبا والمرور مشتبكا ، فـان غيابه يشــكل تناقضا مع قولنا (لا بد ان تعين الدولة ضــابطا)، ولا يفيد وجوده خلف ستار الغيب ، لأن المرور اصبح مشتبكا ومعقدا وفوضويا . وهذا أمر عقلي بـديهي وواضح ، لا يمكن التغاضي عنه

[362] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 380
[363] - الكشي، الرجال، ص 378
[364] - الكيني، الكافي، ج 1 ، ص 177 والحميري ، قرب الإسناد، ص 203

، أو تجاهله أو تبريره ببعض الأخبار الضعيفة. ولكن أركــان نظرية (الغيبــة) رفضــوا اســتخدام العقل هنا بــالرغم من اســتخدامه في تثبيت المقدمات الأولى :(ضرورة وجــود الإمــام ، وضــرورة كونه معصوما ، وضرورة كونه معينا من قبل الله) وقد اخرج احمد بن إسحاق القمي (أحد أركان نظرية الغيبة) كتابا عن (الإمام الحجة ابن الحســن) قــال : انه أرســله إليه ، جوابا عن رســالة كــان قد بعثها إليه ، واستفسر فيها عن علة الغيبـــــة، وقد جـــــاء في ذلك الكتاب (التوقيــع):" لا تســألوا عن أشــياء ان تبــدَ لكم تسؤ كم" ! وبناء على ذلك فقد قال الشيخ الصــدوق :" ان الله لا يُســأل عما يفعل وهم يُسألون. ولا يقــال له : لمَ؟ ولا كيف؟.. وهكــذا إظهــار الإمام ،الى الله الذي غيبه، فمتى أراده أذن فيه فظهر" .[365]

وقال أيضا:" لا يصح إيمــان عبد حــتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى، ويسلم في جميع الأمــور تســليما، ولا يخالطه شك ولا ارتياب، والإسلام هو الاستسلام والانقيــاد. ومن يبتغ غــير الإســلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" .[366]

وروى الصدوق حديثا عن الإمام الصادق يعتــذر فيه عن بيــان وجه الحكمة في (غيبة صـــاحب الأمـــر) وذلك لأمر لم يـــؤذن له بكشفه للنــاس ، ويقــول:" ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهـــــوره.. وانه أمر من أمر الله ، وسرٌّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ".[367]

ورفض الشيخ المفيد سلوك طريق العقل والاعتبار في التحري عن سبب الغيبة ، وقال:" ان المصلحة لا تُعــرف إلا من جهة علام الغيوب ، المطلع على الضمائر، والعالم بالعواقب ، الذي لا تخفى عليه السرائر". [368]

وطالب الكراجكي الشيعة بالكف عن التفكير في هذه المسألة ، بعد الإيمان بوجود الإمــام وعصــمته، وانه لا يفعل شــيئا إلا بــإذن الله. والتســـليم لكل خطـــوة أو فعل أو موقف يتخـــذه (الإمـــام المعصوم) حتى مع عدم معرفة الأســباب والأغــراض، وقــال:" انه ليس يلزمنا معرفة هــذا الســبب ولا يتعين علينا الكشف عنه ، ولا

---

[365] - الصدوق، إكمال الدين، ص 88

[366] - المصدر نفسه، ص 531

[367] - الصدوق، علل الشرائع ، ص 246 ، والأمالي، ص 426

[368] - المفيد، الفصول المختارة ، مسألة من الغيبة، ص 266 و269

يضــرنا عــدم العلم به" .[369] ونفى الشــيخ الطوسي الحاجة الى تكلف الكلام في سبب غيبة الإمام بعد ثبوت وجوده .[370]

وبعد اعتراف أركان نظرية (الغيبة) بعدم وجود تفسير معقول وأكيد للغيبة ، لا تبقى حاجة لمناقشة الروايـــــات والنظريـــــات المختلفة، الــتي قــدموها لتــبرير الغيبة، بالحكمة المجهولة ، أو بتمحيص الشيعة وغربلتهم ، أو بخوف صاحب الزمــان على حياته من القتل ، فـان رواتها غلاة وضـعاف ، ومضـمونها لا ينطبق على (محمد بن الحسن العسكري) .

وقد اعرض معظم الكتـاب الـذين ألفـوا حـول الغيبة كالمفيد والمرتضى والطوسي ، عن تبـــني نظرية (التمحيص) ما عـــدا الشيخ الصـدوق الـذي اهتم بها بعض الشـيء ، وان لم يتبنها تبنيا كـاملا ، خاصة بعد انقــراض الجيل الأول الـذي تعـرض للتمحيص حتى لم يبق منه أحد .

ولذا فمن الضروري التوقف فقط ، عند نظرية الخوف ، التي فسر بها بعض المتكلمين كالســيد المرتضى والشــيخ الطوسي والكـراجكي حالة (الغيبـة) . وقد اعتمد القـائلون بنظرية الخـوف على مجموعة روايات ضعيفة السند وعامة لا تحدد اسم القــائم ، وهي مروية عن زرارة عن الإمام الصادق (ع) قبل اكـثر من مائة عام من وفاة الإمام الحسن العسكري .

ولم يمكن اللجوء الى نظرية الخوف في تفسير الغيبة ، إلا بعد القــول بمجموعة من النقــاط الافتراضــية الوهمية ، كتحديد هوية الإمـام المهـدي من قبل ، وهو أمر أثبتنا في الفصل الثـاني عـدم صحته ، وكذلك افـتراض وجـود تـوتر سياسي بين الـبيت العلـوي والبيت العباسي الحاكم ، وهذا ما سـوف ننفيه في هـذا الفصل ، والقـول أيضا بفكـرة خاتمية المهـدي للأئمة الاثـني عشر ، وهـذه نظرية لم تكن موجـــودة في البداية ، وقد ظهـــرت في القـــرن الرابع الهجري ، و القول كـذلك بحرمة اسـتعمال الإمـام المهـدي للتقية وإخفـاء هويته حـتى يـوم ظهـوره ، وهو أمر لا ينسـجم مع سياسة الأئمة السابقين ولا مبرر له.

ومع كل ذلك فقد كانت نظرية الخوف بعيـدة جـدا عن أخلاق أهل الــبيت (ع) وحبهم للشـــهادة في ســـبيل الله ، وهي تثـــير

---

[369] - الكراجكي، كنز الفوائد، ج 1 ، ص 371

[370] - الطوسي، الغيبة، ص 3- 4

تساؤلات كبيرة حول السر وراء عدم حفظ الله تعالى للمهدي ، على فرض وجوده ، كما حفظ النبي موسى وأنجاه من فرعون ، وكما حفظ الرسول الأعظم (ص) المبشر به من قبل .

وبالرغم من عدم تحديد الأئمة من أهل البيت (ع) لهوية المهدي من قبل ، فان التسليم بهذه المقولة، جدلاً ، يثير تساؤلاً عن السر وراء إعلان أهل البيت لإسم القائم من قبل ، إذا كانوا يعرفون انه سيتعرض للضغط؟ ولماذا لم يتركوه سراً لحين موعد القيام ، حتى يجنبوا المهدي ملاحقة الأعداء منذ الولادة والطفولة؟

وإذا صحت نظرية الخوف من الأعداء فلماذا يستتر المهدي عن أوليائه؟ ولقد قام مئات الملايين من الشيعة عبر التاريخ بانتظار (الإمام المهدي) وإعلان الاستعداد لنصرته ، وقامت لهم دول تتبنى الإيمان به ، فلماذا لم يظهر مع ارتفاع الخوف بالتأكيد؟

وهذا سؤال طرحه بعض رؤساء الدولة البويهية الشيعية التي قامت في القرن الرابع الهجري ، على الشيخ المفيد ، وطالبه بالإجابة عليه ، فأحال المفيد الإجابة على الله وقال:" ان سر الغيبة لا يعلمه إلا هو" ، واعترف بكثرة الشيعة في ظل الدولة البويهية ، ولكنه شكك في صدقهم وشجاعتهم وتقواهم .[371]

والآن.. وبعد مضي اكثر من ألف عام على القول بنظرية (الخوف) في تبرير (الغيبة).. وبعد سقوط عشرات الدول وقيام أضعافها ، فان تلك النظرية تبدو بعيدة جدا عن الواقع ، وعارية عن أية مصداقية ، ولا تشكل سوى فرضية وهمية لتبرير فرضية وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري) وتناقض غيبته مع مسئولية الإمامة الملقاة على كاهله من الله . وهذا ما يثبت عدم صحة فرضية ولادة ووجود (الإمام الحجة بن الحسن). وإلا فلو كان حقا موجوداً لكان يجب عليه الظهور والقيام عند أول فرصة تسمح له بذلك ، وعدم جواز إبقاء الأمة مهملة بدون قيادة شرعية .

لقد طالب أصحاب نظرية الخوف ، الشيعة ، بأن يزيلوا الأسباب التي دفعت (الإمام المهدي) الى الغيبة ، وذلك بتمكينه وإعداد العدة لنصرته ، أو العزم على نصرته ومعاضدته والانقياد

371 - المفيد، الأمالي، ص 390

له والكف عن نصرة الظـالمين ، ودعوته للخـروج ، وقـال السـيد المرتضى في (الشافي): " ان المكلفين متمكنـون مما إذا فعلـوه زالت تقية الإمام وخوفه، ووجب عليه الظهور.. وقد بينا ان سبب الغيبة هو فعل الظالمين ، وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفـراج بينه وبين التصـرف فيهم، وبيّنا انهم (الشـيعة) مع الغيبة ، متمكنـون من مصـلحتهم ، بـأن يزيلـوا السـبب المـوجب للغيبة ليظهر الإمام وينتفعوا بتدبيره وسياسته".[372]

وقد زال الخوف اليوم ، وأزال الشيعة الأسـباب الـتي دفعت الإمام الى الغيبة ، وأعدوا العدة لنصرته ، وعزموا على معاضـدته والانقياد له والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوه للخــروج ، ولكنه لم يخرج ! بالرغم من قول السيد المرتضى بوجوب الظهور عليه في هذه الحال.

وكان الشيخ الصدوق قد رفض التصديق بقـول الواقفية، في غيبة الإمام الكاظم ومهدويته، لأن عمره كان قد تجـاوز يـوم ذاك العمر الطـــبيعي المعهـــود ، ومع ذلك فقد روى هو والطوسي روايات تقول بأن عمر المهدي قد يطـول مثل عمر نـوح ، وجـواز ان ينقض الله العادة لضرب من المصلحة .[373]

المبحث الثاني

الوضع السياسي العام عشية (الغيبة) وغداتها

القسم الأول: النظام العباسي

امتاز العهد العباسي الثاني ، بسيطرة الموالي الأتـراك على شؤون الخلافة ، والتدخل في تعيين الخلفـاء وإزالتهم ، حيث قتل (بـاغر) الـتركي المتوكل، نتيجة صـراعات داخل الـبيت الحـاكم ، وخلافات بين أركان السلطة والقوات المسلحة .[374] وورث عرش الخلافة من المتوكل ابنه محمد المنتصر ، وله من العمر 25 سنة ، ولكنه لم يستمر في الخلافة اكـثر من سـتة اشـهر حـتى تـوفي .[375] ثم قام قائدا الأتراك (وصيف) و(بغا) بعد وفاة المنتصر بقتل (باغر) الذي قتل المتوكل ، وجاءا بالمستعين الى سـدة الخلافة ، والسيطرة عليه ، بحيث لم يكن له من الأمر شـيء غـير الاسم ،

[372] - المرتضى، الشافي، ج 1 ، ص 147
[373] - الطوسي، الغيبة، ص 76 و78
[374] - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 38
[375] - المصدر، ص 52

حتى قال بعض الشعراء فيه:" خليفة في قفص بين وصيف وبغا ، يقول ما قالا له كما يقول الببغا". [376]

وقام المستعين باعتقـال أخويه المعـتز والمؤيد ، ثم ارتبك عليه الوضع فانحدر الى بغداد، فقام الموالي بـإخراج المعـتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه (وصيف وبغا) ببغداد ، فبايعوه ، وذلك في 11/ محرم/251 ، وأحدر المعتز أخاه احمد مع عـدة من المـوالي لحـرب المسـتعين الى بغـداد ، مما اضـطر المسـتعين الى الاسـتقالة من الخلافة يـوم الخميس 3 محـرم 252 هــ وسـلم الخلافة الى المعـتز الـذي بويع له ، وله يومئذ 18 سنة ، وعين أخاه المؤيد وليا للعهد ، ولكنه سـرعان ما حبسه لأنه سمع أن المؤيد يتآمر عليه ، ثم خلعه .[377]

وقام المعتز بقتل وصيف وبغا ، ومال الى المغاربة والفراغنة ، فنقم عليه الأتراك وثاروا عليه واجبروه على الاسـتقالة في أواخر شهر رجب سنة 255 هـ ، بعد ان حكم حوالي أربع سـنين وسـتة اشـهر ، وحـاول محمد بن الواثق ان يتوسط بينه وبين الأتـراك ، فقـال له المعـتز يائسـاً: أمر لا أطيقه ولا أقـوم به ولا اصـلح لـه. وحـاول المهتـدي ان يتوسط أيضا فقـال له المعـتز: لا حاجة لي فيها ولا يرضـونني لهـا. وقتل في محبسه بعد سـتة أيـام من الاستقالة .[378]

وقد نصب الأتراك بعد استقالة المعـتز ، المهتـدي محمد بن هارون الواثق ، وكان له من العمر 37 سنة ، وحكم حوالي عام ، من 29 رجب 255 هــ الى 16 رجب 256 هــ ، حيث قتل على أيدي الأتراك .

وكان موسى بن بغا الكبير ، عندما قتل المعـتز ، غائبا ، بينما كـان صـالح بن وصـيف ، يـدير الأمر مع المهتـدي ، فعـاد موسى مسـرعا ودخل (سرّ من رأى) بـدون إذن الخليفة المهتـدي ، وقتل صالح بن وصيف . [379]

وفي هذه الأثناء تمرد (مساور الشاري) ودنا في عسكره من سـامراء ، وعم النـاس بـالأذى ، وانقطعت السـابلة وظهـرت

---

[376] - المصدر، ص 60 - 61
[377] - المصدر.
[378] - المصدر.
[379] - المصدر ، ص 98

الأعراب ، فأخرج المهتدي ، موسى بن بغا ، وبايكال ، الى حــرب الشاري ، ولكنهما عادا ، ليهاجم بايكال الخليفة المهتدي ، وتكون بينهما حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس. وبعد أن قتل المهتــدي بايكــال في المعركة، انهــزم أمــام أصــحابه ، فــدخل سامراء مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح في الأســواق فلا مغيث ، فمضى يائسا من النصر، الى دار ابن خيعونة متخفيا ، فهجموا عليه وطعنوه بالخنــاجر ، وذلك في 16 رجب ســنة 256 هـ.

وفي ظل حكم هــذا الخليفة الضــعيف، يقــال ان (محمد بن الحسن العســكري) قد ولــد، ســراً، وكتم أبــوه الخــبر خوفا من بطشه.

وقد بويع بعد ذلك للمعتمد احمد بن جعفر المتوكل ، وهو ابن 25 سنة ، وبقي في الخلافة 23 ســنة الى ان تــوفي ســنة 279 هــ ، وقد كان ضعيفا جدا مشغوفا بــالطرب ، والغــالب عليه المعــاقرة ومحبة أنــواع اللهو والملاهي .. وبــايع المعتمد لابنه جعفر وســماه المفوض الى الله ، ولكن أخاه أبا احمد الموفق غلب على الأمور وتـــدبيرها فحظر على أخيه المعتمد وحبسه ، فكـــان أول خليفة يقهر ويحبس ويحجر عليه ، وعنـــدما تـــوفي الموفق قـــام ابنه المعتضد بأمور الناس في التدبير وخلع جعفر من ولاية العهد سنة 278 ، واصــطبح المعتمد في 19 رجب 279 وتغــدي غــداء مسموما فمات..ودخل إســماعيل بن حمــاد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة .[380]

وقد تــوفي الإمــام الحسن العســكري في عهد المعتمد ســنة 260 هــ ، وحــدثت (الغيبــة) والحــيرة، والخليفة المعتمد يبلغ من العمر حوالي ثلاثين سنة.

وتوفي المعتضد في 22 ربيع الثاني سنة 289 هـ فخلف ابنه علي المكتفي بالله ، الــــذي بويع له بالخلافة وله من العمر 25 سنة ، فكان شابا ضعيفا ، فغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ، ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم وزيره العبــاس بن الحسن وفاتك. [381]

---

[380] - المصدر، ص 141
[381] - المصدر ، ص 187

وعاش الخلفاء العباسيون بعد ذلك سلسلة من الصراعات الداخلية الدموية العنيفة على السلطة ، فيما بينهم وبين الموالي والأتراك ، فقد قتل المقتدر عام 320 هـ في الواقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم في بغداد ، وبويع للقاهر بالله بعده ، ثم خلع بعد اقل من عامين وسملت عيناه في 5/5/322 هـ وبويع للراضي بالله بعده ، الذي حكم حوالي خمس سنين ومات حتف انفه في 10/3/329 هـ ، ولكن عصره شهد سيطرة الموالي و (بجكم) التركي الذي ضرب الدنانير والدراهم ووضع صورته عليها وهو شاكي السلاح مع كتابة هذه الجملة " إنما العز فاعلم ، للأمير المعظم ، سيد الناس بجكم" . [382]

وبويع بعده للخليفة المتقي بالله في 1/3/329 هـ ، وظل في الخلافة حوالي أربع سنين ، ثم خلع وسملت عيناه في 3/4/333 هـ ، وذلك بسبب استعانته بالحمدانيين وتفويض الملك إليهم ، مما اغضب الأتراك وزعيمهم توزون الذين سيطروا على بغداد سنة 332 فتآمروا على المتقي وخلعوه وأرسلوا الى عبد الله بن علي المستكفي وبايعوه بالخلافة في 3/2/333 هـ ، ولكنه خلع بعد عام وسملت عيناه أيضا، وذلك على يدي احمد بن بويه الديلمي ، الذي اتهمه بمكاتبة بني حمدان واطلاعهم على أسراره ، وولى المطيع مكانه في 23/ شعبان / 334 هجرية.

القسم الثاني: وضع المعارضة

كما شاهدنا في القسم الأول ، كان من ابرز خصائص العصر العباسي الثاني: التفسخ والانحلال ، وقد نشأ من ضعف الخلافة وعدم امتلاكها زمام الأمور.. فصار أي واحد من أمراء الأطراف في الدولة الإسلامية الواسعة غير مقيد بالارتباط الوثيق بالعاصمة ، ان شاء كان مواليا ، وان شاء اصبح مستقلا وناجز الآخرين ، فكانت الحروب تدور في الأطراف بين الأمراء والولاة.

ومن أوضح تلك الموارد، الأندلس ، التي استقلت تلك الفترة بالخلافة تحت حكم عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان الشمال الأفريقي مستقلا الى حد كبير تحت إمرة آل الأغلب ، وكانت بلاد فارس والعراق مسرحا خصبا لجيوش يعقوب بن الليث الصفار وحروبه من سنة 253 الى ان توفي سنة 265 ، حيث خلفه أخوه

[382] - المصدر ، ص 245

عمـرو بن الليث ، وفي عـام 261 اسـتقل الى حد كبـير نصر بن احمد الساماني ببلاد ما وراء النهر حـتى تـوفي عـام 270 ، ولم تكن الأطـراف القريبة من العاصـمة (سر من رأى) بأحسن حـالا من الأطراف البعيدة ، فقد كـانت أيضا مسـرحا لمصـالح العمـال والقواد من ناحية ، ومسرحا لنشاط الخوارج والزنج ثم القرامطة من ناحية أخرى.

وكــان الخليفة المعتمد الــذي كــان مولعا بــالطرب والملاهي وشرب الخمور ، بالخصـوص ، ضـعيفا الى درجة كبـيرة بحيث لم تبق معه من الخلافة إلا صورتها بلا واقع.. لا حل له ولا عقد .

وشهد هذا العصر سلسلة من ثـورات الشـيعة والعلـويين بمختلف فئاتهم وأحزابهم ، رغم ان بعض الخلفاء العباسيين بــدأ يميل الى التشيع أو يتعاطف مع العلويين بصورة كبـيرة ، فقد كـان النظـام يتفسخ ويتفتت ، وربما حدث الصراع داخل البيت العباسي نفسه.

الثورات العلوية عشية (الغيبة)

يقول المسعودي في (مروج الذهب):" في عام 250 هـ ظهر ببلاد طبرســـتان الحسن بن زيد العلــــوي ، فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتـال شـرير.. وظلت في يـده الى ان توفي سـنة 270 فخلفه أخـوه محمد بن زيد ، الى ان حاربه رافع بن هرثمة ، ودخل محمد بن زيد الـديلم في سـنة 277 فصـارت في يـده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصـار في جملته وانقـاد الى دعوته والقـول بطاعتـه..وكـان الحسن ومحمد يـدعوان الى الرضا من آل محمد، وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان، وهو الحسن بن علي الحسني ، المعروف بالأطروش " . [383]

وفي نفس الـوقت (سـنة 250) ظهر بـالري محمد بن جعفر ودعا للحسن بن زيد صــاحب طبرســتان . كما ظهر بقــزوين الكركي ، وهو ثائر علوي آخـر، ثم التحق بالحسن بن زيـد. وظهر بعــده بــالري علــوي آخر هو : احمد بن عيسى ، ودعا الى الرضا من آل محمد ، وســيطر على الـــري. كما ظهر بعد ذلك بعـــام الحسـين بن محمد العلـوي بالكوفة ، وأجلى عنها عامل الخليفة . وثـار بعـده علـوي آخر هو : محمد بن جعفر. وفي عـام 251 ثـار

383 - المسعودي، مروج الذهب، ج4 ، ص 68

علي بن عبد الله الطـالبي المسـمى بالمرعشي في مدينة آمـل. كما ثار الحسـين بن احمد الأرقط بقـزوين ، وظل مسـتوليا عليها حتى عام 252 ، كما استولى على الري أيضا .[384]

وقد تم كل ذلك في ظل تدهور الأمور أيام الخليفة المستعين الـذي اختلف مع أهل بيته ، وانحـدر الى بغـداد ، فاضـطرب عليه الموالي وحاربوه واجبروه على خلع نفسه ، وتمت البيعة للمعتز.

وفي عام 252 هـ ، في ظل خلافة المعتز، الشـاب الـذي لم يكن قد تجـاوز العشـرين من عمـره ، ثـار العلـوي: إسـماعيل بن يوسف ، في المدينة. وخلفه بعد وفاته أخـــوه محمد بن يوسف ، ثم سار الى اليمامة والبحـرين واسـتولى عليها ، و خلف بها عقبه المعروف ببني الأخضر.[385]

وفي خلافة المهتدي سنة 255 ظهر صاحب الزنج في البصرة.

وفي عام 256 هـ خرج في مصر ، العلوي إبراهيم بن محمد، المعــروف بــابن الصــوفي . كما ثــار علي بن زيد في الكوفة ، وقاتل بعكبرا ، حتى قتل سنة 257 هـ .

وفي ســنة 257 ظهر القرامطة في البحــرين وامتــدوا الى البصرة والعراق والجزيرة.

وقد تفجرت في الري ثـورة شـيعية بقيـادة احمد بن الحسن المادراني الذي سـيطر عليها في عهد المعتمد ، في عـام 275 ، واظهر فيها التشيع وأقام حكومة شيعية. [386]

الثورات الإسماعيلية في اليمن وشمال أفريقيا

وكان (الحسين بن حوشب) قبل ذلك ، وبعد سنوات قليلة من وفاة الإمام العسـكري ، وذلك في سـنة 266 هــ قد اسـتطاع ان يؤسس في اليمن ، أول حركة إســـماعيلية ناجحة ، ويجمع حوله عـددا كبـيرا من قبائل اليمن ، ويظهر بينهم الـدعوة لــ :(المهـدي الإسـماعيلي) الـذي كـان يعيش مسـتترا في مدينة سـلمية في

---

384 - المصدر

385 - المصدر ، ص 91

386 - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، أحداث سنة 275 هـ

سوريا ، ويؤسس أول دولة إسماعيلية في التـاريخ. ثم أرسل ابن حوشب : الـداعي (أبا عبد الله الشـيعي) الـذي كـان قد انسـحب من الفرقة القائلة بوجـود (محمد بن الحسن العسـكري) والتحق بالإسماعيلية ، وكان يعمل محتسبا في بغداد ، أرسله الى شـمال أفريقيا للـــدعوة الى الإمـــام الإســـماعيلي المســـتتر (عبيد الله المهدي) . واستطاع أبو عبد الله في ظل ضعف الدولة العباســية ، ان يكسب تأييد قبيلة كتامة ، ويســيطر على المغــرب ويكتسح نفوذ بني الأغلب ، ويقضي على دولتهم في القـيروان في تـونس عاصـمة أفريقية ، ويؤسس الدولة الفاطمية ، الـتي امتـدت بعد ذلك الى مصر وسـوريا والحجـاز، وذلك في سـنة 296 في عهد الخليفة العباسي المقتــدر ، الــذي بويع وله من العمر 13 عاما ، وكان الإمام المهدي الإسماعيلي يقود نشـاطاته المعارضة للدولة العباسـية ويعمل على إسـقاطها ، وبعد نجاحه في تفجـير الثـورة في اليمن على يـــدي الـــداعي بن حوشب ، اســـتطاع ان يفجر الثــورة في واسط في العــراق ، على يــدي أحد أتبــاع المــذهب الإسـماعيلي:(حمـدان بن قرمـط) الـذي اكتسح جنـوب العـراق والجزيرة العربية وامتد الى سوريا .

تعاطف الخلفاء العباسيين مع العلويين

ونتيجة لـذلك ، فقد كـانت سياسة المعتضد لينة مع العلـويين كسياسة من سـبقه من الخلفـاء العباسـيين ، بـالرغم من خـروج الـــداعي في طبرســـتان واســـتقلاله بالســـلطة هنـــاك. يقـــول المسـعودي: ان الـداعي العلـوي بعث بمـال الى عاصـمة الخلافة لكي يوزع على آل أبي طالب فيها ، فعلم الخليفة المعتضد بـذلك ، فلم يستطع ، أو لم يشأ ان يعـارض ذلك ، بل أرسل الى الرجل المكلف بـــالتوزيع وأحضـــره ، وأنكر عليه إخفـــاء ذلك ، وأمـــره بإظهـاره ، وقرّب إليه آل أبي طـالب ، و ادعى الخليفة المعتضد انه كان قد شاهد الإمام علي في الرؤيا قبل ان يصل الى الخلافة وقال له: ان هذا الأمر سيصل إليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم ، فقال : السمع والطاعة. [387]

ويروي المجلسي عن محمد بن جرير الطبري : ان المعتضد ، الــذي ولي الخلافة بعد المعتمد ، عــزم على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس. [388]

---

387 - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 91

388 - المجلسي، بحار الأنوار، المجلد الثامن من الطبعة الحجرية، ص 523

واخفق المعتضد في مسعاه لمقاومة الحركة القرمطية ، إذ أرسل جيشا لقمعها فهزم واسر قائده ، وكان القرامطة يزحفون على البصرة تارة وعلى بغداد تارة ، وعلى الحجاز تارة أخرى. ونودي بزعيم لهم هو (صاحب الناقة أبو عبد الله محمد) خليفة وتسمى بأمير المؤمنين ، ثم هجموا على الشام وظهروا فيها سنة 289 هـ ، وظل خطرهم جاثما على المنطقة حتى نهبوا الكعبة وسرقوا الحجر الأسود وقتلوا آلافا من الحجاج سنة 317 ، ثم نهبوا البصرة واحتلوا الكوفة ، واضطر الخليفة المعتضد ان يعقد معهم الهدنة ويؤدي لهم (مائة وعشرين ألف دينار) كل عام .

وفي عهد الخليفة الطفل ، المقتدر بالله ، أصيبت الدولة العباسية بالضعف الشديد داخليا وخارجيا ، واحتل الروم ساحل الشام ومدينة اللاذقية سنة 298 ، وظهر محسن بن جعفر بن علي الهادي في دمشق سنة 300 هـ ، ولكنه هزم وقتل بعد ذلك .

ومنذ ذلك الحين شهد العصر العباسي سيطرة البويهيين (الشيعة) على مقاليد السلطة في عاصمة الخلافة العباسية بغداد ، حيث كانوا ينصبون الخلفاء ويعزلونهم .[389]

إذا ، فان الظروف المحيطة بـ :(الغيبة) من قبل ومن بعد ، لم تكن تنطوي على أي مبرر للخوف والتقية ، بحيث يخفي الإمام الحسن العسكري مولد ابنه ويكتمه بالمرة ، ولم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكري) لو كان موجوداً فعلا ، ان يظهر هنا وهناك . وحتى لو كان قد أعلن عن نفسه منذ البداية انه (المهدي المنتظر) لم يكن يصعب عليه اللجوء الى أطراف الدولة العباسية ويختبئ بالجبال والغابات ، وان يتحدى السلطات العباسية الضعيفة جدا ويقيم دولته المعهودة ، ويؤدي مسئولياته في إمامة الشيعة والمسلمين. ومن المعروف ان الحكام البويهيين (الشيعة المؤمنين به) طالبوا الشيخ المفيد ان يخرج ويحكم بدل الخليفة العباسي ، كما خرج (المهدي الفاطمي) وحكم في شمال أفريقيا ، بعد ان كان مستترا ، فلم يحر المفيد جوابا ، بعد تهافت حكاية التقية والخوف على نفسه من القتل .

[389] - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 277

المبحث الثالث

ماذا في علامات الظهور؟

إضافة الى عدم وجود مبرر حقيقي للغيبة ، فان القـائلين بها يتحدثون عن محـاولات السـلطة العباسـية للتفـتيش عن (الإمـام المهــدي) والقبض عليه ، ومع ذلك فــانهم يتحــدثون عن اختبــاء (المهــدي) في بيت أبيه في عاصــمة الخلافة (ســامراء) ولمــدة طويلة ، وهو ما ينـــاقض فلســـفة الغيبة المفترضة : (الخــــوف والتقيــة) ، حيث كـان ينبغي لو صح وجــوده ، ان ينـأى عن قبضة السلطة بالاختباء في نواحي البلاد البعيدة .

وبما ان الغيبة مناقضة لفلسفة الإمامة ، خاصة بتلك الصورة الطويلة ، فقد كان القول بها في البداية يتأرجح بين سـتة أيـام أو سـتة شـهور أو ست سـنين ، ثم تطـور الى ثلاثين عاما أو أربعين عاما أو مائة وعشرين عاما ، حسـبما تقـول روايـات كثـيرة ينقلها الطوسي .[390]

ولم تكن مدة الغيبة تتصور اكثر من عمر الإنسان الاعتيادي ، ولــذا فقد رفض الشــيخ الصــدوق قــول (الواقفيــة) بغيبة الإمــام موسى الكـاظم ، لإنه كـان قد تجـاوز العمر الطـبيعي في القـرن الرابع الهجري ، أي اصبح له من العمر حوالي مائتي عام .

وعلى أي حــال ، فـان الروايـات الـتي تتحـدث عن علامـات الظهـور ، تشـكل دليلا إضـافيا على عـدم صـحة نظرية (المهـدي محمد بن الحسن العســكري) وذلك لأنها تتحــدث عن علامـــات ظهور مضى عليها الزمان ، كالظهور بعد سـقوط الدولة الأموية ، والانتقام من الأمـويين . أو الظهـور في العهد العباسي ، أو نهايته عند اختلاف ولد بني العباس فيما بينهم ، أو في أعقـاب قتل (ذي النفس الزكيـــة) كما تقــول روايـــات أخــرى يــذكرها الطوسي والنعماني والكليني.

ويشير بعض الروايـات الى ان (المهـدي) سـيفتح القسـطنطينية التي استعصت على المسلمين قرونا طويلة ، وانه سيفتح الـديلم والسند والهند وكابل والخزر . وكل هذه العلامات أو المهمـات قد

---

390 - الطوسي ، الغيبة ، ص 76 - 78

حـدثت ولم يظهر المهـدي الموعـود ، مما يـدل على عـدم صـحة الروايات أو ارتباطها بأشخاص آخرين.

ويتحدث بعض الروايات عن علامات تعجيزية لا تحدث إلا يوم القيامة أو بعد زوال الـــدنيا ، كركـــود الشـــمس وسط الســـماء وطلوعها من المغرب ، وامتداد اليـوم الى 240 سـاعة ، وخـروج أموات من قبورهم .

أو يتحدث عن معاجز تقنية كالحـديث مع القـائم ورؤيته عن بعد ، بما يشبه جهاز (البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمـار الصـناعية) وقد حدث هذا الجهاز مؤخرا ، ولكن ليس على يدي القـائم ، مما يحول دون اعتباره معجزة من معاجز (المهـدي). أو حـدوث بعض العلامـات الغريبة الـتي تتنـافى مع سـنة الله في الحيـاة كـولادة الذكور دون الإناث بالآلاف للشخص الواحد ، كما يقول المفيد .

ومن الجدير بالذكر ان جميع الروايات الواردة في هذا الشأن هي مرسلة أو مروية عن مجاهيل وغلاة ووضاعين ، وهي لا تذكر هوية القائم المهدي بالتحديد ، وإنما تشير إليه بصورة عامة ، مما يحتمل وضــعها أو اختلاقها من قبل الحركـات المهدوية الســابقة في القـــرون الهجرية الأولى ، وبالتـــالي فإنها تشـــكل دليلا على تطور النظرية المهدوية ، وتطبيق أصحاب نظرية (المهـدي محمد بن الحسن العسكري) تلك الأحاديث عليه.

المبحث الرابع

دور الغلاة الباطنيين في صنع الفرضية (المهدوية)

بعد تهـافت الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية الـتي قـــدمها أصــحاب نظرية (وجــود المهــدي محمد بن الحسن العســكري) واتضاح ان ذلك القول لم يكن إلا " فرضية اجتهادية ظنية سرية" افترضها جماعة من النـاس ، يـأتي السـؤال المحـير الكبـير : من كان وراء ذلك القول الغريب الافتراضي ؟.. وكيف استطاع أولئك النـــاس إحداثه ؟ وما هي مصـــلحتهم من وراء ذلـــك؟ وما هي أجـواؤهم الثقافية والعقلية ؟ و لمـاذا اختـاروا القـول بوجـود ولد للإمام العسكري ، بالخصـوص ، من بين الخيـارات العديـدة الـتي

كــانت تواجه الشــيعة الإمامية بعد الحــيرة ؟ وكيف نجحــوا في تسويق نظريتهم ؟

ل ا يمكن الإجابة على هــذه الأســئلة ومعرفة حلولها بدقة ، إلا بالرجوع الى الوراء ، وقراءة التاريخ الشيعي العـام خلال القـرون الثلاثة الأولى ، والإطلاع على جـذور الحركـات المهدوية السـابقة وعلاقتها بالفرق الباطنية الغالية التي كانت تحاول إلصـاق نفسـها بأهل البيت (عليهم السلام) .

العلاقة بين الغلو والمهدوية في التجارب السابقة

كنا قد استعرضنا في الفصل الثاني من هذا الجزء، قصة نشوء حــوالي عشــرين حركة مهدوية ، وكــان معظمها وليد الحركـات المغالية ، وقد رأينا ان أول نظرية مهدوية في التــاريخ الشــيعي كـانت تـدور حـول الإمـام أمـير المؤمـنين (ع) وقد اختلقها الغلاة (السبئية) الذين كانوا يغـالون في شخصـية الإمـام علي ويرفعونه الى درجة الربوبية . [391]

أما النظرية الثانية فقد كــــانت حــــول محمد بن الحنفية ، وقد اختلقها الكيســانية المتــأثرين بالســبئية الغلاة ، وخاصة (الكربية) منهم . وكان رجل من الكيسانية الغلاة اسمه (حمـزة بن عمـارة الــبربري) قد طــور نظرية مهدوية ابن الحنفية ، فقــال بألوهيته وبنبوة ابن كرب ، وجعل من نفسه إماما مرتبطا بالسماء . [392]

وقد تناسلت تلك الحركة المغالية ، بعد ذلك ، الى عدة فرق ، وقـالت فرقة منهم تعـرف بــ :(البيانيــة) بزعامة (بيـان النهـدي) قـالت: بمهدوية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وغلت فيه ، وادعى (بيان) النبوة عن أبي هاشم.[393]

---

391 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 20

392 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 27 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 33

393 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 29 و 31 و34 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 34 و37

كما قال قسم آخر من الكيسانية الغلاة يعرف بـ :(الجناحيـة) بمهدوية الثائر الطالبي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار.[394]

وقد انتقلت عدوى الغلو من الكيسانية الى بعض الزيدية الذين قالوا بمهدوية (ذي النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) حيث رفض قسم منهم الاعتراف بوفاته وقالوا بغيبته ، وحدث فيهم ما حدث في الحركة الكيسـانية ، عنـدما قـام رجل يــدعى (المغــيرة بن ســعيد) بتطــوير النظرية المهدوية وادعى الإمامة لنفسه في ظل (غيبــة) ذي النفس الزكية ، ثم تــرقى به الأمر الى ان ادعى انه رســول نــبي ، وان جبرائيل يأتيه بــالوحي من عند الله ، كما يقول النوبختي والاشعري .[395]

وتسربت روح الغلو بعد ذلك من (المغيرية) الى (الخطابيـة) أصحاب أبي الخطـاب محمد ين أبي زينب الأجـدع ، الـذين كـانوا يغالون في الإمام الصادق ، ويؤلهونه ، وقد قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ورفضوا الاعتراف بوفاته في حياة أبيه ، وقـالوا بمهدويته وغيبته.[396]

وبالقرب من أجواء الغلو اللامنطقية تلك ، قال فريق آخر من الشـــيعة الامامية الفطحية، بمهدوية (محمد بن عبد الله الأفطح بن جعفر الصــادق) وكــان هــذا اغــرب قــول بالمهدوية في ذلك الزمان ، حيث نسب ذلك الفريق (المهدوية) الى شـخص موهـوم ليس له وجـود ، نتيجة المـرور في أزمة نظرية بعد وفـاة (الإمـام عبد الله الافطح) دون عقب يخلفه في الإمامة ، وذلك بســـبب إيمانهم بضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقـاب الأعقـاب الى يوم القيامة، وعدم جواز الجمع بين أخوين في الإمامة .[397]

وقد كان القول بوجود (محمد بن عبد الله الأفطح) في البداية ، مجرد فرضية فلسفية ، ولكنهم قــاموا بعد ذلك بحياكة مجموعة

---

[394] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 35 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 44

[395] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 63 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 77

[396] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 68- 69 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 81

[397] - الأشعري القمي، المقالات ، ص 88

من القصص الأسـطورية حـول اللقـاء به ومشـاهدته هنا وهنـاك ، واختلقوا بعض المعاجز للاستدلال الغيبي على وجوده.

والى جانب هؤلاء وأولئك.. كان فريق آخر من الشيعة الامامية المتأثرين بالغلاة وهم (الواقفيـة) يقولـون بمهدوية الإمـام موسى الكـاظم (ع) وغيبته واسـتمرار حياته الى أمد غـير منظـور. وكـان بعضـهم يـزعم ان الكـاظم مـات ثم قـام بعد موته ، واختفى في موضع من المواضع السرية .[398]

وكما حدث في الحركتين الشيعيتين الكيسـانية والزيدية، من اســتغلال بعض أقطابهما لفكـــرة المهدوية، وادعـــاء الإمامة أو النبوة ، قام واحد من (الواقفية) اسمه (محمد بن بشير الكوفي) بادعاء الخلافة و (النيابة الخاصة) عن الإمـام الكـاظم (الغـائب) ، والالتقـاء به في (غيبتــه) . وذلك من اجل الحصــول على منــافع مالية وسياسية ضخمة ، ثم نقل الخلافة الى ولـده (سـميع) والى من أوصى إليه سـميع من بعـده . وقـال :"انه الإمـام المفـترض الطاعة على الأمة الى وقت ظهور موسى ، فما يلزم النـاس من حقـوقهم في أمـوالهم مما يتقربـون به الى الله عليهم أداؤه إليه الى قيام القائم" .[399]

ويقول النوبختي والاشعري : ان محمد بن بشير كان على قدر كبير من الغلو والقول بالتناسخ والتفويض والإباحة.[400]

التفسير الباطني

الى جانب القول بالمهدوية والغلو في الأئمة ، الذي طبع قسما من المنتسبين للحركة الشيعية العريضة ، كـان يوجد أيضا القـول بالتفسير الباطني . وفي الحقيقة ان كثـيرا من المقـولات الباطلة لم تكن تسـتقيم إلا بهـذا التفسـير البـاطني المقلـوب للأحـداث والأقــوال ، ورفض الاعــتراف بالحقــائق التاريخية الظاهرية ، أو اختلاق حـوادث وأشـخاص لا وجـود لهم ، كعـدم الاعـتراف بوفـاة الإمام أمـير المؤمـنين ، أو وفـاة محمد بن الحنفية ، أو وفـاة ابنه أبي هاشم ،أو وفاة ذي النفس الزكية ، أو وفاة الإمـام الصـادق ،

---

398 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 80 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 90

399 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 83 - 84 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 91

400 - المصدران،

أو وفاة ابنه إسماعيل ، أو وفاة الإمام الكاظم ، واختلاق ولد لعبد الله الأفطح الذي مات دون خلف ظـاهر ، والقـول بوجـود ولد له في السر أخفاه للتقية .

وقد كـان (الخطابية) أتبـاع (محمد بن أبي زينب الأجـدع) ينسـبون الى الإمـام الصـادق معـاني الغلو الفاحشة ويقولـون انه الله ، وقد حج جماعة منهم الى بيت الله الحـــرام ولبـــوا هكـــذا : (لبيك يا جعفر لبيـك) فـارتعش الإمـام الصـادق من قـولهم وخـرّ سـاجدا الى الأرض، واسـتنكر قــولهم اشد اســتنكار، ثم لعن أبا الخطاب ، فذهب أصحابه إليه واخبروه بلعن الإمـام الصـادق له ، فأجابهم بـأن الإمـام لا يلعنه شخصـيا، وإنما يلعن رجلا آخر يحمل نفس الاسم في البصـرة ، وقد كـان هو يعيش في الكوفـة. فعـاد أصــحابه الى الإمـــام الصـــادق في المدينة واخـــبروه بمقالة أبي الخطاب الكوفي ، فحدده الإمـام بالاسم واللقب والمكـان وجميع المواصفات الخاصة ، وكرر لعنه والبراءة من قوله. وعندما اخبره أصـحابه بـذلك لم يـتراجع وظل مصـرا على دعـواه بالانتمـاء الى الشـيعة والى الإمـام الصـادق ، ونسـبة أقواله الى الإمـام سـرا ، وقـال: ان الإمـام لم يلعنه بهـذه الصـورة الدقيقة العلنية إلا لكي يحافظ على بقية الشيعة من آثـار قــول الألوهية ، تماما كما فعل الخضر الذي خرق السفينة لينقذها من الغصب والمصادرة ، وقرأ قوله تعـالى:"أما السـفينة فكـانت لمسـاكين يعملـون في البحر، فـأردت ان أعيبها ، وكـان وراءهم ملك يأخذ كل سـفينة غصـبا" الكهف 79 . [401]

وكان الباطنيون ينسبون كثيرا من الأقوال والآراء الى أئمة أهل البيت ، سـراً وخلافا لما كـان يعلن به أهل الـبيت ويقولـوه أمـام الملأ من الناس ، وبشـكل يتعـارض مع مـواقفهم الحقيقية ، ولما كان الأئمة ينفون تلك الأقوال الغريبة ويستهجنونها أو يرفضونها ، كـــان البـــاطنيون يتشـــبثون بـــأقوالهم ويفســـرون نفي الأئمة لادعاءاتهم بالتقية وبخوف الأئمة من إعلان الحق والتحـدث بما لا يحتمله الناس !.

وبغض النظر عن مناقشة دعوى (التقية) ونسبتها الى أهل الـبيت ، بهـذه الصـورة المناقضة لأمانة الكلمة والمحافظة على الرسالة ، فان الباطنيين استطاعوا لعب أدوار كبـيرة في التـاريخ الشـيعي وتحريف النـاس عن خط أهل الـبيت ، في كل زمـان ،

---

401 - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 51

حتى جاء عهد الإمام الحسن العسكري ، الذي توفي عن دون ولد ظاهر ، وأوصى بأمواله الى أمه (حـديث) ولم يتحـدث عن وجـود ولد له في حياتــه. وقد قبل جميع المســلمين هــذه الحقيقة كما قبلها معظم الشيعة الامامية وذهبـوا الى القـول بإمامة جعفر بن علي الهادي ، أو القـول بانقطـاع الإمامة ، أو القـول بالشـورى .. ولكن فريقا من الغلاة والبـاطنيين رفض التســليم بهــذه الحقيقة الظاهرية ، وأصر على اختلاق قصة ســرية ووجــود ولد مكتــوم ومخفي لم يعلن عنه الإمـــام العســـكري خوفا عليه من القتل ، وتقيــة. وارتد قسم منهم عن القـول بإمامة الحسن العسـكري ، وراح يقـول بمهدوية محمد بن علي الهـادي الـذي كـان قد تـوفي في حيــاة أبيه ، ويــرفض الاعــتراف بهــذه الحقيقة ، ويصر على اختفائه واسـتمرار حياته الى يـوم الظهـور ، تماما كما فعل قسم من الإسماعيلية الذين رفضوا التسليم بوفـاة إسـماعيل بن جعفر الصادق ، وفسروا عملية الدفن التي قام بها الإمام الصــادق بأنها مسرحية من قبل الإمام !

وقد رفض مشـايخ الطائفة الامامية الاثـني عشـرية كالشـيخ المفيد والمرتضى والطوسي منهج الفـــرق الشـــيعية الأخـــرى الباطنية، التي ترفض الاعتراف بوفاة الإمــام علي ، أو ابنه محمد بن الحنفية أو ابنه أبي هاشم، أو وفـــاة الإمـــام الصـــادق أو ابنه إســـماعيل، أو وفــاة الإمــام موسى الكــاظم ، أو وفــاة الإمــام العسكري أو أخيه محمد ، وذلك لمخالفة منطقها الباطني للظاهر ، الذي يشكل حجة لله على الناس . ولكن جميع القـائلين بوجـود (الإمـام محمد بن الحسن العسـكري) ينتهجـون بـدورهم المنطق الباطني حيث يعترفون بعدم إعلان الإمام العسكري لولادة (ابنه) ووصــيته لوالدته عند وفاته ، ويفســرون ذلك بــالخوف و التقيــة. وبغض النظر عن مناقشة هـــــذه الـــــدعوى والتأكد من حقيقة الظروف المحيطة بوفاة الإمام العسكري ، فان القول بوجود ولد له في السر ، هو إذن قول باطني سري مخالف للظاهر .

وقد رأينا أيضا : ان معظم الروايات الـتي تتحـدث عن ولادته ومشــاهدته في حيــاة أبيه تتضــمن معــاني الغلو الفاحشة والعلم بالغيب وما الى ذلك ، من مقولات الغلاة المتطـرفين ، ويجـدر بنا ان نتوقف قليلا عند الحركة المغالية (النميريــة) الــتي كــانت قد نشأت حـول الإمـام علي بن محمد الهـادي ، على يـدي محمد بن نصير النميري، الذي كان من أقطاب الشيعة في البصـرة . وكـان

هــذا قد رفع الإمــام الهــادي الى درجة الألوهية ، وادعى لنفسه مرتبة النبوة والرسالة من قبل الإمام ، وكان يقول بالتناسخ .[402]

وقد التف هذا الغالي (النميري) بعد وفاة الإمام الهادي ، حول ابنه الامام الحسن العسكري ، وكان بعد وفاته من ابــرز القــائلين بوجــود (ولــد) له في السر ، هو : (محمد بن الحسن العســكري) وقد ادعى البابية و(النيابة الخاصة) عنه ، ثم ادعى النبــوة وأورثها الى عدد من أصحابه .

والى جانب النميرية كان يوجد في تلك الأيـام تيـار آخر من الغلو والغلاة في صــفوف الشــيعة الامامية ، هم : (المخمســة) الذين يعتقدون ، كما يقول سعد بن عبد الله الاشـعري القمي :" ان الله عز وجل هو محمد ، وانه ظهر في خمس صور مختلفة .. ظهر في صــورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحســين ، وان أربعة من هــذه الصــور الخمسة تلتبس لا حقيقة لها ، والمعــنى شخص محمد وصورته لأنه أول شـخص ظهر وأول نــاطق نطق ، لم يزل بين خلقه موجودا بذاته يتكون في أي صورة شـاء ، يظهر نفسه لخلقه في صور شتى من صور الذكران والإنــاث والشــيوخ والشباب والكهول والأطفال ، يظهر مرة والدا ومرة ولـدا وما هو بوالد ولا بمولود ، ويظهر في الــزوج والزوجة ، وإنما اظهر نفسه بالإنســانية والبشــرانية لكي يكـون لخلقه به انس ولا يستوحشــوا ربهم.

" وان محمدا كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى لم يزل ظاهرا في العــرب والعجم.. وانه كـان يظهر نفسه لخلقه في كل الأدوار والدهور ، وانه تراءى لهم بالنورانية ، فدعاهم الى الإقــرار بوحدانيته فــأنكروه ، فــتراءى لهم من بــاب النبــوة فــأنكروه ، فــتراءى لهم من بــاب الإمامة فقبلــوه ، فظــاهر الله عز وجل بالإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد يدركه من كان من صفوته بالنورانية ، ومن لم يكن من صـفوته بدرجة بالبشــرانية اللحمانية الدموية ، وهو الامـــام ...وان كل من كـــان من الأوائل مثل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير، هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الاسم ، وان المعـنى

---

[402] - الحلي، الخلاصة، ص 273 ، والشيخ الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي، تاريخ الأئمة، ص 20 ، والطوسي، الغيبة، ص 2444 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 101 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 367

واحد ، وهو سـلمان وهو البـاب الرسـول يظهر مع محمد في كل صورة ظهر ، وهو رسول محمد متصل به ، ومحمد الرب" .[403]

ويقول الاشعري القمي :" انهم (لعنهم الله) اظهـروا دعـوة التشيع واستبطنوا المجوسية ، فزعمـوا ان سـلمان (رحمه الله) هو الرب ، وان محمدا داعٍ إليه ، وان سلمان لم يزل يظهر نفسه لأهل كل دين . وذهبوا في جميع الأشياء مذهب المجـوس" . وقد كـان شـيعة الكـرخ في تلك الأيـام من (المخمسة) وانه لا أحد يشك في ذلك . كما يقول الشيخ الطوسي .[404]

وكان شيخ الشيعة بالكرخ يوم ذاك :(احمد بن هلال العبرتائي) وهو من اعظم الغلاة - وقد اخـرج الحسـين بن روح النوبخـتي (النـائب الثـالث) توقيعا بلعنه بشـدة والتـبرؤ ممن لا يلعنه - وقد كـان قطبا رئيسـيا في عملية اختلاق نظرية (وجـود ولد مخفي) للامـام الحسن العسـكري ، ومن اقـرب المسـاعدين لعثمـان بن سـعيد العمـري (النـائب الأول) وقد أيـده في دعـوى (الوكالة عن المهـدي) ثم اختلف مع ابنه محمد (النـائب الثـاني) وادعى النيابة لنفسه .

والى جـانب أولئك الغلاة النميرية والمخمسة ، كـان يوجد في صفوف الشـيعة تلك الأيـام صـنف آخر من الغلاة هم (المفوضـة) الذين كانوا يعتقدون:" ان الله أقـام شخصا واحـدا كـاملا لا زيـادة فيه ولا نقصـان ، ففـوض إليه التـدبير والخلق ، فهو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسـين وسـائر الأئمة ، ومعنـاهم واحد ، والعـدد يلبس ، وان هـذا (الواحد الكامـل) - أي محمد - هو الـذي خلق السماوات والأرضين والجبال والإنس والجن والعالم بما فيه .[405]

وقد اضـطر هـؤلاء (المفوضة) بعد وفـاة الامـام الحسن العسكري الى افـتراض (وجـود ولد) له في السر ، لكي تسـتمر نظرية (الواحد الكامل) الذي يدبر الكـون ويخلق ويـرزق .. ولكن عامة الشيعة لم يكونوا يؤمنون بأفكارهم الغالية ، وقد حـدث بين الفريقين نوع من التنازع والاختلاف ، وقاموا بالاحتكـام الى محمد بن عثمان العمري ، باعتبـاره (نائبا عن صـاحب الزمـان) وطلبـوا منه ان يحسم النزاع ، فأخرج لهم (توقيعـا) يتضـمن رفض نظرية

---

403 - الاشعري القمي ، المقالات والفرق، ص 58

404 - الأشعري القمي، ص 62 ، والطوسي، الغيبة، ص 256

405 - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 61

(التفويض الكامل) ، ويؤكد تـدخل الأئمة في السـؤال من الله ان يخلق فيخلق ، أو يرزق فيرزق .[406] ولم يخلُ جواب العمـري لهم ، في الواقع ، من درجة مخففة من القـــول بـــالتفويض ، وهو ما يدل على ارتباطه وارتباط القول بوجود (ابن الحسن) بالغلاة.

وهـذا ما يؤكـده الحسـين بن روح النوبخـتي في حديثه عن اختلاف الشيعة في ذلك الزمان حـول مسـألة التفـويض ، وذهابه الى أبي طـــاهر ابن بلال (أحد أقطـــاب النظرية المهدويـــة) ومناقشـته في الموضـوع ، وإخراجه حـديثا عن أبي عبد الله (ع) يذكر فيه:" ان الله إذا أراد أمرا عرضه على رسول الله ، ثم أمير المؤمنين، ثم الأئمة واحـدا بعد واحد .. الى ان ينتهي الى صـاحب الزمـان ، ثم يخـرج الى الـدنيا . وإذا أراد الملائكة ان يرفعـوا الى الله عز وجل عملا عــرض على صــاحب الزمــان ثم يخــرج على واحد واحد من الأئمة الى ان يعـرض على رسـول الله ثم يعـرض على الله عز وجل ، فما نــزل من الله فعلى أيــديهم ، وما عــرج الى الله فعلى أيـــديهم ، وما اســـتغنوا عن الله عز وجل طرفة عين" .[407] وهو ما يوحي بمشاركة الأئمة مع الله في إدارة الكـون ، وهذا نوع من (التفويض) غير الكامل .

وكان محمد بن الحسن الصفار القمي ، الـذي كـان معاصـرا لفــترة الحــيرة ، وكــان أحد أقطــاب (النظرية المهدوية الاثــني عشــرية)، يعتقد بنــوع من التفــويض للأئمة في التشــريع وإدارة الحياة ، وهو يقول:" وجدت في كتـاب قـديم في نـوادر محمد بن سنان ، قـال قـال أبو عبـد الله :" لا والله ما فـوّض الله الى أحد من خلقه ، إلا الى رسـول الله والأئمة ، فقـال:(انا أنزلنا الكتـاب لتحكم بين الناس بما أراك الله) وهي جارية في الأوصياء" .[408]

ومن الواضح ان هـذه النظرية تحتـوي على درجة من الغلو ، وان لم تصل الى درجة القــول بــالتفويض في الخلق والــرزق و إدارة الكــون . وقد كــان الصــفار يتطــرف في الغلو في الأئمة ، يشـــهد على ذلك كتابه (بصـــائر الـــدرجات) المليء بالأفكـــار المرفوضة من الشيعة اليوم .

وكـان بعض أهل نيسـابور من الشـيعة على درجة كبـيرة من الغلو والارتفاع والتفـويض ، كما يقـول الكشي في ترجمة الفضل

---

[406] - الطوسي، الغيبة، ص 178
[407] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 238
[408] - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 376

بن شـــاذان . وعموما فقد كـــان الغلو بمختلف مدارسه ومذاهبه ينتشر بين الشيعة في منتصف القرن الثالث الهجري ، كما يقـول السيد هبة الدين الشهرستاني في مقدمته لكتاب الشـيخ المفيد : (أوائل المقالات) .

وقد لعب جعفر بن محمد بن مالك الفـزاري ، وآدم البلخي ، واحمد الرازي ، والحسـين بن حمـدان الخصـيبي، دورا كبـيرا في نشر نظرية (وجود الامـام المهـدي) ونسج الروايـات الأسـطورية حـول مولـده واللقـاء به ، وكـان هـؤلاء من أعـاظم الغلاة الـذين يجمع علماء الحديث الشيعة على رفض أحاديثهم.

المبحث الخامس

دور الإعلام في تكريس الفرضية المهدوية

السؤال الذي يفـرض نفسه الآن .. بعد وضـوح تـأليف نظرية (المهـــــــدي محمد بن الحسن العســـــكري) من قبل الغلاة والمتكلمين وأدعياء النيابة المستفيدين ، وتبين عدم وجـود رصـيد لها من الواقع والحقيقة ، وأنها لم تكن إلا فرضية وهمية اخترعت في عصر (الحيرة) التي أعقبت وفـاة الإمـام العسـكري دون ولد يرثه في الإمامة .. السؤال هو: كيف إذاً شـقت هـذه النظرية أو الفرضية طريقها الى عقول وقلوب ملايين المسلمين من الشيعة الامامية الاثـني عشـرية ، وغـيرهم عـبر التـاريخ؟ وكيف أصـبحت عقيدة راسخة وقوية ؟

في الإجابة على هذا السؤال لا بد ان نقول: أولاً : إن الشيعة الأوائل في عصر الأئمة من أهل الـــبيت (ع) لم يعرفـــوا هـــذه النظرية بتاتاً ، كما لم يعرفها الشـــيعة بعد وفـــاة الامـــام الحسن العسـكري مباشـرة ، وقد احتـار الامامية في أمـرهم عنـدما لم يجـدوا له خلفا ظـاهرا ، وكـان المهـدي مجهـولاً لـديهم بـالمرة، وغامضا غير محدد في شخص معين ، وقد قالت فرقة واحدة من أربعة عشر فرقة بنظرية وجود ولد للامام العسـكري ، مما يعـني

ان الشـــيعة لم يجمعـــوا على هـــذه النظرية في فـــترة (الغيبة الصغرى) وربما مال إليها بعض الشيعة الامامية .

ثم .. ان عامة الشيعة تراجعـوا عن هـذا القـول بعد حـوالي خمسين عاما ، وقد سجل الكليـني في (الكـافي) والخصـيبي في (الهداية الكـبرى) ظـاهرة الـتراجع عن القـول بوجـود الولد عند قوم من أهل المدينة من الطالبيين . [409]

وقال تلميذ الكليـني : محمد بن أبي زينب النعمـاني (تـوفي سـنة 340 هــ) :" انا رأينا طوائف من العصـابة المنسـوبة الى التشـــيع ممن يقـــول بالإمامة .. قد تفـــرقت كلمتها وتشـــعبت مذاهبها.. وشكوا جميعا إلا القليل في إمام زمـانهم وولي أمـرهم وحجة ربهم ... فلم يزل الشك والارتيـاب قـادحين في قلـوبهم... حـتى أداهم ذلك الى التيه والحـيرة والعمى والضـلالة ، ولم يبـقَ منهم إلا القليل الـــنزر" . وقـــال في موضع آخر من كتابـــه:" أي حيرة اعظم من هذه الحـيرة الـتي أخـرجت من هـذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير؟.. ولم يبقَ ممن كـان فيه إلا الـنزر اليسـير ، وذلك لشك الناس" . [410]

وروى النعماني مجموعة من الروايات التي تتحدث عن وقوع الحـيرة بعد الغيبة ، ووصف حالة الحـيرة الـتي عمت الشـيعة في ذلك الوقت ، فقـال:" ان الجمهـور منهم يقـول في (الخلـف) أين هـو؟ وأنى يكـون هـذا ؟ والى مـتى يغيب؟ وكم يعيش؟ هـذا وله الآن نيّف وثمانون سنة ؟ فمنهم من يـذهب الى انه ميت ، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة ، ويسـتهزئ بالمصـدق به ، ومنهم من يستبعد المـدة ويسـتطيل الأمد" . وقـال:" شـذّ الأكـثر ممن كـان متقـدما وطـار يمينا وشـمالا .. وتفـرق النـاس عنه (الخلـف) ويأسـهم منه واسـتهزائهم بالمعتقد لإمامته ونسـبتهم إياهم الى العجز . ووصف القائلين بوجود (الامام الثاني عشر) ب : · الشـرذمة المنفـردة عن هـذا الخلق الكثـير المـدعين للتشـيع الـذين تفـرقت بهم الأهـواء.. واستوحشـوا من التصـديق بوجـود الامام مع فقدان شخصه وطول غيبته" . [411]

---

[409] - الكيني، الكافي، ج1 ، ص 518 ، والخصيبي، الهداية الكـبرى، ص 370

[410] - النعماني، الغيبة، ص 20 و 186

[411] - المصدر ، ص 157 و113

كما أشار الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (توفي سنة 381 هـ) في مقدمة كتابه :(إكمـال الـدين وإتمـام النعمـة) الى حالة الحــيرة الــتي عصــفت بالشــيعة ، وقــال:" وجــدت اكــثر المختلفين اليّ من الشـيعة قد حـيرتهم الغيبة ودخلت عليهم في أمر القـــائم الشـــبهة وعـــدلوا عن طريق التســـليم الى الآراء والمقـاييس.. وورد إلينا شـيخ من بخـارى من أهل الفضل والعلم والنباهة ببلد قم ، فبينا هو يحـدثني ذات يـوم إذ ذكر لي عن رجل قد لقيه ببخارى من كبار الفلاسـفة والمنطقـيين كلاما في القـائم قد حيره وشككه في أمـره ". " وقد كلمـني رجل بمدينة السـلام (بغداد) فقال لي: إن الغيبة قد طالت، والحيرة قد اشـتدت ، وقد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول الأمد".[412]

وقد ذكر الكليني والنعماني والصدوق مجموعة من الروايـات التي تؤكد وقـوع الحـيرة بعد غيبة صـاحب الأمر واختلاف الشـيعة وتشتتهم في ذلك العصر ، واتهام بعضـهم بعضا بالكـذب والكفر ، والتفل في وجوههم ولعنهم ، وانكفـاء الشـيعة كما تكفأ السـفينة في أمواج البحر ، وتكسّـرهم كتكسر الزجـاج أو الفخـار، وقـولهم بموت صاحب الأمر، وارتدادهم وعدم البقاء على أمـره إلا يسـيرا منهم .[413]

وبغض النظر عن مناقشة هـــذه الروايـــات المختلقة أو المستوردة من الفرق الشيعية والحركات المهدوية القديمة ، فان نقل الكليـــني والنعمـــاني والخصـــيبي والصـــدوق وغـــيرهم لها ، وتطبيقهم لها على الشـيعة في القـرن الرابع ، يكشف عن تراجع عامة الشـــيعة، في ذلك الـــوقت، عن القـــول بوجـــود (محمد بن الحسن العسكري) بعد قول فئة منهم بذلك فترة من الزمن.

وإذا كانت النظرية قد أصبحت في وقت لاحق عند قسم من الشيعة الامامية وهم (الاثـني عشـرية) أشـبه بالعقيـدة الراسـخة الــتي لا تقبل الجــدل أو النقــاش ، فليس ذلك إلا بســبب عملية إعلامية كبرى قام بها أدعياء النيابة وأعوانهم ، وامتدت آثارها الى اليوم .

كانت الحملة الإعلامية تتألف من عدة أمور ، هي :

---

412 - الصدوق:إكمال الدين، ص 2 و 16

413 - الكليني، الكافي، ج 1، ص 336 و338 و340 ، والنعماني، الغيبة، ص 89 و206 و208 ، وال صدوق، إكمال الدين، ص 408 وعيـون أخبـار الرضا، ص 68

1 - التلفيق الروائي ، واختلاق الأحاديث المختلفة حول (الاثني عشرية والمهدي) . وقد مـرّ عرضـها ونقـدها في الفصل الخـاص بالأدلة النقلية حول إثبات المهدي .

2 - الإرهــاب الإعلامي ، وقد اســتخدم أصــحاب النظرية ، بالإضافة الى ذلك ، قسما آخر من الروايـات الهجومية الـتي تتهم من لا يـؤمن بالمهـدي المفـترض :(محمد بن الحسن العسـكري) بالكفر والردة والفسق والضلال ، والتي تساوي بين إنكار (وجود) المهدي وإنكار الرسول الأعظم ، وتكذيبه والجحد بنبوته . [414]

واعتمدت الحملة الإعلامية على بعض الأحاديث القديمة التي تعتبر من يموت ولا يعرف إمام زمانه كأنه قد مـات ميتة جاهلية ، وفسرتها بمعرفة (صاحب الزمان وإمام العصر المهدي المنتظـر) واعتـبرت كل من لم يعرفه ومن لم يـؤمن به بأنه سـوف يمـوت ميتة جاهلية ، وذلك بــالرغم من عــدم وجــود طريق الى معرفته والالتفاف حوله ونصرته والانقياد إليه. حيث قال محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني) : انه سمع الحسن العسكري يقـول:" من مات ولم يعرف ابني مات ميتة جاهلية ".[415]

وذهب العمري شأواً بعيـدا جـدا في هجومه الإعلامي ، حيث اعتــبر المشــككين بوجــود المهــدي مفــارقين للــدين ومرتــابين ومعاندين للحق ، وأخرج (توقيعا) باسم المهدي يندد بمن لا يؤمن به ويهـدده بالويل الـوخيم . وقد سـاعد الشـيخ أبو عبد الله جعفر الحميري القمي ، وسـعد بن عبد الله الاشـعري القمي على نشر تلك الرسالة في صفوف الشيعة.

3 - الأدعية والزيـارات ، وربما كـانت الأدعية والزيـارات أهم عمل إعلامي ســـاهم في ترســـيخ نظرية (المهـــدي محمد بن الحسن) بين الشيعة ، وذلك لما لهـذه الأدعية والزيـارات من دور حيـوي مـؤثر في حيـاة النـاس ، حيث يـدأب الشـيعة على قـراءة الأدعية عقيب كل صـــــــلاة وفي جميع المناســـــــبات الدينية ، ويحرصون على زيارة قبور الأئمة دائما وفي الجمعات.

والأدعية والزيارات المتداولة بين الشيعة حول المهدي والقائم تنقسم الى قسمين :

---

[414] - الصدوق، إكمال الدين، ص 338 و361 و409 – 410 و 412 - 413

[415] - المصدر نفسه.

أ - أدعية عامة وغير محددة بمحمد بن الحسن العسكري ، وإنما تدور حول القائم أو المهدي المطلق ، كدعاء صاحب الأمر ، أو الدعاء في غيبة الامام ، وهي مروية عن الأئمة السابقين كالباقر والصادق والكاظم والرضا ، مما ينسجم مع العمومية التي كانت تلف موضوع المهدي نفسه وعدم تحديد هويته في زمن الأئمة ، الأمر الذي بحثناه في الفصول الماضية ، وهو ما يوحي بأن هذه الأدعية والزيارات مستوردة من التراث الشيعي القديم ، أو الفرق الشيعية المختلفة ، كالواقفية التي كانت تقول بمهدوية الامام الكاظم ، وقد طبق الشيعة المتأخرون تلك الأدعية والزيارات على المهدي (محمد بن الحسن) الذي افترضوا وجوده ، حتى لم يعد لها من مفهوم سوى هذا (الامام المهدي) ، ولم يعد أحد ينتبه الى عمومية الروايات وعدم تحديد المصداق الخاص بها .

ب - أدعية خاصة محددة بمحمد بن الحسن العسكري ، كأدعية شهر رمضان ودعاء الافتتاح والاختتام واليوم الثالث عشر منه ، ودعاء العهد والندبة ، والزيارات المختلفة لمراقد أهل البيت (ع) وزيارة سرداب الغيبة في سامراء. وهي أدعية وزيارات مؤلفة بصورة مستقلة ، أو ملفقة من مجموعة روايات ، أو أدعية عامة مضاف إليها اسم المهدي .

ومما يميز هذه الأدعية والزيارات التي تتحدث عن المهدي وتذكر اسمه بالتحديد ، بعد ان تسرد أسماء الأئمة السابقين واحدا واحدا ، أنها تخلو من ذكر السند ، وتعتمد على الإرسال التام ، وهي صادرة عن عثمان بن سعيد العمري (النائب الأول) أو ابنه محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني) أو الحسين بن روح النوبختي (النائب الثالث) أو محمد بن جعفر الحميري الذي كان أحد مساعدي العمري في مدينة قم .

وقد روى السيد ابن طاووس في (مهج الدعوات) دعاء يقول انه يصلح لأيام الغيبة ، يقول انه رأى في المنام من يعلمه إياه ![416] وروى المجلسي بالإسناد الى علي بن محمد بن عبد الرحمن البشري ، قال : دخلت مسجد صعصعة (في الكوفة) وإذا برجل عليه ثياب الحجاز وعمته كعمتهم قاعد يدعو بهذا الدعاء :" اللهم يا ذا المنن السابغة..." ثم سجد طويلا وقام

---

416 - راجع: محمد تقي الموسوي الاصفهاني، مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ص 101

وركب الراحلة وذهب ، فقال صاحبي : هو والله صاحب الزمـان .[417]

4 - الطقوس والقصص المرتبطة برؤية المهدي

وبالإضافة الى الأدعية والزيارات الواردة حول (المهدي) هناك بعض الطقوس المعتادة التي تلعب هي الأخرى دورا إعلاميا مهما في تكـــريس الاعتقـــاد بنظرية (وجـــود المهـــدي) وتحويلها الى "حقيقة راسخة" في أذهـان الشـيعة ، وذلك مثلا ، كالقيـام و أداء التحية والانحنـــاء عند ســـماع اسم (القـــائم) وهو ما يفعله عامة الشيعة المتدينين اليوم ومنذ زمن طويل ، الأمر الـذي يبعث على الاحترام والخشوع والرهبة والتحسس بوجود المهـــدي ، والتعامل معه كأنه حي وحاضر في الأوساط.

وتلعب القصص الكثـيرة الـتي يتـداولها العامة والخاصة من الشيعة ، حول رؤية بعض الناس أو العلماء للمهدي ، ولقائهم به ، وهي قصص يســرد المجلسي كمية كبـيرة منها في موســوعته : (بحـــار الأنـــوار / الجـــزء 51) .. تلعب دورا كبـيرا أيضا في تعزيز نظرية المهـــــــدي ، وتحويلها الى قصة قريبة من الواقع ، خاصة وانها تروى عن مجموعة من الزهاد والعباد والعلماء البارزين .

وهنــاك مســجد شــهير في الكوفة في العــراق يعــرف بمســجد السهلة يشتهر بأنه مسـجد الامـام المهـدي ، وان من يـدأب على الصلاة فيه أربعين ليلة أربعاء فانه يحضى برؤية المهـــدي ، وتوجد بعض المســاجد هنا وهنــاك في العــراق تعــرف بـــ (مقامــات المهدي) حيث يقال انه قد شـوهد (الامـام) في تلك الأمـاكن وهو يصلي فبني فيها مساجد ، كما هو الحال في مسجد جمكـران في قم ، الـذي اشـتهر بعد قيـام الجمهورية الإسـلامية في إيـران. ان هـذه المسـاجد أو المقامـات تلعب هي الأخــرى دورا إعلاميا في تعزيز الإيمـان بالنظرية المهدوية (الاثــني عشــرية) وتحويلها من فرضية الى واقع مادي يعيشه الناس وينظرون إليه بأعينهم.

وهكذا يلعب الإعلام المهدوي بكل فقراته وفروعه دورا كبيرا في تعزيز نظرية " وجود الامام المهـدي" وترسـيخها بين أوسـاط الشيعة ، وتحويلها من فرضية وهمية الى " حقيقة بديهية" لا تقبل الجدال !

---

[417] - الكاشاني، الصحيفة المهدية، ص 138

ملخص الجزء الثالث

تطور الفكر السياسي الشيعي في (عصر الغيبة)

نظرية التقية والانتظار

دخل الشيعة الامامية الاثني عشرية ، بعد قولهم بوجود الامام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" وغيبتـه، في مرحلة أسموها (الانتظار) وكانوا يعنون به: انتظار الإمام الغائب (الثاني عشر). وقد اتسمت تلك المرحلة بالسلبية السياسية المطلقة حيث حرموا الثورة وإقامة الدولة إلا بعد ظهور الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله، وعطلوا كل ما يتعلق بالدولة من أمور، كجباية الخمس والزكاة وإقامة الحدود ، وصلاة الجمعة، ورفضوا حتى نظرية ولاية الفقيه باعتبارها تفتقد الى شروط الإمامة من العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية.[418]

418 - لمزيد من التفصيل راجع: الفصل الأول من الجزء الثالث من كتابنا تطور الفكر السياسي الشيعي، والمنشور في الطبعات السابقة، والذي قمنا باختصاره هنا

فقد قال الشيخ محمد بن أبى زينب النعماني (توفي سـنة 340هـ) :" ان أمر الوصـية والإمامة بعهد من الله تعالى وباختيـاره ، لا من خلقه ولا باختيـارهم ، فمن اختـار غــير مختــار الله وخــالف أمر الله ســبحانه ، وَرَدَ مــورد الظــالمين والمنــافقين الحــالّين في نــاره" . وأورد ســبع عشــرة رواية حــول وجــوب التقية والانتظــار وتحــريم الخروج في (عصر الغيبة).[419]

وقال الشيخ الصدوق (توفي سنة 381 هـ) :" التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظـــالمين ، فمن تركها فقد خالف دين الامامية وفارقه .. والتقية واجبة لا يجــوز تركها الى ان يخــرج القــائم ، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عز وجل ونهي رسوله والأئمة (ع) ويجب الاعتقاد ان حجة الله في أرضه وخليفته على عبـــاده في زماننا هـــذا هو القائم المنتظر ابن الحســن.. ويجب ان يعتقد انه لا يجــوز

---

[419] - النعماني، الغيبة، ص 57 و 201 وكان من تلك الروايات الـتي اعتمد عليها محمد بن أبى زينب النعمـاني في تنظـيره لفكـرة الانتظـار ، هي ما رواه عن أبى جعفر الباقر (ع) انه قال:

- الزم الأرض ، لا تحـركن يـدك ولا رجلك أبـدا حـتى تـرى علامـات اذكرها لك.. وإياك وشذاذ آل محمد ، فان لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايــات ، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلا أبدا حتى تـرى رجلا من ولد الحســين معه عهد النبي ورايته وسلاحه.. فالزم هؤلاء أبدا وإياك ومن ذكرت لك .

- أوصيك بتقوى الله وان تلزم بيتك وتقعد في دهماء هؤلاء النـاس ، وإيـاك والخوارج منا فانهم ليسوا على شيء ولا الى شيء.

- انظــروا الى أهل بيت نــبيكم فــان لبــدوا فالبــدوا ، وان استصــرخوكم فانصروهم ، تؤجروا ، ولا تستبقوهم فتصرعكم البلية .

- كل راية ترفع قبل راية المهدي فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله .

- كل بيعة قبل ظهور القائم فانها بيعة كفر ونفاق وخديعة.

- والله لا يخرج أحد منا قبل خروج القائم إلا كان مثله كمثل فرخ طـار من وكره قبل ان يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به.

ان يكــون القــائم غــيره بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ".[420]

و من هنا فقد رفض المتكلمون الاماميون الأوائل دعوة المعتزلة والشيعة الزيدية، الى تبني نظرية (ولاية الفقيــه) في ظل (الغيبة الكــبرى) ، اســتنادا الى فقــدان الفقيه للعصمة والتعيين من الله ، وتعارض نظرية (ولاية الفقيــه) مع نظرية (الإمامة الإلهية).[421]

وعلى رغم أن الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية كـانوا يعيشــون في القــرنين الرابع والخــامس، في ظل الدولة البويهية الشــيعية، إلا انهم لم يســتطيعوا إنتــاج نظرية عصـرية سياسـية تلـبي متطلبـات الحيـاة ، وأصـروا على تكـريس نظرية (الانتظـار) السـلبية وترديـدها في مختلف كتبهم الفكرية والفقهيــة. وحــتى عنــدما قــامت الدولة الصــفوية في القــرن العاشر الهجــري ، فــان قســما من الشــيعة ظل يتمسك بموقف الانتظــار الســلبي للإمــام الغــائب المنتظــر، كلازمة من لــوازم نظرية (الإمامة الإلهيـة)، ويـرفض الانخـراط في الدولة الصـفوية، بـالرغم من تأييد الشــيخ علي الكر كي بنــاء على نظرية (نيابة الفقهاء العامة عن الإمام الغائب) والتي أجـاز لنفسه على ضـوئها إضـفاء نـوع من الشـرعية على الدولة الصـفوية. حيث كــان ذلك القسم يــرى في المحاولة الصــفوية - الكركية انقلابا على أهم أسس النظرية الامامية ، من حيث اشــتراط العصــمة والنص في الإمــام (الــرئيس) واستلابا واغتصابا لدور الإمام المعصوم (المهـدي المنتظر الغائب).[422]

---

[420] - الصدوق، الهداية، ص 47

[421] - انظر المبحث الثـاني من الفصل الأول من الجـزء الثـالث من كتـاب: تطور الفكر السياسي الشيعي، حول الموقف السـلبي من الاجتهـاد وولاية الفقيه.

وتجلى ذلك الموقف السلبي من إقامة الدولة في (عصر الغيبة) في القرن الثالث عشر الهجري أيضا في موقف الشيخ محمد حسن النجفي صاحب (جواهر الكلام)، والذي عاصر الأيام الأخيرة للدولة العثمانية، ولكنه لم يفكر في الثورة عليها وإقامة دولة شيعية خاصة في العراق، رغم إيمانه بنظرية ولاية الفقيه الى درجة كبيرة، نظرا لأنه كان يؤمن بعدم إمكانية إقامة الدولة في عصر (الغيبة) وإلا لظهرت دولة الحق وخرج الإمام المهدي، الذي لم يختف إلا بسبب الخوف على نفسه. ولذلك توصل النجفي الى ضرورة الانتظار ، وعدم جواز إقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، بل عدم إمكانيتها.[423]

وقد انعكست نظرية الانتظار السلبي للإمام الغائب (الثاني عشر) على موقف الشيعة الامامية الاثني عشرية من :(قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) مما أدى إلى نشوء ظاهرة الانسحاب السياسي عند قطاع واسع من الشيعة الامامية ، وضعف المشاركة الشعبية في التغيير الاجتماعي ، وقد تمثل ذلك بصورة جلية في إحجام عدد من الفقهاء الذين تسلموا زمام المرجعية الشيعية العامة عن خوض العمل السياسي أو التصدي للظلمة والطواغيت .[424]

---

[422] - وكان يقود ذلك التيار الشيخ إبراهيم القطيفي ، الذي أفتي بحرمة صلاة الجمعة خلافا للشيخ الكركي الذي أفتى بإباحتها. و ألف رسالة خاصة في حرمة الخراج في الرد على الشيخ الكركي ، اسماها :(السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج) وأيده في ذلك المقدس الاردبيلي الذي كتب (تعليقات على خراجية المحقق الثاني) .

[423] - حيث قال في كتاب القضاء من (جواهر الكلام):" لم يأذنوا (الأئمة) لهم (للفقهاء) في زمن الغيبة ببعض الأمور التي يعلمون عدم حاجتهم إليها كجهاد الدعوة المحتاج الى سلطان وجيوش وأمراء ونحو ذلك مما يعلمون قصور اليد فيها عن ذلك ونحوه ، وإلا ظهرت دولة الحق".

[424] - راجع المبحث الثالث من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، الموقف من عملية الإصلاح الاجتماعي

كما انعكست نظرية (الانتظـار) الـتي الـتزم بها أولئك العلمــاء ، أيضا ، على مســألة إقامة الحــدود في (عصر الغيبــة) ،حيث اشــترطوا إقامتها بظهــور الإمــام المهــدي الغائب.[425]

وكاد إجماع الشيعة الامامية الاثني عشرية ينعقد عبر التاريخ على حرمة الجهاد الابتدائي في (عصر الغيبة). فقد اشــترط الشــيخ الطوسي في :(المبســوط) في وجــوب الجهاد : ظهور الإمام العادل الـذي لا يجـوز لهم القتـال إلا بأمره ، ولا يسـوغ لهم الجهـاد دونه ، أو حضـور من نصـبه الإمام للقيام بأمر المسلمين ، وقال بعـدم جـواز مجاهـدة العـدو مـتى لم يكن الإمـام ظـاهرا ولا من نصـبه الإمــام حاضرا ، وقال: "ان الجهاد مع أئمة الجور أو من غير إمام خطأ يســتحق فاعله به الإثم ، وان أصــاب لم يــؤجر وان أصـيب كـان مأثوما". واسـتثنى من ذلك حالة الـدفاع عن النفس وعن حـــوزة الإســـلام وجميع المؤمـــنين إذا دهم المسلمين عدو يخاف منه على بيضة الإسلام.[426]

وإضافة الى تلك الجوانب السياسية التي علقها الفقهاء الـــذين آمنـــوا بنظرية (الانتظـــار) في عصر الغيبة ، فقد علقــوا أيضا الجــوانب الاقتصــادية الــتي ترتبط بالدولة ، كالزكاة والخمس والأنفال والخراج وما شابه.. إلا انهم لم يعطلوا قانون الزكاة بالمرة ، ولكنهم عطلـوا بعض مـوارد صـــرفها ، وهي المـــوارد الـــتي تتعلق بشـــؤون الدولة و

425 - راجع المبحث الرابع من الفصل الأول من الجــزء الثــالث من هــذا الكتاب، الموقف من إقامة الحدود. وقد قال الشـيخ الطوسي في :(النهاية ص 284)ـ :" أما إقامة الحـدود .. فليس يجـوز لأحد إقامتها إلا لسـلطان الزمـان المنصـوب من قبل الله تعـالى أو من نصـبه الإمـام لإقامتها ، ولا يجوز لأحد سواهما إقامتها على حال" .

426 - الطوسـي، المبسـوط، ص 281، لمزيد من التفصـيل راجع المبحث الخامس من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشـور في طبعات أخرى.

(الإمـام) فقد أجـازوا لمن وجبت عليه الزكـاة ان يتـولى إخراجها من ماله وتوزيعها بنفسه ، وذلك عند فقد الإمـــام والنـــائبين عنه ، وتعــذر إيصـــالها اليه . واســقطوا ســهم المؤلفة قلوبهم وسهم (سـبيل اللـه) والعـاملين عليها من مصارف الزكاة .[427]

ومع سقوط نظرية الدولة في الفكر السياسي الشيعي الاثني عشـري ، وتحـريم إقامتها في (عصر الغيبـة) تعامل الفقهـاء مع موضـوع الزكـاة من ثلاثة جـوانب ، فـأوجبوا الزكـــاة من ناحية ، وأمـــروا المكلفين بإخراجها وتوزيعها بأنفسهم لعـدم وجـود الإمـام الشـرعي ، من ناحية ثانية ، واسقطوا حصص العاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والجهاد ، من ناحية أخرى .

هكذا فعل ابن حمزة في (الوسيلة الى نيل الفضيلة)، وهكــذا قــال ابن إدريس في (الســرائر) وهكــذا أفــتى المحقق الحلي نجم الــدين جعفر بن الحسن في (شــرائع الإســلام) و (المختصر النـــافع) والمقـــداد بن عبد الله السيوري الحلي في :(كنز العرفان في فقه القرآن).

وبـالرغم من رعاية المحقق الكـركي للدولة الصـفوية الشيعية ، وإعطاء الشـاه (طهماسـب) الإجـازة في الحكم نيابة عنه باعتبـاره نائبا عن الإمـام المهـدي ، إلا انه الـتزم بنظرية :(التقية والانتظار) واسـقط في (جـامع المقاصـد) سهم المؤلفة قلوبهم والسـاعي والغـازي حـال الغيبة ، إلا مع الحاجة الى الجهاد.

أما في موضوع الأنفال التي ينص القـرآن الكـريم على أنها لله وللرســول، فيعتقد الشــيعة الامامية أنها للإمـــام القـــائم مقامه من بعـــده، خالصة له كما كـــانت خالصة للرســـــول (ص) في حياته ، ولا يحق لأحد ان يعمل في شيء من الأنفال إلا بأذن الإمـام العـادل ، فمن عمل فيها

---

427 - لمزيد من التفصيل راجع المبحث السادس من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، الموقف من الزكاة

بأذنه فله أربعة أخمـاس المسـتفاد منها وللإمـام الخمس. ولما كان (الإمام العـادل) في المصـطلح الامـامي يعـني : (الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله تعـالى) وانه منذ وفاة الإمـام الحسن العسـكري سـنة 260 هــ هو (الإمـام الثاني عشر المهـدي محمد بن الحسن العسـكري) الـذي ولد سنة 255 هـ وغاب بعد ذلك الى اليـوم ، فانه يصـبح : المالك الحقيقي للأنفـــــال ، وكـــــذلك المالك الحقيقي للخمس، وهو قـانون خـاص غـير الزكـاة يفرضه الشـيعة على المغـانم والأربـاح أيضا، ويعتقـدون ان عليهم تقديمه لله وللرسول وللإمام ولليتامى والمساكين وأبنـاء السـبيل من بـني هاشم ، وان سـهم الله والرسـول وذي القـربى يجب تقديمه للإمام (الذي يمثل ذوي القـربى) والـذي هو اليوم (الإمام المهدي المنتظر) كما يجب إعطاؤه الأسهم الثلاثة الأخرى: اسهم اليتامى والمساكين وأبنـاء السـبيل ، لكي يوزعها على الأصناف الثلاثة من بني هاشم . [428]

وقد أدى الالتزام بنظرية (الانتظار) الى الوقوع في أزمة حـادة في موضـوع الخمس والأنفـال في (عصر الغيبـة) ، فمن جهة : ان الإمام المهدي هو الشخص الوحيد صـاحب الخمس والأنفــال ، والـــذي يحق له اســتلامها وتوزيعها ، ومن جهة أخرى : لا سبيل الى الوصول اليه لأداء حقوقه ، كما لا توجد أية نصوص منه في مسالة توزيعها والتصـرف فيها في ظل الغيبة. ومن هنا فقد احتار الفقهاء في حكم الخمس والأنفـال ، وقـال الشـيخ المفيد في :(المقنعـة):" قد اختلف قــوم من أصـحابنا في ذلك عند الغيبة ، وذهب كل فريق منهم الى مقـــال: فمنهم من يســـقط فــــرض إخراجه ، لغيبة الإمـــام ، وما تقـــدم من الـــرخص فيه من الأخبار . و بعضهم يـوجب كـنزه ، ويتـأول خـبرا ورد :(ان الأرض تظهر كنوزها عند ظهـور الإمـام ، وانه (ع) إذا قـام دلّه الله على الكنــوز فيأخــذها من كل مكـان). وبعضــهم يرى صلة الذرية وفقراء الشيعة على طريق الاستصحاب. وبعضــهم يــرى عزله لصــاحب الأمر ، فــان خشي إدراك

[428] - راجع: الطوسي، النهاية ، ص 265

المــوت قبل ظهــوره وصّــى به الى من يثق به في عقله وديانته حتى يســلم الى الإمــام ، ثم ان أدرك قيامه .. وإلا وصّى به الى من يقـوم مقامه في الثقة والديانـة، ثم على هـذا الشــرط الى ان يظهر إمــام الزمــان . وهــذا القــول عندي أوضح من جميع ما تقـدم ، لأن الخمس حق لغـائب لم يرسم فيه قبل غيبته رســما يجب الانتهــاء اليه فــوجب حفظه الى وقت إيابه ، والتمكن من إيصـاله اليه أو وجــود من انتقل بـالحق اليه ، ويجــري ذلك مجــرى الزكـاة الـتي يعـدم عند حلولها مسـتحقها فلا يجب عند ذلك سـقوطها ، ولا يحل التصرف فيها على حسب التصــرف في الأملاك ، ويجب حفظها بـالنفس أو الوصـية الى من يقـوم بإيصـالها الى مســـــتحقها من أهل الزكــــاة من الأصــــناف". وأضاف:"إنما اختلف أصحابنا في هذا البـاب لعـدم ما يلجأ اليه من صريح الألفاظ ".[429]

وقد أدت هذه الحيرة والغموض في موضـوع الخمس في (عصر الغيبــة) الى ظهــور عــدد من الأقــوال الغريبة المنافية للعقل والقرآن من قبيل إســقاط الخمس أو دفنه في الأرض أو إلقائه في البحر أو عزله والوصــــية به الى يــوم ظهــور المهــدي ، وهو الــرأي الــذي اختــاره المفيد وفقهاء آخرون عبر التاريخ، بينما ذهب فقهـاء آخــرون الى تحليل الخمس وإباحته للشيعة في (زمان الغيبة)..[430]

وكانت صلاة الجمعة هي المعقل الأخير الذي تأثر بنظرية (الانتظــار) وذلك في أعقــاب ســقوط الدولة البويهية في أواسط القرن الخامس الهجري. ولم يكن ليحدث في أمر هذه الصلاة العظيمة من جديد لولا التفسير الذي راج عند بعض الفقهـاء الامامية، حــول كلمــة:"الإمــام" أو "الإمــام العادل" حيث حصروا معناها بـ :"الإمـام المعصـوم" . ولما كانوا يقولون : ان الإمام المعصوم غائب في هـذا العصر ،

---

[429] - المفيد، المقنعة، ص 46

[430]- لمزيد من التفصيل راجع المبحث السـابع من الفصل الأول من الجــزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعـات أخــرى سـابقة. وراجع أيضـا: جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي، كتاب الخمس، ص 156 و 164

وان من شروط إقامة صلاة الجمعة حضـور الإمـام أو إذنه ، فقد قال أولئك الفقهاء بافتقاد أحد شروط صلاة الجمعة ، وهو إذن الإمام المعصوم المهدي المنتظر. ونتيجة لـذلك قــالوا بحرمة أو بعــدم وجــوب صــلاة الجمعة في (عصر الغيبة) .[431]

وقد سـار كثـير من الفقهـاء اللاحقين بعد ذلك ، والى يومنا هــذا ، على خطى أولئك العلمــاء الــذين اشــترطوا العدالة في الإمام وفسـروا كلمة (الأمـام العـادل) بالإمـام المعصوم (المهـدي المنتظـر) ، وانتهـوا الى تعطيل صـلاة الجمعة في عصر الغيبة ، انســجاما مع نظرية (الانتظــار) التي تحرم إقامة الدولة الإسلامية لغير الأئمة المعصـومين المعينين من قبل الله تعالى.

إذن فقد أدت نظرية (الانتظار للإمام المهدي الغائب) - كما رأينا في الصـــفحات الســـابقة - الى غيبة الشـــيعة الامامية أنفســهم عن مســرح الحيــاة السياســية ، وذلك بتحـــــــــريم العمل السياسي وإقامة الدولة في (عصر الغيبة) ، مما أدى بكثير من العلماء الى التراجع عن الفكر الامامي المتصلب والتخلي عن نظرية الانتظار المتشــددة ، وكـــانت أول خطـــوة في هـــذا الطريق هي فتح بـــاب الاجتهاد.

وكان الاجتهاد محرما في الفكر الامـامي الـذي كـان يحصر العمليــــات التشــــريعية الجديــــدة في (الأئمة المعصــومين) . ولـــذلك فقد كـــانت المدرسة الامامية القديمة اخبارية تحـرم الاجتهـاد خـارج النصـوص ، وظلت هكـذا الى فـترة طويلة بعد (الغيبـة) ، وكـان منتهى العمل (الاجتهــادي) يــدور داخل النصــوص والــترجيح فيما بينها ومعرفة العـــام والخـــاص والمطلق والمقيد وما شـــابه ، وكانت فتـاوى العلمـاء ، كعلي بن بابويه الصـدوق ، مجـرد نصوص روايات معتبرة لديهم .

431 - لمزيد من التفصيل راجع المبحث الثامن من الفصل الأول من الجـزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

ولكن بعد القول بغيبة (الأمام الثاني عشر) ومرور مدة طويلة على انقطــاع الاتصــال بـــ :"مصــدر العلم الإلهي" وحدوث مسائل جديدة تستوجب الإجابة عليها ، بدأ موقف الامامية من (الاجتهاد) يتطــور .. ويتغــير ، واضــطروا لفتح باب الاجتهاد والقـول بجـواز القيـاس. وكـان أول من قـال بــــذلك في أواسط القـــــرن الرابع هو الحسن بن عقيل العمــاني ، المعاصر للكليـني . ثم جـاء الشـيخ المفيد في بداية القــرن الخــامس الهجــري ليمــارس (الاجتهــاد) مع تلميذيه السيد المرتضى والشيخ الطوسي ويؤسسوا بذلك المدرسة الأصولية التي شقت طريقها في الحياة منذ ذلك الحين.[432]

وقد كان فتح باب الاجتهاد خطوة كبيرة للخروج من الأزمة ، وملأ الفــراغ التشــريعي الــذي حــدث للشــيعة الامامية بعد وفاة الأمام الحسن العسكري وغيبة أو افتقاد الأمــام الثــاني عشر ، وذلك في ظل القــول بحصر العمل التشـريعي بالأئمة المعصـومين الـذين يرتبطـون بمصـادر العلم الإلهي الحقيقي ، وعـدم جـواز اللجـوء الى الطـرق الظنية والإمارات كالقيـاس والاجتهـاد وما شـابه ، لمعرفة الأحكام الشرعية . وقد أدى فتح باب الاجتهاد بالشيعة الى التحــرر من نظرية (التقية والانتظــار) و إعــادة النظر في كثير من أبواب الفقه المعطلة بســبب نظرية (الغيبــة) ، و ملاحقة التطـــورات والإجابة على المســـائل الحادثة ، كما أدى الى حــــدوث تطــــورات جذرية في الفكر الامــــامي والتخلي عن اشــتراط العصــمة والنص والســلالة العلوية الحســينية في الأمــام ، والقــول بجــواز الحكومة لغــير المعصــوم أو وجوبها ، واســتنباط نظرية (ولاية الفقيــه) وغيرها من النظريـات الـتي أعـادت الشـيعة الى مسـرح الحياة.

والى جانب العمل العظيم الذي قام به الفقهاء الامامية في مطلع القرن الخامس الهجري ، وهو فتح باب الاجتهاد

[432] - للمزيد من التفاصيل راجع المبحث الأول من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

، قاموا أيضا باستنباط نظرية أو فرضية كـان لها دور كبـير في مســتقبل الفكر السياسي الامــامي ، وهي:(فرضــية النيابة الواقعية للفقهـاء عن الأمـام المهـدي). خاصة في مجال القضاء، حيث فتحت هذه الفرضـية نافـذة تطـورت مع مـــرور الزمـــان وأدت الى تخلي الامامية عن شـــرط العصمة والنص في الإمـام ، وبالتـالي التخلي عن الالـتزام بنظرية (التقية والانتظـار للامـام الغـائب) والقـول بنظرية (ولاية الفقيه) .

ومن المعلوم ان القضاء يعتبر من أهم أعمال الدولة ، ولما كان الشـيعة الامامية يحصـرون الدولة الشـرعية في الدولة التي يقودها (الأمام المعصوم المعين من قبل الله) فانهم قد حرموا ممارسة القضاء لغـير الإمـام المعصـوم ، ولكنهم رووا عدة روايـات تجـيز للفقهـاء الشـيعة ممارسة ذلك بالنيابة عن (الأئمة المعصومين). مثل:

1 - مقبولة عمر بن حنظلة عن الأمام الصادق (ع) الـتي يقول فيها :"انظـروا الى رجل منكم قد روى حـديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضـوا به حكما فـإني قد جعلته عليكم حاكما".

2 - مشـــــهورة أبى خديجة عن الأمـــــام الصـــــادق أيضا :"انظروا آلي رجل منكم يعلم شيئا من قضـايانا فـاجعلوه بينكم قاضيا فتحاكموا اليه" .

وقد تم استعارة هذه الأذونات العامة الصادرة في عهد حضـور الأئمة ، والحكم بجــواز ممارسة القضــاء في عهد (الغيبة) للفقهاء من الشيعة ، وذلك للتشـابه بين الحـالتين وهو عــــدم ســـيطرة الأئمة وممارســـتهم للحكم ، وحل الشيعة الامامية بذلك مشكلة القضاء في عصر الغيبة.

وقد استنبط الشيخ المفيد من تلك الروايات :(فرضية النيابة الواقعية عن الأمــام المهــدي). فقــال في كتــاب: (المقنعة ، كتــاب الحــدود) :"ان الأئمة قد فوضــوا اليهم

(الفقهاء) النظر في القضاء مع الإمكـان " وأضـاف:" ومن تـأمر على النـاس من أهل الحق بتمكين ظـالم له وكـان أمــيرا من قبله في ظــاهر الحــال ، فإنما هو أمــير في الحقيقة من قبل (صاحب الأمر) الذي سوغه ذلك وأذن له فيه دون المتغلب من أهل الضلال" .[433]

وهكذا قال فقهاء آخـرون كالمقـدس الاردبيلي (- 993 هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (- 1227 هـ) والشــيخ محمد حسن النجفي (- 1266 هــ) بضــرورة افــتراض النيابة عن الإمام الثاني عشر الغائب لـدى تـولي القضـاء، وكـانت آراؤهم هـذه في بـاب الحـدود متمـيزة عن آرائهم في الأبـواب الأخـرى الـتي كـانوا يلـتزمون فيها بنظرية : (التقية والانتظار) ، وكـانت وسـيلة كـبرى سـاعدتهم على الخـروج من سـائر المرافق الأخـرى ، وكـانت " فرضـية النيابة الحقيقية" التي اقـترح بعض العلمـاء افتراضـها عند إجبار الحاكم الظالم للفقيه أو لغيره على إقامة الحــدود ، قاعـدة أساسـية لتطـوير نظرية (النيابة العامــة) و (ولاية الفقيه) فيما بعد.

وإذا كـانت نظرية :(التقية والانتظـار) تحـرم الثـورة والدولة في عصر الغيبة ، وتحدد - تبعا لذلك - قانون الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر بــالمراتب الــدنيا القلبية والإعلامية ، وترفض استخدام القوة المؤدية إلى الجرح أو القتل في غياب دولة (الإمام المهـدي) الشـرعية الوحيـدة الممكنة .. فــان الالــتزام بهــذه النظرية في عصر الغيبة ولمـدة طويلة كـان يبـدو صـعبا جـدا ، ومن هنا فقد تخلى الشــيعة عمليا وتــدريجيا عن نظرية :(التقية والانتظــار) واخذوا يبنون دولهم المستقلة هنا وهنـاك . وكـان لا بد ان يطور الفقهاء قانون الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، ويخففوا من الشروط التعجيزية التي تحـول دون تنفيـذه . وربما كــان أول من حــاول الخــروج من كهف الغيبة في مجــال الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر هو الســيد

[433] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات سابقة.

المرتضى الـــذي نقل عنه الطوسي في:(الاقتصـــاد) قوله بجواز ممارسة القتل والجرح في ســبيل الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الغيبة بلا حاجة إلى اســتئذان الإمام.

وقد تبعه بعد ذلك حمزة بن عبد العزيز الديلمي (سلار) و محمد بن إدريس ، صــاحب (الســـرائر) والعلامة الحلي ويحــيى بن ســعيد، والمقــدس الاردبيلي ، والشــيخ محمد حسن الفيض الكاشاني، وآخرون.

ومع تبلــور نظرية (النيابة العامة للفقهـاء عن الإمـام المهدي) أو (ولاية الفقيه) فقد قــوي القــول بجــواز القتل والجــرح في الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر ، بــإذن الفقيه الولي أو" نائب الإمام".

هذا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما في موضــوع الجهــاد الابتــدائي ، فانه بــالرغم من تحــرر الفقهــاء الشــيعة الامامية من نظرية :(التقية والانتظــار) خلال القــرون الأخــيرة وفي كثــير من المجــالات ، فــان الموقف العـام ظل سـلبيا ولم يحـدث تطـور يـذكر إلا في السنوات الأخيرة . ولم أجد من يتحـدث عن جـواز الجهـاد في عصر الغيبة سوى الســيد محمد الحســيني الشــيرازي الذي كان يقول بنظرية (ولاية الفقيه) .[434]

وقد تقدم الشيعة الامامية الاثنا عشـرية خطـوة أخـرى الى الأمام، على طريق التحــرر من نظرية انتظـار الإمـام الغائب (الثاني عشر)، وذلك عبر تطوير حكم الخمس من الإباحة الى الوجـــوب. وقد تم الانســـحاب من القـــول بالإباحة في وقت مبكر ، خطوة .. خطوة ..

وكانت الخطوة الأولى هي القول بوجوب الخمس في عصر الغيبة ، مع القول بدفنه أو الاحتفاظ به حـتى ظهـور

---

[434] - للمزيد من التفصيل راجع المبحث الثالث من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

المهــدي ، أو الايصــاء به بعد المــوت من واحد إلى واحد حتى يوم الظهور.

وكانت الخطوة الثانية هي القـول بتسـليم الخمس إلى الفقهاء للاحتفاظ به حتى ظهور الإمام المهدي. ثم القــول بجواز قيامهم بتوزيعه بأنفسهم على المحتاجين.

وقام الشيخ حسن الفريد (1319 ـ 1417هـ) بثورة في بــاب الخمس عنــدما ســلب حق الخمس من الإمــام المهدي لغيبته وعدم قيامه بمهام الإمامة ، وقال بضــرورة قيـام واحد من النـاس باسـتلام الخمس وتوزيعه من بـاب الحســبة ، لأنه من الأمــور الحســبية الــتي لا محيص عن وقوعه في الخــارج ولم يعين للقيــام به في غيبة الإمــام شخص أو صنف خاص .[435]

ومع تطور نظرية ولاية الفقيه كان لا بد ان يتطور حكم صلاة الجمعة، ويتغير من التحريم الى الوجوب أو الجــواز. فقد حاول عدد من الفقهـاء التحـرر من نظرية (الانتظـار) التي كانت تشترط إذن الإمام المعصوم الغـائب، والعـودة

---

435 - حيث قال في (رسالة في الخمس ص 83-86):"ان مقتضى القاعدة سـقوط النصف الـذي هو للإمـام (ع) إذ لا ريب انه إنما اسـتحق ذلك بحق الرئاسة والإمامة ، ولذا ينتقل هذا الحق بموته إلى الإمام الذي يقوم بعــده بالإمامة لا إلى ورثته ، فـــإذا غـــاب عن النـــاس ولم يقم بالإمامة انتفت رئاســته خارجا ، وينتفي حقه بانتفـاء موضـوعه". وأضـاف:"لا إشـكال في وجوب إيصال نصف الخمس الذي للإمـام (ع) إليه أو إلى وكيله في زمـان الحضــور ... وبعد غيبته ان قلنا بـــ : (ولاية الفقيــه) على الإطلاق ونيابته العامة عن الإمــام ، كــان للفقيه الولاية على ذلك ، وان لم نقل بولايته إلا في باب القضاء والإفتاء فلا بد ان يقوم به واحد من بـاب الحسـبة لأنه من الأمور الحسبية التي لا محيص عن وقوعه في الخارج ، ولم يعين للقيام به في غيبة الإمام شخص أو صنف خاص ، وليس من الوظائف التي يقوم بها آحاد الناس ، بل من الأمور التي لا بد ان يقوم بها الحاكم .. فـان .. الفقيه الجامع للشرائط هو الذي ينبغي ان يقوم به وانه القدر المـتيقن ممن يصح منه القيـام به وتوزيع الخمس على أهله ، فلا بد ان يقــوم به الفقيه .. من بـاب الحسـبة ، وان شـئت قلت : ان للفقيه الولاية على صـرف الخمس على أهله ، ولكن ولايته على ذلك لم تسـتفد من الكتـاب والسـنة بل من دليل الحسبة والضـرورة .. يعـني : ان الضـرورة الدينية هي الـتي كشـفت كشـــفا قطعيا عن ولايته على ذلك .. ومما ذكرنا يمكن ان يستكشف : ان له ولاية التحليل إذا اقتضت الضرورة ذلك فيما لم يشمله أخبار التحليل .

الى القرآن الكريم الذي يـأمر بإقامتها بصـورة مطلقة ولا يشترط لذلك أية شروط ، ولا يربطها بالإمـام (المعصـوم) الغائب .

ورغم ادعاء ابن إدريس الحلي :إجماع الشيعة الامامية على تحـــريم إقامتها في عصر الغيبة. فقد قــام عـــدد من الفقهاء بنقض الموقف السلبي منهـا، وربما كـان المحقق الحلي أول من حـاول الخـروج من نظرية (الانتظـار) في بـــاب صـــلاة الجمعة ، حيث قـــال باســتحباب إقامتها عند إمكانية الاجتماع.[436] وكسر بـذلك حـاجز الإجمـاع المـدعى على التحريم .

ومع بـــروز نظرية (نيابة الفقيه العامة) في القـــرن السابع والثامن الهجـريين، وجد بعض العلمـاء فيها مخرجا للهروب من نظرية (الانتظار) فقالوا بجـواز إقامة الفقهـاء للجمعة باعتبارهم نوابا عامين للإمام المهدي. وهو ما مهد السبيل أمام فقهـاء آخـرين ليقولـوا بـالوجوب، خاصة بعد قيام الدولة الصفوية في بلاد فارس.

و حاول الشهيد الثـاني (- 965 هــ) ان يتحـرر من عقدة (إذن الأمام) في وجـوب صـلاة الجمعة ، وان يحصر ذلك في زمان حضور الإمــام ، وان يسـقط ذلك في عصر الغيبة ، من الأساس ، وانتقد في رسالة له حول ضرورة صــــلاة الجمعة، حالة التقليد الأعمى وتهـــــديم الـــــدين بالشـبهات ، وشـنّ هجوما عنيفا على الـذين يتهـاونون في صــلاة الجمعة ، واشـــتكى بحرقة وحســـرة من القـــائلين بتحريمها ، وقال:" اتفق علماء الإسلام في جميع الإعصار وسائر الأمصار والأقطـار على وجـوب صـلاة الجمعة على الأعيان في الجملة ، وإنما اختلفـوا في بعض شـروطها ... ومع ذلك فالحث على فعلها والأمر به بضـروب التأكيد في الكتاب والسنة لا يوجد مثله في فريضة البتة".[437]

---

[436] - المختصر النافع ، ص 36

[437] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث السادس من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب

وهكذا قام الشهيد الثاني بخطوة كبيرة نحو الأمام في سبيل التحرر من نظرية : (الانتظار) ، وذلك بتحليله أو إيجابه إقامة صلاة الجمعة في عصر الغيبة حتى لغير الفقيه.

و منذ إقامة الجمهورية الإسلامية في إيران، بدء الشيعة الامامية الاثنا عشرية يقيمون صلاة الجمعة هنا وهناك بشكل واسع.

تطور النظريات السياسية الشيعية في عصر الغيبة

لقد كانت تلك محاولات جريئة للخروج من أزمة : (الانتظار للإمام المهدي) التي وقع بها الامامية، نتيجة قولهم باشتراط العصمة والنص في الإمام ، وافتراض وجود الإمام المعصوم الغائب . وقد نجحوا فيها نجاحا كبيرا حيث استطاعوا فتح باب الاجتهاد والسماح بتنفيذ الحدود وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الخمس والزكاة وإجازة أو إيجاب صلاة الجمعة في (عصر الغيبة) ، تلك الأمور التي جمدوها في البداية انتظارا لخروج (الإمام المهدي) "الحاكم الشرعي الوحيد الذي يحق له إقامة الدولة الإسلامية".

وقد كانت تلك المحاولات متفرقة ومتدرجة بابا .. بابا ، وجزءا .. فجزءا .. ولكنها لم ترقَ لتعالج المشكلة من جذرها ، حيث لم تبحث موضوع (الإمامة) و (الغيبة) من الأساس. ومع ذلك فقد حاول العلماء تطوير نظرية سياسية بديلة عن الإمامة والإمام المهدي ، وذلك بافتراض النيابة الواقعية أو الحقيقية عن الإمام الغائب في مجال الحدود. وقد تطورت هذه النظرية البسيطة الافتراضية التي ولدت في بداية القرن الخامس الهجري

لتصــبح نظرية سياســية متكاملة في نهاية القــرن الرابع عشر تحت اسم (ولاية الفقيه).

نظرية : (النيابة الملكية)

وبينما كانت نظرية (النيابة العامة) تنمو ببطء وبصورة جزئية ومحدودة ، على أيدي علماء الحلة وجبل عامل في القـرن السـابع والثـامن الهجـريين ، كـان الواقع الشـيعي السياسي يتطور بعيدا عن الفكر الإمامي.. حيث انفجـرت ثــورة (الســربدارية) في نيســابور ، وأقــامت دولة دامت خمسين عاما من سنة 738هـ الى سنة 782هـ ، كما قـام الشــيعة بتأســيس دولة لهم في مازنــدران وخوزســتان وجنوب العراق.

ثم انفجرت حركة جديدة في تبريز على أيدي الصفويين بقيـادة إسـماعيل بن صـفي الـدين بن حيـدر الـذي أعلن قيام الدولة الصفوية سنة 907 هـ ، الا انه كان يفتقد الى نظرية سياسية شيعية شرعية. حيث لم تكن نظرية النيابة العامة للفقهـاء الافتراضـية، قد تطـورت بعد الى مسـتوى إقامة الدولة.

وعندما أراد الصفويون التحرك العسكري لإقامة دولة خاصة بهم.. وجدوا نظرية الانتظار غـير معقولة ولا واقعية ، وتشكل حجر عثرة أمام طمـوحهم وتحـركهم.. وبـالرغم من انهم كــانوا منذ فــترة قد أعلنــوا التمسك بالمــذهب الامامي الاثني عشري ، إلا انهم في الحقيقة لم يستوعبوا نظرية (الإمامة الإلهية) التي تشـترط العصـمة والنص في الإمـام ، وحولوها الى نظرية تاريخية ، ورفضـوها عمليا .. حيث أجازوا لزعمـائهم وهم غـير معصـومين ولا منصـوص عليهم من الله ، ان يسـتولوا على الملك ويقومـوا بمهـام الإمامة تماما كما فعل الأمويون والعباسيون والعثمانيون . و لم يصـــعب عليهم الالتفــــاف على نظرية الانتظـــــار وتجاوزها.

واختلفت تجربة الدولة الصفوية في مرحلتها الأولى (أيام الشاه إسماعيل بن صفي الدين) عن التجارب السياسية الشيعية السابقة كالدولة البويهية والسربدارية والمرعشية والمشعشعية ، في ان هذه التجارب كانت دولا سياسية بحتة ، أي غير أيديولوجية ، بينما حاولت الدولة الصفوية تقديم نفسها كدولة عقائدية ومرتبطة بالأئمة الاثني عشر بصورة روحية غيبية. ولذلك فإنها كانت تشكل تطورا انقلابياً في الفكر السياسي الشيعي ، نقل الشيعة من نظرية الانتظار السلبية الانعزالية الى سدة الحكم والسلطنة. وقد طور الشاه إسماعيل ، أو تطور على يديه ، فكر سياسي جديد حاول الالتفاف على فكر (التقية والانتظار) فادعى ذات يوم انه اخذ إجازة من (صاحب الزمان : المهدي المنتظر) بالثورة والخروج ضد أمراء التركمان الذين كانوا يحكمون إيران ، وبينما كان ذات يوم مع مجموعة من رفقائه الصوفية خارجين للصيد في منطقة تبريز ، مروا بنهر ، فطالبهم بالتوقف عنده وعبر هو النهر بمفرده ودخل كهفا .. ثم خرج متقلدا بسيف ، واخبر رفقاءه انه شاهد في الكهف (صاحب الزمان) وانه قال له:" لقد حان وقت الخروج وانه امسك ظهره ورفعه ثلاث مرات ووضعه على الأرض وشد حزامه بيده ووضع خنجرا في حزامه وقال له:" اذهب فقد رخصتك".[438]

وادعى بعد ذلك انه شاهد الأمام علي بن أبى طالب (ع) في المنام وانه حثه على القيام وإعلان الدولة الشيعية. وذلك في محاولة للتحرر من نظرية الانتظار. وبناء على ذلك فقد كان الشاه إسماعيل يعتبر نفسه " نائب الله وخليفة الرسول والأئمة الاثني عشر وممثل الأمام المهدي في غيبته". [439]

---

[438] - تاريخ الشاه إسماعيل، ص 88، طبع مركز تحقيقات فارس إيران وباكستان، إسلام آباد. وعالم آراي صفوي، ص 64

[439] - راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص 26 و29

وقد كان بروز التجربة الصفوية نتيجة الفراغ السياسي الــذي كــان يهيمن على الشــيعة في ظل نظرية الانتظــار السلبية الانعزالية ، في تلك الأيام.

ولما كانت دعاوى الشاه إسماعيل بالنيابة والخلافة عن الإمـام المهـدي الغـائب خطـيرة، ومنافسة لـدور الفقهـاء الشيعة، فقد تصـدى له الشـيخ المحقق علي بن الحسـين بن عبد العالي الكـركي الـذي طـور نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الأمام المهدي) من نظرية جزئية محدودة غير سياسية .. الى نظرية سياسية متقدمـة، وادعى بأنه نـائب الإمــام المهــدي وانه صــاحب الحق الشــرعي الوحيد في الحكم. واســـتطاع ان يـــؤثر على الشــــاه طهماسب بن إسماعيل فيدفعه للتسليم بمكانته كنـائب عـام عن الإمـام المهدي، وطلب الإجازة منه لممارسة السلطة.[440]

وقد لقي تحـالف الشـيخ الكـركي مع الدولة الصـفوية معارضة شديدة من قبل عـدد كبـير من العلمـاء كالشـهيد الثــاني والمقــدس الاردبيلي والشـــيخ إبـــراهيم القطيفي والملا محمد أمين الاسـترابادي والملا محمد طـاهر القمي ، وغـيرهم من الفقهـاء ، وذلك لأن نظرية (النيابة العامـة) لم تكن قد تطــورت لتحل محل نظريــة:(الإمامة الإلهيــة) وإنما كانت لا تــزال محــدودة وجزئية ، وتقتصر على الفتيا وتنفيذ بعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية والعبادية.

---

[440] - يقــول السـيد نعمة الله الجزائـري في صـدر كتابه (شـرح غـوالي اللئــاليء):" لما قــدم الشــيخ الكــركي الي اصــفهان وقــزوين في عصر السلطان العادل طهماسب مكّنه من الملك والسلطان وقال له: أنت أحق بالملك لأنك النـائب عن الأمـام ، وإنما أكـون من عمالك ، أقـوم بـأوامرك ونواهيك وقد أعطى الكـركي الشـاه طهماسب إجـازة لحكم البلاد بالوكالة عن نفسه باعتبـاره نائبا عن الأمـام المهـدي ، ولقبه الشـاه بنـائب الأمـام وعينه (شـيخا للإسـلام) . ولمزيد من التفصـيل راجـع: المبحث الثـاني من الفصل الثـالث من الجـزء الثـالث من هـذا الكتـاب، المنشـور في طبعـات أخرى سابقة.

ومع ذلك فـان نظرية (إجـازة الملـوك) لم تمنح نظـام الحكم الشـرعية الكاملة ، حيث ظل الفقهـاء يعتـبرون الملوك غاصبين لحق الإمامة الخـاص بالأئمة المعصـومين المعيـنين من قبل الله تعـالى، وظل عامة الفقهـاء حـتى الذين تعـاونوا مع الدولة الصـفوية أو خليفتهـا: القاجارية ، متأثرين بنظرية (الانتظار) في عدة جوانب . وهـذا ما أدى لاحقاً الى تطورات مختلفة لدى الفقهاء والملوك من اجل تطوير الفكر السياسي وحل عقـدة الشـرعية المزمنة في الفكر السياسي الشيعي في ظل (الغيبة) .

ومع تطور الواقع السياسي الشـيعي، ووجـود الشك بصحة نظرية (النيابة العامة للفقهـاء عن الإمـام المهـدي) بـادر بعض الفقهـاء الى الـدعوة الى بنـاء نظـام سياسي مدني معقـول، فـاقترح السـيد محمد بـاقر السـبزواري (1018هــ - 1090 هــ) تأسـيس نظـام ملكي مسـتقل ، وحاول الالتفاف على نظرية الغيبة والانتظار التي تشـترط العصمة والنص في الإمام فقال:"لا يخلو زمـان من حجة ، ولكن في بعض الأوقات يغيب عن أبصـار النـاس لأسـباب ومصالح ، ولكن العـالم ليس بعيـدا عن ألطافه وبركاتـه... ونحن الآن في هذه الـدورة من الغيبة إذا لا يوجد سـلطان عادل وقوي يدير العـالم ويحكمه ، فـان الأمـور تنتهي الى الفوضى والهرج والمرج وتصبح الحيـاة غـير قابلة للتحمل بالنسبة لكل شخص ، لذلك لا بد للناس من الخضوع تحت سيطرة ملك يحكم بالعدل ويتبع سيرة وسنة الإمام".[441]

رد فعل الاماميين (الإخباريين)

وقد أدى قيـام الدولة الصـفوية ، في القـرن العاشر الهجـــري ، وتطـــوير نظرية (النيابة العامة للفقهـــاء) إلى نظرية سياســية .. أدى ذلك إلى حــدوث انشــقاق عميق وعنيف في المجتمع الشيعي الامامي الاثني عشري.. وهو ما عرف بالصراع الاخبـاري - الأصـولي ، الـذي امتد عـدة قرون. ولم يكن هذا الصراع يدور حول أمر جزئي بسيط..

[441] - حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام، ص239

وإنما كـان يتعلق بـأمر أساسي يـدخل في موضـوع الهوية العقائديـــة.. وكـــان في حقيقته صـــراعا بين المحـــافظين والمجــــــددين.. بين الخط الامـــــامي المتمسك بنظرية (الانتظـــار) بالتحديد ، وبين الخط الشـــيعي المتحـــرر من شروط الإمامة المتصلبة كالعصمة والنص ، والمتحـــرر من نظرية (الانتظار) .

كان الفكر الامامي يعطي للإمام مهمتين رئيسيتين هما : التشـــريع والتنفيذ وقيـــادة المســـلمين، ويحصر مهمة الإمامة في (الأئمة المعصومين المعينين من قبل الله) ولا يجيز لأي شخص غيرهم ان يقوم بشيء من ذلك.. وعندما اضطر بعض العلماء ، في القرن الخـامس الهجـري ، إلى فتح باب الاجتهاد، اعتبر الاخباريون (أو الامـاميون القـدماء) اللجوء إلى الاجتهاد خروجا عن الخط الامامي لأنه يهـدم ركنا رئيسيا من أركـان نظرية الإمامة الـتي تشـترط العلم الإلهي في أحكام الدين ، وتحصر عملية التشـريع والإفتـاء في (الإمـام المعصـوم العـالم من اللـه) . وعنـدما قـام العلمــــاء المتــــأخرون بــــالقول بنظرية (النيابة العامة السياســية) اعتــبر الاخبــاريون (أو بــالأحرى : الامــاميون) العمل السياسي وإقامة الدولة وممارسة مهامها اغتصـــابا لسلطات وصـلاحيات (الإمـام المعصـوم) وتهـديما للـركن الثــاني الأساسي من أركــان نظرية (الإمامة الإلهيــة) وهو (التنفيذ). ومن هنا كانت معارضة الاخباريين مرتكــزة على قاعدة نظرية الإمامة الـتي تحـرم التشـريع والتنفيذ خـارج دائــرة (الإمــام المعصــوم) وكــان الاخبــاريون يعتــبرون (المجتهـــدين) وأصـــحاب نظرية (النيابة العامة أو ولاية الفقيه) خارجين من المذهب الإمامي ..

نظرية ولاية الفقيه

شهد القرن الثالث عشر الهجري ، وخاصة بعد سـقوط الدولة الصفوية، انتعاش المد الأصولي وقيـام العلمـاء هنا وهناك بتطبيق الحـدود وممارسة القضـاء والإفتـاء وتـولي أمــور الرعية والتصـرف في أمــوال اليتـامى والمجـانين

والسـفهاء وتقسـيم الخمس والزكـوات وممارسة مهمـات الحكومة الأخرى.

وهـذا ما دل على تطـور نظرية (النيابة العامـة) من إجازة الملوك إلى تصدي الفقهاء بأنفسهم للحكم، وتجاوز نظرية (الانتظـار) والتخلي عنها تمامـا.. الأمر الـذي دفع الشيخ احمد بن محمد مهـدي الـنراقي (تـوفي 1245هـ) إلى طرح النظرية في إطـار جديد وشـامل اكـثر تطـورا ، تحت عنوان :(ولاية الفقيه) وليس تحت العنوان السـابق : (النيابة العامـــة) القائمة على قاعـــدة نظرية (الغيبة والانتظـار) ، حيث نظر الـنراقي إلى واقع قيـام الفقهـاء بتشـكيل حكومـات لا مركزية في بلاد شـيعية واسـعة مما ينفي أدنى مـبرر لاسـتمرار نظرية (الانتظـار) أو القـول المحدود الاستثنائي بقيـام الفقهـاء بتغطية بعض الجـوانب الجزئية من الحيـاة ، وبحث الـنراقي في كتابه :(عوائد الأيـام في بيـان قواعد الأحكـام) مشـكلة الإمامة أو السـلطة و الولاية العامة وضـرورتها في (عصر الغيبـة) وذلك على نفس الأسس الفلسفية والمبادئ الـتي تـوجب (الإمامة) للأئمة المعصومين .[442]

وقد كانت نظرية الشيخ النراقي تتألف من قسمين هما: أولا : ضـرورة الإمامة في عصر الغيبة ، وثانيـا: حصر الإمامة في الفقهـاء.. وبغض النظر عن مناقشة القسم الثـاني ، فـان القسم الأول من نظريته يـرفض القبـول بنظرية (الغيبـة) وفائـدة الإمـام الغـائب كإمـام ، ويحتم اسـتمرار الإمامة .. ويؤكد الحاجة الملحة لوجـود الإمـام الحجة العـالم المعلم الهـادي والـداعي إلى سـبيل الله بصورة ظاهرةٍ حيويةٍ متفاعلة مع الأمة .[443]

ولما كـانت نظرية (الإمامـة) أو (وجـود الإمـام الثـاني عشر الغائب) تعجز عن تلبية حاجة الأمة المستمرة للإمام

[442] - لمزيد من التفاصـيل راجـع: المبحث الثـالث من الفصل الثـالث من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

[443] - النراقي، عوائد الأيام، ج15 ، ص422 و425 و137

فان النراقي يتخلى مضطرا عن اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية في الإمام ، ويأتي بكل أدلة ضرورة الإمامة التي كان يستخدمها المتكلمون الاماميون الأوائل ومن ضمنها حديث الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا ، الذي يتحدث عن ضرورة الإمامة والعصمة ، فيأخذ النراقي الشطر الأول ويلغي (العصمة) ويكتفي بشرط الفقاهة والعدالة.

ويعتمد النراقي كثيرا على الأدلة العقلية والإطلالات العامة التي تحتم إقامة الدولة بصورة مستقلة ، وليس بالضرورة : بالنيابة العامة عن الإمام المهدي.. إذ ان قيام الفقهاء بمهام الإمامة الكبرى - ولو بالنيابة - يتناقض مع اشتراط العصمة والنص في الإمام ، خاصة مع انتفاء ظروف التقية والخوف التي تجبر الإمام على الاختباء .

ومن هنا يمكن اعتبار نظرية النراقي حول (ولاية الفقيه) تطورا جذريا في الفكر الشيعي السياسي نحو التحرر من نظرية (الإمامة الإلهية) اكثر من التحرر من نظرية (الانتظار) .. وإذا كانت نظرية: (ولاية الفقيه) قد تعرضت منذ ذلك الحين إلى مناقشات حامية من قبل عدد من العلماء والمحققين ، فأنها نجحت في طرح موضوع (الإمامة) على بساط البحث ، وجاء العلماء من بعد ذلك ليبحثوا المسألة في ضوء الحاجة الماسة والمستمرة إلى الإمامة والقيادة العامة في (عصر غيبة الإمام الذي لا يقوم بمهام الإمامة). كما فعل الشيخ رضا الهمداني (- 1310هـ) الذي أسمى نظرية ولاية الفقيه بـ :(القائمقامية) وذهب في :(مصباح الفقيه) الى :" ثبوت منصب الرياسة والولاية للفقيه ، وكون الفقيه في زمان الغيبة بمنزلة الولاة المنصوبين من قبل السلاطين على رعاياهم في الرجوع إليه ، وإطاعته فيما شأنه الرجوع فيه إلى الرئيس" .[444] وكما فعل الشيخ محمد حسن النائيني نظريته في (المشروطية) على أساس استحالة التفاف

---

[444] - الهمداني، مصباح الفقيه، ص 161

الأمة حول الإمـام المهـدي المنتظر الغـائب و عـدم وجـود الأئمة المعصــومين ، وحاجة الأمة إلى قيــادة مشــروطة بمجلس منتخب منها.

أما الإمـام الخميـني فقد مهد لنظرية :(ولاية الفقيـه) بالحديث عن ضرورة الإمامة في عصر الغيبة، وقـال :"ان ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لـــــزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر (ع)". وقـــال: "... أما في زمـــان الغيبة فالولاية والحكومة ، وان لم تجعل لشــخص خــاص ، لكن يجب بحسب العقل والنقل ان تبقيا بنحــوٍ آخـر، لما تقـدم من عدم إمكان إهمال ذلك ، لأنها مما يحتاج إليه المجتمع الإســـلامي... والعلة متحققة في زمن الغيبة ، ومطلوبية النظــام وحفظ الإســلام معلومة لا ينبغي لـــذي مســكة (عقل) إنكارها".[445]

الحركة الديموقراطية الإسلامية

وبينما كان الفقهاء الاماميون في النصف الأخـير من القرن الثاني عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) يتناقشون حول (ولاية الفقيه) وحدودها السياسية ، فيثبتها بعضــهم كــالنراقي ويرفضــها بعض آخر كالشــيخ مرتضى الأنصاري ، كان الملوك القاجاريون يعززون من ســلطتهم في إيــران ويوســعون صــلاحياتهم بلا حــدود ، مما ســمح للشـــاه ناصر الـــدين (1848م - 1896م) بتوقيع اتفاقية جـــائرة لحصر بيع وشـــراء التنبـــاك مع شـــركة بريطانية اسـتعمارية كـادت تـؤدي إلى هيمنة بريطانيا على إيـران. وهذا ما اضطر مرجع ذلك العصر :(المـيرزا محمد حسن الشيرازي) الذي كـان يقطن مدينة سـامراء في العـراق ، للإفتاء بحرمة استعمال التنبـاك بأية صـورة زراعة وشـراء وبيعا وتدخينا، وذلك في سـنة 1309هــ / 1891م . وكـان لفتواه هذه اثر كبير جدا في الشعب الإيراني الـذي أطاعه بدقه تامة، مما اضطر الشاه ناصر الدين إلى إلغـاء امتيـاز الشركة البريطانية.

---

[445]- الخميني، كتاب البيع، ص 461 و 462 و466

وقد فتحت تلك المواجهة ملف شـــرعية الملكية المستبدة في إيـران، فانخرط بعض العلمـاء المشـاركين في حركة إسقاط التنباك ، في حركة جديدة متواصـلة من اجل تطـوير النظـام السياسي الإيـراني وإصـلاحه، وبنـاء نظـــام ديمـــوقراطي، وتحديد صـــلاحيات الملك المطلقة بمجلس شـورى منتخب من الشـعب ، وطـالبوا ان يحكم الملك حكما دسـتوريا (مشـروطا) بالبرلمـان. وكـان على رأسهم الشيخ الآخوند كاظم الخراساني .

واستطاع التيار الـديموقراطي الإسـلامي، بعد معركة طويلة، ان ينتصر ويقيم أول مجلس برلماني دستوري في إيـران سـنة 1906م . وقد شـكل ذلك تطـورا في الفكر السياسي الشـيعي الـذي لم يكن قد وصل - شـعبيا - بعد إلى مرحلة (ولاية الفقيـه). وقد اصـــبح دســـتور 1906م أساسا لنظام الجمهورية الإسلامية الذي قام سنة 1979م ، واســـتبدل الملك بـــرئيس الجمهورية ، وأعطى للفقيه (الولي) صلاحيات اكبر، استنادا إلى نظرية (ولاية الفقيه) .

وكان هناك من ينادي باستبدال النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، كالسيد جمـال الـدين الاصـفهاني الـذي أعلن خلال الثـورة ضد مظفر الـدين سـنة 1905م : ان نظـام الحكم الأقرب للإسـلام هو النظـام الجمهـوري ، وأيد ذلك بآيات من القرآن الكريم .[446]

لقد كـان الفكر السياسي الشـيعي في هـذه المرحلة واقعيا ومتطلعا نحو الأفضل في تعامله مع مســـــــــألة السلطة ، فبعد تخليه عن نظرية (الإمامة الإلهيـة) المثالية الـــتي لم يكن لها وجـــود في الخـــارج ، ورفضه لوليـــدتها ولازمتهـا: نظرية (الانتظـار للإمـام الغـائب) انطلق الفكر الشيعي الـذي كـان قد قبل بمبـدأ قيـام الدولة في (عصر الغيبـــة) منذ العهد الصـــفوي.. انطلق في هـــذه المرحلة ليطـور نظرية السـلطة والدولة ويُشـرك العلمـاء ونـواب

[446] - طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية ص 80

الشــعب في إدارة البلاد. وقد عــبر هــذا الفكر عن نفسه بقلم أحد أبنائه وهو الشــيخ محمد حســين النــائيني في كتابــه:(تنبيه الأمة وتنزيه الملــة) الــذي يعتــبر قمة الفكر السياسي الشيعي في بداية القرن العشرين..

وقد أكد النائيني على ان اصل الحكومة الإسلامية يقوم على الشورى، وان السلطة حق من حقوق عامة الناس ، وأشار الى عجز الأمة عن الالتفـاف حـول الإمـام المهـدي المنتظر الغـائب ، وعـدم وجـود الأئمة المعصـومين، مما يفتح الطريق أمــــام الأخذ بالنظــــام الــــديموقراطي أو الشورى.[447]

لم تصمد نظرية (الحكم الملكي الدسـتوري) الـتي أقامها الفقهاء الشيعة في إيران طويلا ، فسرعان ما قــام الشاه رضا بهلـوي بـانقلاب عسـكري ، ونصب نفسه ملكا على إيـران دون استشـارة من الفقهـاء المراجع ، بل قـاد حملة شــعواء ضد رجــال الــدين، وهــذا ما دفع الفقهــاء المراجع إلى مقاومته بشدة.

وفي سنة 1963 قاد الإمام الخميني انتفاضة ضد الشاه محمد رضا بهلـوي ، انتهت بتسـفير الإمـام إلى العـراق .. وهنــــاك راح الإمــــام الخميــــني يلقي دروسه على طلبته ويطــور نظرية سياســية جديــدة تجمع بين نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب) و نظريـة:(ولاية الفقيه) لينقل الفكر السياسي الشـيعي من مرحلة إجـازة الفقهـاء للملـوك للحكم باسـمهم ووكالة عنهم إلى مرحلة جديــــدة هي حكم الفقهــــاء المباشر وممارسة مهمــــات الإمامة بصورة كاملة. وقد شـكلت تلك الـدروس القاعـدة الفكرية الـــتي قـــامت عليها الثـــورة الإســـلامية وانتهت بتشكيل (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) عام 1979.

الخميني ينقد نظرية الانتظار

---

[447] - لمزيد من التفصيل راجـع: المبحث السـادس من الفصل الثـالث من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

رفض الإمام الخميني في البداية نظرية (الانتظار للإمام المهدي) التي كانت تهيمن على الفكر السياسي الشيعي حتى وقت قـريب ، رفضا مطلقا ، واسـقط بالأدلة العقلية الأحــاديث الــتي كــانت تحــرم العمل السياسي في ظل (الغيبـــة) ، ولم يعبأ بها ، وكتب يقـــول :" بــــديهي .. ان ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النـبي (ص) بل الضرورة مسـتمرة.. واعتقـاد: ان الإسـلام قد جـاء لفـترة محــدودة أو لمكــان محــدود يخــالف ضــروريات العقائد الإسلامية ، وبما ان تنفيذ الأحكام بعد الرسـول (ص) والى الأبد من ضـروريات الحيـاة ، لـذا كـان وجـود حكومة فيها مزايا السلطة المنفذة المدبرة ضروريا ، إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج... فقد ثبت بضرورة الشـرع والعقـل: ان ما كـان ضـروريا أيـام الرسـول (ص) وفي عهد الإمـام أمـير المؤمــنين (ع) من وجــود الحكومة لا يــزال ضــروريا إلى يومنا هذا. ولتوضيح ذلك أتوجه إليكم بالسـؤال التـالي: قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي اكثر من ألف عام ، وقد تمر عليه ألــوف الســنين قبل ان تقتضي المصــلحة قدوم الإمام المنتظر، وفي طول هذه المـدة المديـدة هل تبقى أحكــــام الإســــلام معطلة يعمل النــــاس خلالها ما يشـاءون؟.. ألا يلـزم من ذلك الهـرج والمـرج؟ وهل حـدد الله عمر الشــريعة بمــائتي عــام ؟ هل ينبغي ان يخسر الإسلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء ؟". وأضاف:"ان الذهاب إلى هذا الرأي أسوء في نظـري من الاعتقـاد بـان الإسلام منسوخ ، فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول: انه لا يجب الدفاع عن ثغـور الإسـلام والـوطن ، أو انه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة والخمس وغيرهما ، أو يقول بتعطيل القانون الجـزائي في الإسـلام وتجميد الأخذ بالقصــاص والــديات ، إذن فــان كل من يتظــاهر بــالرأي القائل بعدم ضرورة تشـكيل الحكومة الإسـلامية فهو ينكر ضــــرورة تنفيذ الإســــلام ، ويــــدعو إلى تعطيل أحكامه وتجميــدها ، وهو بالتــالي ينكر شــمول وخلــود الــدين الإسلامي الحـنيف". وخـاطب الإمـام الخميـني الملـتزمين بنظرية (الانتظـار) قـائلا :" لا تقولـوا نـدع إقامة الحـدود

والـدفاع عن الثغـور وجمع حقـوق الفقـراء حـتى ظهـور الحجة (الإمـام المهـدي) فهلا تـركتم الصـلاة بانتظـار الحجة؟!".

ثم استشـهد على ضـرورة الإمامة في عصر الغيبة، **و**قــال :" ان ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لـــزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر(ع) " .[448]

وبعد إثبـات الإمـام الخميـني للحاجة المسـتمرة إلى الإمامة في (عصر الغيبة) وعدم جـواز تجميـدها انتظـارا للإمـام المهـدي ، عقلا ونقلا ، توصل الى ضـرورة إقامة الدولة بقيـادة من تتـوفر فيه خصـائص الإمامة من العلم بالقانون والعدالة.

وتحدث الإمام الخميني عن التشـابه بين الفقيه والإمـام المعصوم فقال:" للفقيه العادل جميع ما للرسـول والأئمة (ع) مما يرجع إلى الحكومة والسياسة ، ولا يعقل الفرق ، لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكـام الشـريعة والمقيم للحـدود الإلهية والأخذ للخـراج وسـائر الماليـات والتصـرف فيها بما هو صـلاح المسـلمين... ومع اقتضـاء المصـالح يـأمرون النـاس بـالأوامر الـتي للـوالي ويجب إطـاعتهم..فولاية الفقيه - بعد تصـور أطـراف القضـية - ليست أمرا نظريا يحتاج إلى برهـان ، ومع ذلك دلت عليها بهذا المعنى الواسع روايات".[449]

واعتبر الإمام الخميني الفقهاء أوصـياء للرسـول (ص) من بعد الأئمة وفي حـال غيـابهم ، وقد كلفـوا بجميع ما كلف الأئمة (ع) بالقيام به .[450]

وكان الإمام الخميني يؤمن نتيجة لبعض الروايات ان ولاية الفقيه ولاية دينية إلهية و يقـــــول:" ان الله جعل

[448] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 25 -26

[449] - الخميني، كتاب البيع، ص 467

[450] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 75

الرســول (ص) وليا للمؤمــنين جميعا ، ومن بعــده كــان الإمـام وليا ، ونفس هـذه الولاية والحاكمية موجـودة لـدى الفقيه " .[451] ويقــول :" إذا نهض بــأمر تشــكيل الحكومة فقيه عــالم عــادل فانه يلي من أمر المجتمع ما كــان يليه النــبي (ص) منهم ، ووجب على النـــاس ان يســمعوا له ويطيعــوا ، ويملك هــذا الحــاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للنـــــاس ما كـــــان يملكه الرســـــول (ص) واميرالمؤمنين (ع) على ما يمتاز به الرســول والإمـام من فضــــائل ومنــــاقب خاصة ...وقد فــــوض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النــــبي (ص) واميرالمؤمـــنين (ع) من أمر الحكم والقضــاء والفصل في المنازعــات وتعــيين الــولاة والعمال وجباية الخراج وتعمير البلاد ، غاية الأمر ان تعيين شــخص الحــاكم الآن مرهــون بمن جمع في نفسه العلم والعدل". [452]

وكـان يحصر الحق في إقامة الدولة في (عصر الغيبـة) في الفقهــاء فقط ، ويقــول:" الفقهــاء العــدول وحــدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الإسلام واقرار نظمه وإقامة حدود الله وحراسة ثغـور المسـلمين ، وقد فـوض إليهم الأنبيـاء جميع ما فوض إليهم ائتمنوهم على ما أؤتمنوا عليه" .[453]

الولاية المطلقة

ونظرا لإيمـان الخميـني بـأن ولاية الفقيه مسـتمدة من اللــه، فقد طــرح بعد حــوالي عشــرة أعــوام من إقامة (الجمهورية الإســلامية في إيـــران) نظرية (ولاية الفقيه المطلقة) الـتي لا تحـدها حـدود، وجـاء في رسـالة له الى

---

[451] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

[452] - الخميني، كتاب البيع، ص 49

[453] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 70 و 76

رئيس الجمهورية:" ان الحكومة التي تعني الولاية المخولة من قبل الله إلى النبي الأكرم (ص) مقدمة على جميع الأحكام الفرعية الإلهية... ولو كانت صلاحيات الحكومة محصورة في إطار الأحكام الفرعية الإلهية لوجب ان تلغى أطروحة الحكومة الإلهية والولاية المطلقة المفوضة إلى نبي الإسلام (ص) وان تصبح دون معنى ..لا بد ان أوضح : ان الحكومة شعبة من ولاية رسول الله (ص) المطلقة ، وواحدة من الأحكام الأولية للإسلام ، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم والحج... ان باستطاعة الحاكم ان يعطل المساجد عند الضرورة ، وان يخرب المسجد الذي يصبح كمسجد ضرار ولا يستطيع ان يعالجه بدون التخريب. وتستطيع الحكومة ان تلغي من طرف واحد الاتفاقيات الشرعية التي تعقدها مع الشعب ، إذا رأتها مخالفة لمصالح البلد والإسلام. وتستطيع ان تقف أمام أي أمر عبادي أو غير عبادي إذا كان مضرا بمصالح الإسلام ، مادام كذلك. ان الحكومة تستطيع ان تمنع مؤقتا وفي ظروف التناقض مع مصالح البلد الإسلامي - إذا رأت ذلك- ان تمنع من الحج الذي يعتبر من الفرائض المهمة الإلهية".[454]

وكانت هذه الرسالة تطورا كبيرا في نظرية :(ولاية الفقيه) باتجاه الشمولية والإطلاق ، وقفزة كبيرة في توسيع الولاية، وهي تتحدث عن صلاحيات مشابهة لصلاحيات الرسول الأكرم والأئمة المعصومين ، للفقيه بحكم منصب الولاية والسلطان. وقد توصل الإمام الخميني الى ذلك بالجمع بين نظرية (النيابة العامة) و نظرية (ولاية الفقيه) وتطويرهما بحيث تصبحان نظرية واحدة مطلقة.

---

[454] - صحيفة كيهان، العدد رقم 13223 المؤرخ 16 جمادى الأولى 1408هـ

ان الحـديث عن "النيابة العامة للفقهـاء عن الإمـام المهـدي" في "الغيبة الكـبرى" هو فـرع لثبـوت "النيابة الخاصة" الـتي ادعاها "الـوكلاء الأربعـة" في فـترة "الغيبة الصـغرى". وان القـول بـذلك يبتـنى على القـول بوجـود وولادة "الإمام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري" ووجـود غيبـتين لـه، وإذا لم نسـتطع التأكد من وجـود هـذا "الإمام" فان تلك النظرية تتلاشى بالطبع من باب الأولى.

ونظـرا للغمـوض الـذي لف موضـوع الخلف للإمـام العسكري، والحيرة التي عصفت بالشـيعة الامامية الاثـني عشـرية، والشك الـذي أحـاط بـدعاوى النيابة الخاصة عن الإمـام الغـائب، فـان نظرية النيابة العامة لم تكن معروفة لدى الشيعة الامامية في بداية "الغيبة الكبرى" التي يقـال أنها ابتـدأت بعد وفـاة "النـائب الرابع : علي بن محمد الصـيمري". بل ان الشـيعة الأوائل (في القـرن الرابـع) اعتـبروا النيابة العامة الـتي تـوازي الإمامة أو ولاية الفقيه متناقضة تماما مع نظرية الإمامـة، لأنها تسـقط شـرطي العصـمة والنص في الإمـام، وإنما هي نظرية ظنية اسـتنبطها بعض العلمـاء في وقت لاحق وطوروها عـبر التاريخ ، ولم يكن لها وجود من قبل. وقد توفي الصيمري سنة 329هـ ولم يتحـدث عن "النيابة العامـة" ببنت شـفة، ولو كـان لها أي رصـيد من الواقع لتحـدث عنها "الإمـام المهدي" - على فرض وجوده - بدلا من ان يترك الشـيعة يتخبطون قرونا طويلة في ظلمات الحيرة .

ومن هنا فلم يعـرف الشـيخ الصـدوق نظرية النيابة العامة ، ولم يشر إليها أبـدا بـالرغم من روايته لـ : ·توقيع إسـحاق بن يعقـوب عن العمـري عن المهـدي :" وأما الحـوادث الواقعة فـارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فـانهم حجـتي عليكم وأنا حجة الله ". وذلك أما للشك بصـحة " التوقيع " المـروي عن مجهـول هو (إسـحاق بن يعقـوب) واما لعـدم دلالته على "النيابة العامة" خاصة وانه يتحـدث عن الرجـوع إلى الـرواة في ظل "النيابة الخاصة" وفي

أيام "السفير الثاني : العمري" . وإذا كانت النيابة الخاصة المتصلة - حسب الفرض - بالإمام المهدي محـدودة وغـير سياسية ، فكيف يمكن ان يفهم من "التوقيع" معنى اكـبر وأوسع منها ؟.

لقد كان أول من تحدث عن تفويض الأئمة للفقهاء في مجال إقامة الحدود فقط هو الشيخ المفيد الـذي جـاء بعد الغيبة بحوالي مائة وخمسين عاما، وكان ذلك منه افتراضا اكـثر منه قــولا بيقين ، وقد انطلق في محاولته اسـتنباط نظرية (النيابة العامة) من الأحــاديث الســابقة (مقبولة عمر بن حنظلة ومشـهورة أبى خديجة وتوقيع إسـحاق بن يعقــوب) الــتي تعطي الإذن لــرواة أحــاديث أهل الــبيت بممارسة القضـــاء من دون الحاجة إلى إذن خـــاص من الأئمة.

وقد أثار التطور السياسي الكبير الذي حدث في تاريخ الشـيعة في العهد الصـفوي في القـرن العاشر الهجـري، والـــذي نقلهم من مرحلة "التقية والانتظـــار" إلى مرحلة إقامة الدولة في (عصر الغيبـــة) بعـــدما ادعى (الشـــاه إسماعيل الصـفوي) النيابة الخاصة عن الإمـام المهـدي .. أثـار ذلك التطـور جـدلا واسـعا في صـفوف الفقهـاء وفتح الباب واسعا أمام القـول بنظرية "النيابة العامة" وتعزيزها بقـــوة ، ثم تطويرها بعد ذلك نحو حكم الفقهـــاء بصـــورة مباشــرة على يــدي الــنراقي في منتصف القــرن الثــالث عشر الهجري .

وقد اعتمد الإمــام الخميــني في قوله بنظرية (ولاية الفقيـه) بصـورة رئيسـية على روايـات عامة عن الرسـول الأعظم (ص) مثل (الفقهـاء ورثة الأنبيـاء و وحصـون الأمة وخلفـاء الرسـول) واسـتنتج منها معـنى الوراثة والخلافة السياســية والولاية التامة للفقهـــاء كما كـــانت للرســـول الأعظم (ص) والأئمة من أهل الـــبيت (ع) حسب النظرية الامامية ، وقال:" كما ان الرسول الأعظم جعل الأئمة (ع) خلفاء ونصبهم للخلافة على الخلق أجمعين ، جعل الفقهاء

ونصـبهم للخلافة الجزئيـة... وتحصل مما مر ثبـوت الولاية للفقهــاء من قبل المعصــومين (ع) في جميع ما ثبت لهم الولاية فيه من جهة كـــونهم ســـلطانا على الأمة" .[455] و لـذلك اعتـبر الخميـني الفقهـاء اكـثر من (نـواب للإمـام المهدي الغـائب) وإنما أيضا : أوصـياء للرسـول (ص) من بعد الأئمة ، وفي حال غيـابهم ، وقد كلفـوا بجميع ما كلف به الأئمة بالقيـام بـه.[456] واعتـبر - بنـاء على ذلك - ولاية الفقهاء على النـاس مجعولة من قبل الله كولاية الرسـول والأئمة من أهل البيت ، وأنها ولاية دينية إلهية.[457]

وقد رفض الإمام الخميني الأدلة "العقلية والنقلية" التي قدمها ويقدمها علمـاء الكلام الامـاميون السـابقون الـذين كـــانوا يشـــترطون العصـــمة والنص والســـلالة العلوية الحسينية في الإمـام ، و اسـتخدم العقل في رفض نظرية الانتظـار السـلبية المخـدرة الـتي تحـرم إقامة الدولة في (عصر الغيبة) إلا للإمام المعصوم الغـائب ، وضـعّف عقليا الأحاديث "المتواترة" و الـتي كـان يجمع عليها الامـاميون في الســابق ، والــتي تقــول:" ان كل راية ترفع قبل راية المهدي فهي راية ضـلالة وصـاحبها طـاغوت يعبد من دون الله" . وقد اســــــــتخدم المقدمة الامامية الأولى في " ضـرورة وجـود إمـام في الأرض" لينطلق منها إلى إثبـات "ضرورة الإمامة في هذا العصر" .

وعلى أي حال فقد كـانت نظرية "ولاية الفقيه" الـتي تحصر الحق في ممارسة الســـلطة في "الفقهـــاء" محل نقاش كبير بين العلماء الشيعة. وقد رفضها بعض العلماء المحققين كالشـــيخ مرتضى الأنصـــاري (1216 هــــ - 1281هـــ) الــذي نــاقش في (المكاســب) أدلة القــائلين بالولاية العامة ، وأنكر دلالة الروايات العامة التي يتشبثون بها على الموضـــوع ، وحـــدد دلالتها في موضـــوع الفتيا والقضـاء فقط ، وشـكك في صـحتها ودلالتها وقـال:" لكن

455 - الخميني، كتاب البيع، ص 485
456 - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 62 و75 و76
457 - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

الإنصــاف بعد ملاحظة ســياقها (الروايــات) أو صــدرها أو ذيلها يقتضي الجـــزم بأنها في مقـــام بيـــان وظيفتهم من حيث الأحكـام الشـرعية لا كـونهم كالأنبيـاء أو الأئمة (ص) في كـــونهم أولى بـــالمؤمنين من أنفســـهم ... وان إقامة الــدليل على وجــوب إطاعة الفقيه كالإمــام - إلا ما خــرج بالدليل - دونه خرط القتاد" .[458]

كما رفض الســيد أبو القاسم الخــوئي نظرية ولاية الفقيه المبتنية على نظرية (النيابة العامــة) وقـال: "ان ما اســتدل به على الولاية المطلقة في (عصر الغيبــة) غــير قابل للاعتماد عليه ، ومن هنا قلنا بعدم ثبوت الولاية له إلا في موردين هما الفتوى والقضـاء... ان الأخبـار المسـتدل بها على الولاية المطلقة قاصرة السند والدلالة" .[459]

ان إعطـاء الفقيه العـادل ، وهو بشر غـير معصـوم ومعـرض للخطأ والانحـراف ، صـلاحيات الرسـول الأعظم (ص) المطلقة وولايته العامة على النفـــوس والأمـــوال ، والتطـــــــرف في ذلك إلى حد الســـــــماح للفقيه بتجميد القوانين الإسلامية الجزئية (الشـريعة) - كما يقـول الإمـام الخميـــني وبعض أنصـــار ولاية الفقيه في إيـــران – يلغي الفوارق الضرورية بين النبي المعصـوم المرتبط بالسـماء وبين الفقيه الإنســـان العـــادي المعـــرض للجهل والهـــوى والانحــراف ، وهــذا ما يتنــاقض تماما مع الفكر الامــامي القديم الذي رفض مساواة أولي الأمر (الحكـام العـاديين) في وجــوب الطاعة لهم كوجــوب الطاعة لله والرسـول ، وذلك خوفا من أمرهم بمعصية والوقـوع في التنـاقض بين طــاعتهم وطاعة اللــه.. ومن هنا اشـترط الفكر الامــامي العصـمة في "الإمـام" - مطلق الإمـام - ثم قـال بوجـوب النص ، وانحصــار النص في أهل الــبيت وفي ســلالة علي والحسين إلى يوم القيامة. فإذا أعطينا الفقيه الصلاحيات المطلقة والواسعة التي كـانت لرسـول الله (ص) وأوجبنا على النـاس طاعته ، وهو غـير معصـوم ، فمـاذا يبقى من

458 - الأنصاري، المكاسب، ص 173
459 - الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد

الفـرق بينه وبين الرسـول؟.. ولمـاذا إذن أوجبنا العصـمة والنص في الإمامة وخالفنا بقية المسلمين وشجبنا اختيـار الصــحابة لأبي بكر مع انه كـــان افقه من الفقهـــاء المعاصرين ؟

ومادام الفقيه إنسانا غير معصوم فانه معرض كغيره للهوى وحب الرئاسة والحسد والتجاوز والطغيـان ، بل انه معـرض اكـثر من غـيره للتحـول إلى اخطر دكتـاتور يجمع بيديه القــوة والمــال والــدين، وهو ما يــدعونا إلى تحديد وتفكيك وتوزيع صـــلاحياته اكـــثر من غـــيره ، لا ان نجعله كالرسـول أو"الأئمة المعصـومين" ، فانه عندئذ سـيتحول إلى ظل الله في الأرض ، ويمــــارس هيمنة مطلقة على الأمة كما كان يفعل الباباوات في القرون الوسطى .

إلغاء الدور السياسي للامة

وقد كـان لتطـور نظرية (ولاية الفقيـه) على قاعـدة نظرية (النيابة العامة عن الإمام المهدي) المرتكـزة على نظرية (الإمامة الإلهية) أثر كبـــــير على طبيعة النظرية ونموها في جـانب واحد هو جـانب السـلطة ، دون جـانب الأمة ، حيث اصـــبح للفقيه من الصـــلاحيات ما للإمــــام (المعصــــوم) وما للنـــبي الأعظم (ص) واصـــبح الفقيه (منصــــوبا) و (مجعــــولا) و (معينا) من قبل (الإمــــام المهــدي) و (نائبا) عنه ، كما كــان (الإمــام المعصــوم) منصـوبا ومجعـولا من قبل الله تعـالى ، وبالتـالي فانه قد اصــــبح في وضع (مقـــدس) لا يحق للامة ان تعارضه أو تنتقده أو تعصي أوامره أو تخلع طاعته ، أو تنقض حكمه .

ومن هنا فقد اتخذت فتاوى العلماء وآراؤهم الاجتهادية الظنية صبغة دينية مقدسة ، ووجب على عامة الناس غير المجتهـــدين " تقليد" الفقهـــاء والطاعة لهم ســـواء في التشريع أو التنفيذ أو القضاء ، وحرمت عليهم مخالفتهم .

وبما ان (الأئمة المعصـومين) - حسب نظرية الإمامة الإلهية - معينـــون من قبل الله تعـــالى ، وان لا دور للامة في اختيـــارهم عـــبر الشـــورى ، ولا حق لها في مناقشة قراراتهم أو معارضتها ، وان الـدور الوحيد المتصـور للامة هو الطاعة والتسليم فقط ، فقد ذهب أنصار مدرسة ولاية الفقيه المنصوب والمجعول والنائب عن (الإمـام المهـدي) إلى ضـرورة طاعة الأمة وتسـليمها للفقيه ، ولم يجـدوا بعد ذلك أي حق للامة في ممارسة الشـــورى أو النقد أو المعارضة أو القدرة على خلع الفقيه ، أو تحديد صــلاحياته أو مدة رئاسته .

وقد ذهب الإمـام الخميـني في رسـالته الشـهيرة إلى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد علي الخامنائي عـام (1408هــ / 1988م) إلى قـدرة الفقيه الـولي على فسخ الاتفاقيــات الشــرعية الــتي يعقــدها مع الأمة ، من طـــــــرف واحد ، إذا رأى بعد ذلك ان الاتفاقية معارضة لمصلحة الإسلام أو مصلحة البلاد ، وأنــاط بالحــاكم وليس بالأمة تحديد المصلحة العامة.

وقد كان للتطور التدريجي الطويل الذي امتد اكثر من ألف عام أثـره أيضا على طبيعة نظرية (ولاية الفقيـه) من حيث عـــدم التكامل والشـــمول في البحث ، واقتصـــار النظرية على الجــانب الرئاسي وإهمــال الــدور السياسي للامة .

وفي الحقيقة .. ان أساس المشكلة في هذه المسألة المهمة يعـــود إلى الـــدمج بين نظرية (النيابة العامـــة) المستنبطة من بعض الأدلة الروائية الضـعيفة وبين نظرية (ولاية الفقيه) المعتمدة على العقل وعلى ضرورة تشكيل الحكومة في (عصر الغيبة) بعيــدا عن شــروط العصــمة والنص الإلهي والسلالة العلوية الحسينية ، وان الخلط بين هــاتين النظريــتين ، أو تطــوير نظرية (النيابة العامة) إلى مســتوى إقامة الدولة أدى إلى جعل الفقيه بمثابة الإمــام المعصـــوم أو النـــبي الأعظم وإعطائه كامل الصـــلاحيات

المطلقة ، وإلغاء الفوارق بين المعصوم وغير المعصوم ، بالرغم من قابلية الأخير للجهل والخطأ والانحراف ، وهو ما يتناقض مع أساس الفلسفة الامامية القديمة حول اشتراط العصمة في الإمام .

الشورى .. وولاية الأمة على نفسها

بغض النظر عن مناقشة تفاصيل نظرية "ولاية الفقيه" فانها تشكل ثورة جذرية على نظرية الإمامة، وذلك لأنها لا تشترط العصمة ولا النص ولا السلالة العلوية الحسينية في الإمام، وتكتفي بالفقه والعدالة، وكذلك تشكل ثورة على نظرية "الانتظار للإمام المهدي" وان كانت تدعي النيابة العامة عنه، وهو ما أدى إلى نهضة الشيعة في العصر الحديث ، وقيامهم بتأسيس (الجمهورية الإسلامية) في إيران .

وإذا كان الفكر الامامي القديم يرفض الشورى، فان الفكر السياسي الشيعي المعاصر يقوم على الشورى، ويقبل حتى بالنظام الديموقراطي الحديث. وهو ما يعني تحوله جذريا، وتخليه عملياً عن نظرية "الإمامة الإلهية" التي كانت تشكل عقدة خلافه مع بقية الشيعة والمسلمين.

ولو كان الفكر السياسي الامامي يقبل بنظرية (الشورى) من قبل أو يؤمن بنظرية (ولاية الفقيه) لما كان بحاجة إلى افتراض وجود (ولد للإمام العسكري) بالرغم من عدم وجود أدلة علمية تثبت ذلك. ولما كان بحاجة بعد ذلك إلى القول بنظرية (الانتظار) ثم افتراض (النيابة الواقعية) أو (النيابة العامة) لحل إشكالية تحريم إقامة الدولة في (عصر الغيبة). أما وقد آمن الفكر السياسي الشيعي المعاصر بنظرية (ولاية الفقيه) فهو مطالب بإقامتها على أساس (الشورى) وحق الأمة في

السيادة على نفسـها وإدارة شـؤونها بنفسـها. وليس على أساس فرضية (النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي). بل ان الفكر السياسي الشـيعي مطـالب اليـوم بإعـادة النظر في فرضـية "وجـود محمد بن الحسن العسـكري" الـتي تفـرعت عن نظرية (الإمامة الإلهية) وحتمية وجـود (الإمام المعصوم المعين من قبل الله) . فلو قلنا بإمكانية إقامة الدولة الإسـلامية تحت قيـادة الفقيه العـادل أو المـؤمن العـادل، فانه لا تبقى بعد ذلك أية حاجة إلى افتراض وجود "إمام معصوم" غائب لا يتفاعل مع الأمة.

وإذا لم نقل بفرضية وجود الإمام الغائب ، فإننا لسـنا بحاجة إلى افـتراض (النيابة الخاصة أو العامـة) .. ومن ثم فإننا لا نعطي الفقيه من الصلاحيات والسـلطات اكـثر من دوره الطبيعي الاستشاري، ولا نجعل منه شخصية مقدسة في الفتـوى والحكم كشخصـية الرسـول الأعظم محمد (ص) أو (الأئمة المعصومين) .

وإذا تحررنا من نظرية (النيابة العامـة)، بعد وضـوح ضعفها وعدم صـحتها لعـدم وجـود (المـُناب عنه : الإمـام المهدي) وعدم ثبوت ولادته ، فإننا يمكن ان نقيم أسـاس الدولة على قاعـدة (الشـورى) وولاية الأمة على نفسـها ، بمعنى ان يكون الإمام منتخباً من الأمة، ونابعاً من إرادتها، ونائباً عنها، ومقيـداً بالحـدود الـتي ترسـمها له، وملتزماً بالصـلاحيات الـتي تعطيها لـه. وذلك لأن الأدلة العقلية تعطي للامة حق اختيـار الحـاكم ليحكم بالنيابة عنها ، كما تعطيها الحق في ان تهيمن على الإمـام وتشـرف عليه وتراقبه وتحاسـبه، وان تعطيه من الصـلاحيات بقـدر ما تشاء وحسـبما تشـاء ، وذلك لأن منبع السـلطة في غيـاب النص الشـرعي وعـدم وجـود الإمـام المعين من قبل الله تعـالى هي الأمة الإسـلامية. حيث لا تعطي الأدلة العقلية الحـاكم العـادي (غـير المعصـوم) القابل للخطأ والصـواب والانحـراف والهـدى ، من الصـلاحيات المطلقة ، مثلما

تعطي للرسول المرتبط بالله عبر الوحي ، ولا تساويه أبدا مع (الإمام المعصوم) .

لذا نعتقد ، في هذه المرحلة من تطور الفكر السياسي الشـــيعي ، ومن اجل إعـــادة تصـــحيح الفكر السياسي الشيعي وبناء علاقات اكثر ديموقراطية بين الأمة والإمــام ، ان من الضـــروري جـــدا بحث موضـــوع وجـــود وولادة (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسـكري) وإعـادة النظر في الأدلة الفلسفية والنقلية والتاريخية التي تحدثت عن ذلك .. وكـذلك إعـادة النظر في نظرية الإمامة الإلهية الـتي تقـوم على العصـمة والنص وحصر الحق في الحكم في السلالة العلوية الحسينية.

وخصوصا إذا علمنا ان نظرية الإمامة لم تكن نظرية أهل الــبيت السياسـية، وإنما كـانت من صــنع المتكلمين الــذين اندســوا في صـفوف الشـيعة في القــرن الثـاني الهجري، والذين كانوا يخشـون من نسـبتها الى الأئمة علنا خوفا من رفضهم، ولذلك كانوا يغلفونها بغطاء من دعـاوى التقية، وان نظرية أهل البيت السياسية كـانت تقـوم على الشـورى وحق الأمة في اختيـار أئمتهـا، وانهم لم يعرفـوا مطلقا شخصا باسم (الإمـــام المهـــدي محمد بن الحسن العسكري) لأنه ببساطة كان شخصـية افتراضـية وهمية لا حقيقة لهـــــا. تم اختلاقها بعد وفـــــاة الإمـــــام الحسن العسكري.

وإذا كان الشيعة اليوم قد تخلصـوا عمليا من نظرية الإمامة ومن فرضية وجود الإمـام الثـاني عشـر، بعد رحلة طويلة من الحـيرة والعـذاب اسـتمرت ألف عـام، وعـادوا الى فكر أهل البيت الأصيل: الشورى ، فلا بد ان يتخلصـوا نهائيا من كل مخلفات ورواسب نظرية "الإمامــة" المثالية والوهمية. ومن أهم تلك الرواسب : الموقف السـلبي من الشــيخين الجليلين الخليفــتين الراشــدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما). ذلك الموقف الذي يقوم على أســاس الاعتقاد باغتصابهما للخلافة من الامـام علي عليه السـلام،

حسب نظرية "النص الإلهي" وتعيين النبي الأكرم (ص) له كخليفة من بعده. وما يسببه هذا الموقف من توتر وتشنج وعداء بين الإمامية وعموم المسلمين.

وفيما يلي قراءة جديدة لنشوء نظرية الإمامة، ولازمتها : فرضية وجود الولد للإمام العسكري، قراءة تلاحظ التباين السافر بين فكر أهل البيت وأقوالهم وأعمالهم، وبين نظريات المتكلمين الاماميين وافتراضاتهم المناقضة للعقل والقرآن الكريم.

الخاتمة

نستخلص من كل ما مضى: أن الشيعة كانوا يشكلون حزب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مقابل حزب معاوية والأمويين، وأنهم في القرن الأول الهجري، لم يكونوا يعرفون نظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصمة والنص ، حيث كانوا يؤمنون فقط بأولوية وأحقية أهل البيت بالحكم والخلافة من الأمويين. وعندما اختلف أهل البيت في القرن الثاني الهجري، بين عباسيين، وطالبيين، وعلويين، وكيسانيين ، وحسنيين ، وحسينيين ، وإسماعيليين، وموسويين، نشأ من الشيعة فريق يؤمن بحق خط معين منهم ، هو الخط العلوي الحسيني الموسوي، بالإمامة والخلافة الى يوم القيامة. ولكن هذه النظرية وصلت الى طريق مسدود ، مع وفاة الامام الحسن العسكري ، سنة 260 للهجرة ، دون خلف يرثه في الإمامة، مما سمح للتيارات الشيعية الأخرى الزيدية والإسماعيلية أن تواصل معركتها ضد الخلفاء العباسيين، وتنجح في إقامة دول لها في اليمن وطبرستان وأفريقيا والحجاز، حتى كادت أن تقضي على الدولة العباسية في بغداد، في منتصف القرن الخامس الهجري.

وكان من المحتمل جدا ، أن يطوي التاريخ حديث التيار الإمامي الموسوي، لولا مبادرة بعض أركانه الى اختلاق

قصة وجود ولد مستور وغائب للامـام العسـكري، وتـأليف النظرية الإثـني عشـرية في القـرن الرابع الهجـري، مما سمح لها بالبقاء في أذهـان فريق من الشـيعة، ظل ينتظر خـروج ذلك الإمـام أكـثر من ألف عـام، ولم يجن ذلك الفريق من انتظـاره للإمـام الغـائب ، سـوى العزلة والتلاشي والانكفاء والغيبة عن مسرح الحياة.

واضطر هؤلاء الشيعة، في نهاية الأمر، الى الثورة على نظرية الانتظـار الـتي كـانت تكبلهم وتمنعهم من النشـاط السياسـي، وتـأليف نظرية جديـدة هي "فرضـية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهـدي الغـائب" وتطويرها من بعد ذلك الى "نظرية ولاية الفقيـه". ومع أن هـذه النظرية قد حـررتهم تماما من نظرية الإمامة الإلهية المثاليـة، القائمة على اشـتراط العصـمة والنص في الإمـام، إلا أنها ظلت في أذهـانهم تشـكل امتـدادا لها ، وترتبط بها ببعض الخيـوط الرقيقـة، مثل الاعتقـاد بـأن الفقهـاء منصـوبين ومعيـنين من قبل الامـام الغـائب ، بالنيابة العامـة. وهو ما أضـفى هالة قدسـية على الفقهـاء المراجع رفعتهم فـوق مسـتوى الشـعب، وحـالت دون مـراقبتهم ومحاسـبتهم ونقدهم. وهـذا ما أدى الى قيـام ديكتاتورية باسم الـدين ، هنا وهناك، في بعض الأحيان.

ولكن مسيرة الفكر السياسي الشيعي لم تتوقف عند هذه النقطة، حيث واصل الفقهاء سـعيهم من أجل تقـديم فكر سياسي أفضل وبناء نظام سياسي أكثر حرية وعـدلاً، فـرفض كثـير منهم فرضـية النيابة العامة ، وكـذلك نظرية الولاية العامة والمطلقة للفقهـاء، وقـالوا بمبـدأ الشـورى وولاية الأمة على نفسـها، ولم يـتردد بعضـهم عن إعلان تأييده للنظام الديموقراطي على أسس إسلامية. (كما هو حاصل اليوم في العراق).

كل هذا التطور الجذري في الفكر السياسي الشيعي، يجعلنا نعيد النظر في التسـمية الموروثة والشـائعة:"الإماميـة" ومـدى انطباقها على شـيعة اليـوم، الـذين يمكن أن نقـول عنهم أنهم "جعفريـة" باعتبـارهم يتبعون فقه الإمام جعفر الصـادق (عليه السـلام) ،كما يتبع

بعض المسلمين المذهب الحنفي أو الشافعي أو المـالكي أو الحنبلي أو الاباضي ، ولكن لا يمكن أن نصـــــــــفهم بالإمامية أو الإثني عشرية. وهو ، كما قلنا قبل قليل، اسم أطلق على فريق صـغير من الشـيعة في القـرون الأولى، في حين لم يكن أحد من الشــيعة يعـرف هـذا الاسم في القرن الأول الهجري. وفي الواقع لا يعرف معظم الشـيعة المعاصرين شيئا عن نظرية الإمامة، سـوى الحب والـولاء لأهل الــبيت (عليهم السـلام)، وهو أمر يشـترك فيه عامة المسلمين، وبالتـالي فلا يجـوز نعتهم بالرافضـة، كما يفعل بعض السلفيين.

ولا يجوز مؤاخذة الشيعة ، أو محاسبتهم على ما قاله أو يقوله الغلاة والمتطرفـــــون، كما لا يجـــــوز محاكمة أمم وطوائف وشعوب على ما يقوله ويفعله الغلاة منهم.

إن من الخطأ الكبير تصوير الخلاف بين السنة والشيعة وكأنه خلاف عقدي لا ينتهي حـتى يـوم القيامـة، والتشـبث بــالأقوال الشــاذة والنــادرة الــتي تفــوه بها بعض الغلاة والمتطرفين عبر التاريخ، لأنه خلاف كان يـدور في الإطـار السياسي، وهو موضوع فرعي اجتهادي، وقد انتهى اليوم، ولم يبق منه سوى أوهام أو رواسب وطقــوس ومخلفـات قشرية.

وإذا كانت هنالك من عقدة تعكر صفو العلاقات الشيعية مع الآخـرين، فهي تكمن في قضـية الموقف السـلبي من الشــيخين أبي بكر وعمر ، والصــحابة عموما (رضي الله عنهم) وذلك بسبب اعتقاد الإمامية بـ "اغتصاب" الشيخين للخلافة من الامــام علي، الــذي "نصَّ عليه رســول الله وعينه خليفة من بعده".

وبعد وضـوح فكر أهل الـبيت السياسي القـائم على الشورى، وتخلي الشـيعة عن نظرية الإمامة الـتي وصـلت الى طريق مسدود في القرن الثالث الهجري، وانقرضـت، وتخليهم كذلك عن نظرية الانتظـار للإمـام الغـائب (محمد بن الحسن العسـكري) الـذي ثبت أيضا أنه لم يكن سـوى فرضية وهمية لا تمت بصلة الى أهل الـبيت، حـان الـوقت للتخلص من كل رواسب التاريخ، وتصحيح الموقف وإعادة

النظر بإيجابية الى الشـــــيخين الجليلين أبي بكر وعمر ، وعمـوم الصـحابة الكـرام الـذين كـانوا على علاقة طيبة وحميمة مع أهل البيت.

وهـذا أمر كفيل بتعزيز علاقة الشـيعة بـأخوتهم المسلمين، وإزالة ما في قلوبهم من أحقاد وأدران.

وأجدني مضطرا لتكرار: أن ليس كل الشـيعة، قـديما وحديثا، يؤمنون بنظرية الإمامة، ويلتزمون بكل حـذافيرها، وبالتالي فـانهم لم يتخـذوا. ولا يتخـذون موقفا سـلبيا من الصحابة والشيخين، بصورة حتمية. ولذا فان نظر الآخرين اليهم يجب أن يكـون واقعيـا، ودقيقـاً، ومميِّزاً بين فـرقهم المختلفة وتيـاراتهم العديـدة. ولا بد أن يلاحظ المسـلمون التطـورات الجذرية الكبـيرة الـتي حـدثت وتحـدث في صفوف الشيعة بصورة عامة.

وربما كـان أهم درس يأخـذه المسـلمون من التطـور الديموقراطي عند الشيعة، هو ضـرورة التخلص من الفكر الاسـتبدادي، الـذي روَّج لهم فقهـاء السـلاطين في ظل الدولة العباسـية، والـذي يشـكل اليـوم عقبة كـأداء أمـام مسـيرة الأمة الإسـلامية من أجل إقامة نظـام سياسي موحدٍ و حرٍّ وعادل.

وإذا ما توصل المسـلمون جميعا الى فكر الشـورى والحرية والعدالة، ورفض الاستيلاء على السـلطة بـالقوة، فـانهم يمكن أن يبـدءوا طريق النهـوض، وإعـادة صـياغة حضارتهم من جديد، ويطووا صفحة الصراع على السلطة، ويوحدوا أمتهم الممزقة من جديد.

أحمد الكاتب

محتويات الكتاب

الفصل الثالث:

كيف نشأت نظرية وجود المهدي ؟

المبحث الأول: تناقض الغيبة مع فلسفة الإمامة

المبحث الثاني: الوضع السياسي العام عشية (الغيبة) وغداتها

المبحث الثالث: ماذا في علائم الظهور

المبحث الرابع: دور الغلاة في صنع الفرضية المهدوية

المبحث الخامس: دور الإعلام في صنع الفرضية

ملخص الجزء الثالث
تطور الفكر السياسي الشيعي في (عصر الغيبة)

الخاتمة

....

المصادر

القرآن الكريم

الامام علي: نهج البلاغة

ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة

النوبختي: فرق الشيعة.

الأشعري القمي، سعد بن عبد الله: المقالات والفرق.

الحميري: قرب الإسناد.

الخصيبي : الهداية الكبرى.

الصدوق، علي بن بابويه: الامامة والتبصرة من الحيرة.

الصفار القمي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (المتوفى سنة 290هـ) : بصائر الدرجات. نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، سنة 1404 هـ، في قم إيران.
البرقي : المحاسن .

العياشي: التفسير.

تفسير فرات ابن ابراهيم الكوفي

الكليني: الكافي، والروضة.

كتاب سليم بن قيس الهلالي

النعماني ، محمد ابن أبي زينب: الغيبة .

الصدوق، محمد بن علي: اكمال الدين، والأمالي ، و عيون اخبار الرضا، و الهداية، و علل الشرائع و الخصال.
الخزاز : كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر .

الطبري:دلائل الإمامة.
الطبري، تاريخ الرسل والملوك.
ابن قتيبة: الامامة والسياسة.

المسعودي: مروج الذهب.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
ابن عساكر: التهذيب.
ابن كثير : البداية والنهاية.
تاريخ اليعقوبي
الاصفهاني: مقاتل الطالبيين.
والمسعودي: التنبيه والاشراف.
البلاذري: أنساب الأشراف.
الحموي، ياقوت: معجم البلدان.
الاسفراييني: الفرق بين الفرق.
الشهرستاني: الملل والنحل.
الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: مقتل الامام أمير المؤمنين، تحقيق مصطفى القزويني، مركز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت

الشيخ الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي: تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم

المفيـد: المقنعة ، و الأمـالي، و الارشـاد ، و أوائل المقـالات و الاختصـاص ، المسـائل الجاروديـة، والإفصـاح في إمامة علي بن أبى طالب ، و شـرح عقائد الصـدوق، والنكت الاعتقاديـة، وعـدة رسـائل، و الرسـائل العشـر، مختصر من الكلام على الزيدية ، و الفصول المختـارة من العيـون والمحاسن ، والمسـائل الجارودية في تعيين الخلافة والإمامة في ولد الحسين بن علي، والثقلان.

الشريف الرضي: خصائص الأئمة .
المرتضى: تثبيت دلائل النبوة، و الشافي.

الطوسي: الغيبة، و النهاية ، و المبسوط، الفهرست ، و مسـائل كلامية / المسائل العشر، وتلخيص الشافي .

النجاشي: الرجال .

الكشي: معرفة الرجال.

الكراجكي:البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان، و - الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار، المطبعة العلوية في النجف سنة 1346 هـ، وكنز الفوائد،
الطبرسي: الاحتجاج.
القطب الراوندي: الخرايج والجرائح

النيسابوري: روضة الواعظين.

الديلمي : أعلام الدين في صفات المؤمنين.

ابن ادريس الحلي: المختصر النافع.

إبراهيم القطيفي : السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج .

المقدس الاردبيلي: تعليقات على خراجية المحقق الثاني .

المجلسي: بحار الانوار

النجفي محمد حسن: جواهر الكلام

نعمة الله الجزائري : شرح غوالي اللئاليء

ابن بطريق الحلي: رسالة نهج العلوم

الأردبيلي الحائري، محمد بن علي: جامع الرواة.
العلامة الحلي ، الحسن بن المطهر: الباب الحادي عشر، و الخلاصة، و نهج الحق وكشف الصدق، و منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، وكشف المراد.

الحر العاملي : إثبات الهداة .

النوري الطبرسي ، خاتمة لمستدرك وسائل الشيعة.

النراقي ، أحمد: عوائد الأيام.
الهمداني: مصباح الفقيه.
الأنصاري، مرتضى: المكاسب
الخميني: كتاب البيع ، والحكومة الاسلامية
الفريد، حسن: رسالة في الخمس.
الخوئي: التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد ، ومعجم الرجال.

العطاردي: مسند الرضا.

القرشي، باقر شريف: حياة الإمام موسى بن جعفر ، وحياة الإمام الحسن العسكري .

الجزائري ، نعمة الله: الأنوار النعمانية.

شبر : حق اليقين.

الاصفهاني، محمد تقي الموسوي: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم،
الكاشاني: الصحيفة المهدية.

الحسني، هاشم معروف: بين التصوف والتشيع.

الزين، محمد حسن: الشيعة في التاريخ
الأميني: الغدير.
الصدر، محمد صادق : الشيعة الامامية.
الصدر، محمد: الغيبة الصغرى.

صحيفة كيهان، العدد رقم 13223 المؤرخ 16 جمادى الأولى 1408هـ
طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية.
تاريخ الشاه إسماعيل، طبع مركز تحقيقات فارس إيران وباكستان، إسلام آباد.
راجر سيوري: إيران في العصر الصفوي.

التنكابني: قصص العلماء

حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام.

حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي.
كاشف الغطاء، محمد حسين: اصل الشيعة وأصولها.

صدر للمؤلف

1- الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية
2 – المرجعية في مواجهة التحديات، تجربة الامام السيد محمد الشيرازي
3- تطور الفكر السياسي السني.. نحو خلافة ديموقراطية

يصدر قريبا بإذن الله تعالى:

في سبيل الشورى والوحدة والتجديد
حـــــــــــوارات
أحمـــد الكــــاتب
مع المراجع والعلـماء والمفـكرين
حول وجود الإمام الثاني عشر

الجزء الأول

الجزء الثاني